

محمد:

خاتم النبیین!

الدكتور محمد ابراهيم خان



## خاتم النبيين

ما هو المعنى الحقيقي لهذه العبارة؟

سورة النجم آية ٣٩

وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى.

سورة العنكبوت آية ٦

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.

سورة العنكبوت آية ٦٩

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ.



# المحتويات

المقدمة:	٧
الفصل الأول: هاتوا برهانكم.....	١٠
الفصل الثاني: كمال الخطّة الإلهية الأصلية.....	١٧
الفصل الثالث: ما المقصود بعبارة خاتم النبيين.....	٣١
الفصل الرابع: تجدد الدين بعد موته الروحاني.....	٣٩
الفصل الخامس: أمة وسطا.....	٤٩
الفصل السادس: الوعد بمجيء الرسول الجديد الجزء الأول.....	٦١
الفصل السابع: الوعد بمجيء الرسول الجديد الجزء الثاني.....	٧٣
الفصل الثامن: الوعد بمجيء الدين الجديد.....	٨١
الفصل التاسع: الفرق بين النبي والرسول.....	٩٣
الفصل العاشر: الغاية الأولى لرسول الله أو مهمتهم.....	١٠٥
الفصل الحادي عشر: إمتيازات الكلمة الإلهية وخلقيتها.....	١١١
الفصل الثاني عشر: كيف تم تقسيم العالم بواسطة الدين ولماذا؟.....	١٢٥
الفصل الثالث عشر: الحياة فتنة وامتحان.....	١٣٥
الفصل الرابع عشر: حوار بين زعماء الدين وأتباعهم.....	١٣٧
الملحق I : لمحة سريعة ثانية لمعنى كلمة "أمة".....	١٤١
الملحق II : مؤمنون يتبنيون المقصود وآخرون يتبعون الظاهر.....	١٤٧
المراجع:	١٥١



## المقدمة

لا يمكننا الإنكار بأن البيئة التي نعيش فيها لها دورٌ كبيرٌ في التأثير على المعتقدات والتقاليد والعادات وتوجيهها. فذلك نجد أن الأغلبية الساحقة من المسلمين والمسيحيين واليهود والهندوس يتبعون معتقدات أجدادهم.

فكل ما قيل لنا منذ الطفولة كان منطلقاً لتوجيه معتقداتنا وآمالنا—أي رؤيتنا للواقع. فلو وُلِدَ طفل لعائلة مسيحية متشددة وقيل له طوال حياته بأن المسلمين ليس لهم "خلاص" وأن كل صلواتهم لله غير مقبولة لأن إلههم ليس هو الرب الحقيقي، فهل في مقدور هذا الشخص أن لا يصدّق والديه أو راعي الكنيسة!

ولنتطرق الآن إلى موضوعنا الأساسي. ماذا سيكون رد فعل الشخص الذي عاش طوال حياته بفكره الموروث بأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء ولن يأتي رسول آخر من بعده. ثم نقول له اليوم بأن القرآن الكريم يتنبأ بمجئ رسول جديد بعد سيدنا محمد؟ فهل سيكون هذا الشخص أكثر تفهماً وتقبلاً لنبا ظهور رسول جديد؟ هذا الكتاب سوف يُظهر لنا بوضوح بأن خطأ التفسير لمفهوم كلمة واحدة—خاتم—كان سبباً في جمود مُفرط وغير مرن للفكر فأصبح كالجبل الثابت. ولكن بقراءتك لهذا الكتاب سوف ترى بأن هذا الجبل يتوارى ويتلاشى تدريجياً! وعند انهيار الجبل سوف تظهر لك جواهر نيرة بديعة—كنوز ظلّت محتجبة عن المسلمين جميعاً والسبب هو في أحرف قليلة لا تتعدى الأربعة والتي تتكون منها كلمة (خاتم)—

خ ا ت م—جرفت بنا ونالت منا حتى هذا العصر!

من المؤكد أن بعض المسلمين يرفضون وجود هذه الجواهر، ذلك لأن الفكرة في وجود رسول بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مرفوضة تماماً بالنسبة لهم. كما نجد أن البعض الآخر منهم يرون البهجة والسرور في اكتشاف هذه الجواهر المخفية. فهكذا منذ البدء كان الاختلاف في المفاهيم موجود بين العباد وسيظل إلى الأبد، فهذه سنة الله ولن تجد لسنة تبيداً ولا تحويلاً.

لمعرفة المفهوم الحقيقي لعبارة أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو: خاتم النبيين، نجد بأن هذا السياق يرتكز على أساسين من الدلائل:

- حكم المنطق
- تعاليم القرآن الكريم

إن كلا الاتجاهين مطلوبان لمعرفة المعنى الحقيقي لـ "خاتم النبيين"، فكما أن الصورة المقطّعة إلى أجزاء صغيرة، حينما يجتمع كل جزء منها مع الجزء المناسب له تظهر الصورة مكتملة الشكل في النهاية وندرك ما فيها، كذلك حين نقوم بالتأمل في الآيات القرآنية ونقوم بنظرة شمولية فسوف تكشف لنا هذه الآيات عن المعنى الحقيقي والمراد من عبارة خاتم النبيين. فماذا يمكن أن نخسر إذا وصلتك رؤيا ومفهوم جديد في الآيات القرآنية عن موضوع "خاتم النبيين"؟ هل ستضعف هذه النظرة الجديدة إيمانك؟ لا! على العكس، ستقوى وتتسع معرفتك وتقديرك وإيمانك بكتاب الله العظيم ألا وهو القرآن الكريم.

سوف نجد أن بعض الآيات القرآنية، مع الأسف، لم يفهم معناها الحقيقي وأسيء تفسيرها. ألم يكن هذا هو الوضع مع جميع الكتب السماوية الأخرى؟ ألم يسيء اليهود تفسير التوراة؟ ألم يسيء المسيحيون تفسير الإنجيل؟ إذاً فماذا يمنع المسلمون من الوقوع في الخطأ نفسه؟ هل من المعقول أن نغلق أذهاننا عن أفكار وآراء جديدة تُعرض علينا؟ هل من الممكن أن نتغاضى عن هذه الآية من القرآن الكريم:

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَنْبَاءِ.

سورة ٣٩، الآية: ١٨-١٧

لماذا لم يعترف المسيحيون بأن الإسلام رسالة سماوية؟ إذا طبّقوا الآية السابقة واستمعوا إلى رسالة سيدنا محمد فسوف يعترفون بأنها رسالة سماوية.

لماذا ينقسم الإسلام إلى سنة وشيعة وفرق متعددة؟ هل درسوا عقائد بعضهم البعض بعقل متفتح؟ هل سيظلون منقسمين إذا اتبعوا المعنى الصحيح الصائب لأحكام القرآن الكريم؟!

ما هي الديانة التي يتبعها معظم الناس؟ ألم تكن هي ديانة آبائهم؟ إذا كنت مسلماً، فاسأل نفسك هذه الاسئلة: ما هي نسبة إمكانية أن أكون مسلماً إذا ولدت لأب حاخام يهودي في اسرائيل، أو لمبشر مسيحي في تكساس، أو لأب شيوعي في روسيا، أو لملاح في الصين؟ وما هي نسبة إمكانية البابا أن يكون مسيحياً إذا ولد لعائلة مسلمة في مكة أو عائلة هندوسية في بنجلور؟

يعلّمنا القرآن الكريم—أعظم كتاب للمعرفة والحكمة الإلهية—ألا نتبع أي معتقدات ببساطة وذلك لأنها معتقدات أبائنا:

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ. سورة ٣٤، آية: ٤٣

إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ. سورة ٣٧، آية: ٧٠-٦٩

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا لَآيَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ. سورة ٢، آية: ١٧٠

تأمل أيضاً الآيات التالية: سورة ٤٣، آية: ٢٢؛ سورة ٥، آية: ١٠٤؛ سورة ١١، آية: ٦٢، ٨٧؛ سورة ١٠، آية: ٧٨



وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ. سورة ٢٦، آية: ٥

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلِهَا لَا يَحْمِلُهَا مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ... سورة ٣٥، آية: ١٨

تأمل أيضاً الآيات التالية: سورة ٧، آية: ٣٩؛ سورة ٥٣، آية: ٣٩-٣٨؛ سورة ٣٩، آية: ٧، ٤١

ما هي العقبات التي تواجهك عند محاولتك إثبات أن الدين الإسلامي هو دين سماوي لشخص مسيحي؟ ألا تكون إجابته لك حسب التعاليم الدينية والمعتقدات التي توارثها من آبائه وراعي الكنيسة؟ ألا يحمل كل شخص منا مثل هذا الموروث؟ هل في استطاعة أي شخص الادعاء بأنه ليس مقيداً بموروثه؟

إن الآيات القرآنية التي استشهدنا بها، إضافة إلى معتقداتنا وتجاربنا في تبليغ ديننا إلى أتباع الأديان الأخرى، كل ذلك يعلمنا درساً نعرفه بإحساسنا الروحي، حتى لو حاولنا إنكاره أحياناً، وهو أنه لا يمكن إضافة نقطة واحدة لكوب ممتلئ بالماء أو طافح بما فيه. ولكي نكون منصفين في رأينا لهذا الموضوع الهام أي مفهوم عبارة "خاتم النبيين"—من الواجب علينا أن نضع جانباً كل ما تعلمناه وتوارثناه من الماضي. **وَأَنْ لَا نَسْمَحَ لِأَرَائِنَا السَّابِقَةَ إِجْحَافَ عَقُولِنَا وَقُلُوبِنَا بِمَا سَوْفَ نَقْدِمُهُ مِنْ وَقَائِعٍ وَحَقَائِقٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ.** وعلينا أيضاً أن نبدأ بحثنا بقلوب صافية مجردة، كالقاضي أو هيئة المحلفين، فإذا بدأنا بحثنا بمخزوننا من التصورات والانطباعات السابقة فسوف يكون كل ما عرفناه في الماضي هو شيء مسلم به، ومن المستحيل الوصول إلى الحقيقة.

إن الناس في جميع العصور كانوا يكرهون الحقيقة، فهل عصرنا هذا مستثنى من ذلك؟

سورة ٤٣، آية: ٧٨

لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ.

إن كل فصل من هذا الكتاب مثل قطعة من الصورة الكاملة (puzzle)—المجزأة إلى قطع أصغر والتي لا تكتمل دلالتها إلا عند اكتمالها—ولكي ترى الصورة بأكملها يجب عليك إرجاء الرأي إلى أن تنتهي من قراءة كل الفصول، عندها ستشهد ظهور السر العظيم للقرآن الكريم فتستطيع حينها أن تقرر ما إذا كان هذا الكتاب يستند على وقائع متينة أم مبني على مجرد خيال.



## هاتوا برهانكم

سورة ٢٨، آية: ٧٥

لقد كُتِبَ هذا الكتاب في المقام الأول للمسلمين ويُركِّزُ الاهتمامَ على موضوع له أهمية خاصة وعظيمة لهم، ولكن قد يكون الموضوع لا يحمل الأهمية ذاتها لاتباع الأديان الأخرى. فلو كنتَ مسلماً وتعتقد اعتقاداً وثيقاً "بعقيدة خاتم النبيين" سوف تجني الكثير من قراءة هذا الكتاب حيث الاعتقاد بأن محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل لهو من العقائد الأكثر أهمية لدى معظم المسلمين.

يكشف هذا الكتاب عن آيات قرآنية عديدة ربّما لم تلاحظها من قبل، فالآيات تبدو للوهلة الأولى غير مستحبة بل ومؤلمة لأكثر المؤمنين لأنها تتحدى أهم عقيدة أو مبدأ فيما بين المسلمين وهي أنه لم ولن يكون بعد الإسلام دين آخر.

فهذا الفصل هو تمهيد للفصول القادمة وفيه نركز على المواضيع التالية:

- كيف ينبغي للمسلم الصادق أن يقبلَ معتقداته ويدعن بها؟ هل يكون ذلك من خلال الامتثال والتقيّد باتباع المألوف؟ أو الاقتناع بالحجة والمنطق؟ نظراً للقوة المهيمنة للامتثال في الدين بما هو متّبع من قبل الجميع فقد اخُصَّ معظم هذا الفصل لهذا الموضوع.
- ما معنى "خاتم النبيين" وما هو مضمونه؟

## احترام المنطق (العقل) والمعرفة

...قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

سورة ٢٧، آية: ٦٤

خلافًا لما يفترضه كثيرٌ من الناس فإن القرآن الكريم يشجعنا مراراً على أن نكون موضوعيين وأن نبحث عن الحقيقة ولا نقبل الأفكار الموروثة بدون اختبارها بالحجة والعقل. تأملوا هذه الآيات: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا. سورة ١٧، آية: ٣٦

سورة ٢٤، آية: ١٥

...وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ.

سورة ٣٠، آية: ٢٩

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ...

تفكر الآن في هذه الآية:

سورة ١٠، آية: ١٠٠

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ.

ما هي عاقبة الذين يهملون التفكير والمنطق حسب الآية السابقة:

- لا يمكنهم أن يدركوا ويتبينوا الحقيقة.
- يضع الله العوائق أمامهم فيظلمون أنفسهم ويُحرمون من دخول ملكوته.

تأملوا الندم والأسف الذي يُعبر عنه أهل جهنم:

الآية التالية تصف ما يقولونه وهي كافية لإيقاظ كل نفس من نوم الغفلة، وتبين لنا النتائج الوخيمة للذين لا يعقلون، أي يخفون في استخدام أكثر النعم الإلهية قيمةً للإنسان ألا وهو العقل.

نظراً لأن الاخفاق في استخدام عقولنا أمر خطير جداً دعونا نرى الآية التالية:

سورة ٦٧، آية: ١٠

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ.

إن مضمون الآية السابقة واضح جداً، لن نكون في عداد أهل النار "لو كنا نسمع سماع من يطلب الحق، أو نفكر فيما نُدعى إليه" (التفسير الميسر للمصحف الرقمي) إننا نستعمل المنطق في كل أوجه حياتنا فيما عدا مجال الدين. فلماذا هذا الاستثناء؟ لماذا يتبع العباد معتقدات أسلافهم لآلاف السنين دون تحقيق؟

إن الكثير من اليأس والشقاء في العالم ينتج وينبثق من هؤلاء الملتزمين الذين يتبعون جماهير الناس بدون تفكير والذين بدورهم يتبعون ساداتهم والذين هم من خدام السلطة والغرور. إن الله يزدرى هؤلاء أيّاً كان جنسهم، لونهم، ملتهم، عرقهم أو دينهم.

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ.  
سورة ٨، الآية: ٢٢-٢١

أَقْمَنَ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ.  
سورة ١٣، آية: ١٩  
انظر أيضاً: سورة ١٠، آية: ٢٤؛ سورة ٢٠، آية: ٥٤؛ سورة ٣٨، آية: ٢٩؛ سورة ٢١، آية: ٤٥

يشير القرآن الكريم إلى المؤمنين الذين لا يبحثون عن الحقيقة ومقتنعين بالافتراضات والظنون:

وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ.  
سورة يونس، آية: ٣٦  
انظر أيضاً: سورة ٦، آية: ١١٦؛ سورة ٤٥، آية: ٢٣؛ سورة ١٠، آية: ٦٦

يطلب الخالق منّا الاعتماد على العقل وأن نحضر دليلاً لصحة ما ندّعيه، فيقول:

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ.  
سورة ٢٨، آية: ٧٥

يتبع هذا الكتاب ما أمرنا به القرآن الكريم. فيقدم كل الحجج والبراهين العقلية والمراجع القرآنية وهو البرهان على صحة المدعى. فهل هناك أي ضرر من المعرفة والدراسة؟!

رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا  
سورة ٢٠، آية: ١١٤

...هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ.  
سورة ٣٩، آية: ٩  
انظر أيضاً: سورة ١٣، آية: ١٦

...هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ؟  
سورة ٦، آية: ٥٠

إن هدف هذا الكتاب هو مساعدة القارئ على ازدياد معرفته وإدراكه لمعاني الآيات القرآنية. كما نعلم إن القرآن الكريم شامل لكل شيء ويشير في عديد من الآيات على مجيء رسل من عند الله في المستقبل، فكيف يُمكن تجاهل موضوع بهذه الأهمية والذي يحمل عواقب لا يمكن تصورها؟ سوف نرى أن القرآن الكريم وهو مرجع لمواضيع كثيرة، وموسوعة لكل شيء لم يتجاهل هذا الموضوع فقد ذكر أن فيه تفصيل كل شيء قال تعالى:

...وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ...  
سورة ١٢، آية: ١١١

...مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...  
سورة ٦، آية: ٣٨

هل قراءة كتاب **خاتم النبيين** سوف يفوّض إيمانك بالقرآن؟ لا بل إنه سوف يساعدك لكي تزداد إيماناً وحباً لله. إن قراءتك للكتاب سنثري وتُغني حياتك الروحانية وتقدم لك الجواهر النفيسة التي لم تلاحظها في ذلك الكتاب الجليل (القرآن). وباكتشافك لمثل هذه الجواهر في كتاب الله تستطيع أن تقوّي وتدعم إيمانك فتصبح مؤمناً حكيماً ومنطقياً بدلاً من أن تكون تابعاً ومقلداً للعموم ومطيعاً للأغلبية. وإن المعرفة التي يحتويه هذا الكتاب ستكون لها نتيجتان متضاربتان فإنها سوف:

• تزيد من اعجابك بالقرآن الكريم للغاية.

● تقلل من ثقافتك بهؤلاء الذين يحترمون الأفكار الموروثة أكثر من احترامهم للحقيقة ويتبعون التقاليد أكثر من اتباعهم للمنطق أي أنهم يتبعون الظن والافتراض كما جاء في القرآن الكريم:

وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. سورة ٥٣، آية: ٢٨

...إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ... سورة ١٠، آية: ٦٦؛ أنظر أيضًا: سورة ٦، آية: ١١٦

إن قراءة هذا الكتاب ستزيد من اعجابك وتقديرك للقرآن الكريم أكثر من أي وقت مضى. وستكتشف أن في أعماق بحر الآيات التي تبدو من أول وهلة بسيطة وغالباً غير مترابطة، تكمن لئالي لا تعد من المعرفة والحكمة والتي ستظل وتبقى بعيداً عن متناول عقول أعظم المفكرين. فقط أولئك الذين في استطاعتهم الغوص إلى أعماق ذلك المحيط بإمكانهم أن يطلعوا على الأسرار الخفية والجواهر البديعة للعلوم والمعارف الإلهية المخزونة في تلك الآيات.

إن القرآن الكريم هو أكثر الكتب السماوية تقدماً في التصريح بأن المنطق والدليل يجب أن يتغلب على التقليد الأعمى ومتابعة الأغلبية حيث يحثنا الخالق بالتفكر والتمعن في جميع الأمور ومن أهمها أن نتبين أي خبر حتى لو كان من رسول ليس بحق وغير جدير بالثقة لأنه من الواجب علينا التحقيق في النبأ خشية أن نصيب قوم برآء كما جاء في الآية التالية:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ. سورة ٤٩، آية: ٦

وحتى نصل إلى الرأي الصائب السليم، يوصينا القرآن الكريم بالاستماع النقدي الحر والمجرد والمنزه إلى جميع الآراء ومن ثم اختيار الرأي الصائب:

فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ. سورة ٣٩، آية: ١٧-١٨؛ أنظر أيضًا: سورة ٢٢، آية: ٢٤

إن معظم الناس—أيًا كان دينهم—يتعلمون ويقبلون معتقدات أسلافهم كما لو كانوا يتعلمون لغتهم الأم. فهكذا نجد أن الأطفال المسلمين هم لأباء مسلمين، وأطفال اليهود هم لأباء يهوديين، وأطفال المسيحيين هم لأباء مسيحيين، وأولاد الملحدين هم لأباء ملحدين أيضًا. يبين لنا التاريخ أنه عندما يتعلق الأمر بالمعتقد والإيمان تكون الموروثات والتقاليد لها تأثيرها الجدير بالملاحظة. فقليل من المؤمنين يبحثون ويحققون في معتقداتهم الموروثة. إن الآيات التالية لدليل على ذلك:

وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْا كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ. سورة ٣١، آية: ٢١؛ أنظر أيضًا: سورة ١٠، آية: ٧٨

إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ. سورة ٥٣، آية: ٢٣

إنه من الأفضل قبل قراءة الفصل القادم أن نمتحن معلوماتنا عن عقيدة "خاتم النبيين" بالرد على الأسئلة التالية:

- هل تعتقد أن الإسلام هو آخر دين من عند الله؟ وإذا كنت تعتقد ذلك، كيف وصلت إلى هذا الاعتقاد؟
- هل سبق لك أن بحثت وقيمت بالتحقيق في معنى "خاتم النبيين"؟
- ما ذا يعني لك ذلك العنوان؟ وكيف تربطه بالاعتقاد والإيمان بأن سيدنا محمد هو خاتم النبيين؟
- هل سألت أحداً ما، ما هي الصلة بين كلمة "خاتم" وكلمة "آخر"؟
- هل تعرف الفرق بين كلمة "خاتم" وكلمة "خاتم"؟
- هل فكرت لماذا قيل عن سيدنا محمد أنه "خاتم" وليس "بخاتم"؟
- هل هناك آية أخرى في القرآن الكريم تصف سيدنا محمد بأنه آخر الأنبياء؟
- هل سمعت أو عبّر لك أي شخص عن شكوكه بشأن مدى دقة الاعتقاد بأن: سيدنا محمد هو آخر رسل الله؟
- هل قرأت في القرآن الكريم عن أي آية تشير إلى مجيء رسول جديد من عند الله؟

إن الإستفسار عن أو التأمل في الأسئلة السابقة سوف يُعزز بصيرتك فيما يتعلق بهذه العقيدة الهامة العظيمة ويهيئك ويُعدّك لما هو آتٍ. فلكي تستفيد من هذا الكتاب يجب أن تكون محايداً وبمعزلٍ عن المعتقدات الموروثة تماماً. عليك أن تفكر في الدلائل مثل القاضي أو أعضاء هيئة المحلفين دون التعلّق أو التمسك بمفاهيم شخصية سابقة.

### هبة القلب الجيد الطاهر

من الذي يختارنا فنكون مسلمين صادقين؟

سورة ٤٢، آية: ١٣

اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ.

سورة ٤٢، آية: ٥٢

نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا.

سورة ٢٣، آية: ٤٠

من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

سورة ٢٤، آية: ٣٥

يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ.

سورة ٢٨، آية: ٥٦

اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ.

على أي أساس يختار الله عباده؟ هل يكون اختياره على أساس الشهادات التي حصل عليها الانسان من جامعات العلوم الدينية الشهيرة؟ أم على أساس طهارة القلب والكمالات الإنسانية؟ يشير القرآن الكريم تكراراً إلى طهارة القلب كشرط ومتطلب أساسي لكي يكون المرء مختاراً. إذا كنت ممن وهبهم الله جلّ وعز القلب الطاهر، وإذا كنت محبباً حقاً للحقيقة، ستكون من المختارين حتى إن لم تكن تعرف كلمة عربية واحدة.

## المعنى المقصود "لخاتم النبيين"

إن عقيدة خاتم النبيين مبنية على آية واحدة مذكورة في القرآن الكريم. علينا أن نتأمل ونفهم هذه الآية أولاً ومن ثم نقوم بدراسة تلك الآية في الفصول التالية على ضوء العديد من آيات القرآن الكريم الوثيقة الصلة بالموضوع.

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ. سورة الاحزاب، آية ٤٠

يعتقد علماء الإسلام أن الآية المذكورة تمنح تكريماً خاصاً لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يشاركه فيه أحد من الانبياء، تماماً كما يعتقد اليهود بأن دينهم هو دين الحق *الوحيد* وكما يعتقد المسيحيون بأن السيد المسيح عليه السلام هو *المخلص الوحيد*. فهل إعتقاد المسلمين بأن كلمة "خاتم النبيين" والتي تعني أن سيدنا محمد هو آخر رسول من عند الله متألف مع التعاليم القرآنية؟ إن قلة من المؤمنين فقط يبذلون الوقت للتأمل في النتائج المترتبة على هذا الاعتقاد. إنهم ببساطة يقبلونها ولا يفكرون بها. إذا أخذوا وقتاً لدراستها بعناية فإنهم سوف لا يقبلون هذه العقيدة بهذه السهولة. لذا دعونا نبدأ بما يفشل في فعله معظم المؤمنين. لنضع هذا الاعتقاد تحت الضوء ولنرى بعض نتائجه وآثاره الواسعة النطاق. فبالفكر والتأمل في اصطلاح عقيدة ختم النبوة لدى المسلمين نجد بأنها تتضمن المفاهيم التالية:

- استمر الله بالإفاضة بكلماته إلى البشر عن طريق إرسال الرسل لفترة زمنية محددة في التاريخ وأخر هؤلاء الرسل كان سيدنا محمد عليه السلام الذي ظهر في القرن السابع الميلادي. دامت رسالته مدة ٢٣ عاماً وشهدت مرحلة تتويج تاريخ البشرية بكل ما يريد أن يهبه الله سبحانه وتعالى فقد أفاض على الإنسان وأعطاه ما يكفيه ليعيش في سلام ورخاء لمدة لا تقل عن ثلاث أو أربع آلاف مليون سنة— المدة المقدره لبقاء شمس الكرة الأرضية.
- إن القرآن الكريم هو البيان والتفسير الكامل والنهائي للوحي الإلهي المنزل على البشرية إلى الأبد. فلن ينزل أي كتاب مقدس آخر بعد ذلك للعالم الإنساني. وعندما صعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سنة ٦٣٢ ميلادية إنتهى الوحي الإلهي وانتهت الرغبة الإلهية في التحدث إلى البشر.



## كمال الخطة الإلهية الأصلية

قبل دراسة الآيات القرآنية الخاصة "بخاتم النبيين" دعونا نختبر تلك العقيدة بمقياس الحجة والمنطق.

سورة ٢٣، آية: ٨٠

أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟

سورة ٢٣، آية: ٨٥

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟

سورة ٢٣، آية: ٢٧

أَفَلَا يُبْصِرُونَ؟

سفر إشعياء، ١٨: ١

"هلمّ نتحاجج" يقول الربّ.

تأملوا تاريخ الأديان السماوية للبشرية. منذ فجر التاريخ (أي منذ حوالي ٤٥٠٠ سنة) حتى ظهور سيدنا محمد عليه السلام. تكلم الله سبحانه وتعالى إلى البشر ثماني مرّات عن طريق الرسل أو الأنبياء العظام المذكورين في القرآن الكريم:

١. آدم ٥. إبراهيم

٢. نوح ٦. موسى

٣. هود ٧. يسوع المسيح

٤. صالح ٨. محمد

أي أن الله سبحانه وتعالى يرسل الرسل بمعدّل كل ٦٠٠ سنة تقريباً. إذاً، لماذا يتوقّف الله فجأة من إرسال الرسل؟ وبالإضافة إلى المرسلين المذكورة أسمائهم أرسل الله رسلاً آخرين كثيرين، يقول القرآن الكريم:

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا. سورة ٤، آية: ١٦٤

وكما تشير التقديرات سوف تستمر الشمس ساطعة متألّقة لمدّة ثلاثة أو أربعة آلاف مليون سنة. فهل في مقدور أي شخص أن يتصوّر أو يتخيّل حال الحياة البشرية على الأرض بعد ألف سنة؟ إذاً ما بالك بعد ثلاثة أو أربعة آلاف مليون سنة من الآن؟ هل يكون معقولاً أو عادلاً أن يترك الله هذا التعداد من البشر الذي سوف

يعيش الدهور الآتية والتي لا يعلم مدة زمنها إلا الخالق عز وجلّ دون هداية أو وحي جديد من عنده؟ هل يمكنك أن تفكر عن أي مبررٍ لماذا سوف يتوقف خالقنا العطوف الحنون فجأة من التواصل مع العالم الإنساني؟

## الخطة الإلهية التامة الكاملة للكون والخليقة

علينا أن نتأمل الآن القرآن الكريم لمعرفة ما إذا كان يلقي أي ضوء على السؤال السابق، أو هل إذا كان هناك أي مبررٍ لمثل هذا التغيير الجذري في سنة الله. هناك عدة آيات قرآنية تُصرّح أن الله في علاقته معنا أنشأ نظاماً أو ترتيباً معيناً لن يتغيّر ابداً. فيقول القرآن الكريم:

سورة ٤٨، آية: ٢٣  
سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا.

ماذا تُعلمنا الآية السابقة؟ إن الله سبحانه وتعالى لا يغيّر أو يبدّل قوانينه وقواعده أو النظام الذي خلقه. فنظراً لأن الخالق حائز للكمال المطلق، فكل ما يخلقه يجب أن يكون كاملاً منذ البداية:

سورة ٦٧، آية: ٣  
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُتُورٍ.

ويشهد الكتاب المقدس بكمال خلق الله فيقول:

التثنية، الفصل ٣٢، آية: ٤  
الكمال صنيعه. إن جميع سبله عدل.

مزامير، الفصل ١٨، آية: ٣٠  
الله طريقه كامل. قول الربّ نقي.

إن كثيراً من المؤمنين يستشهدون بالآية التالية التي تشير إلى أن الاسلام دين كامل. فيتساءلون كيف يمكن إدخال تحسينات أو إضافات لشيء كامل؟

سورة ٥، آية: ٣  
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا.

ولكن نظراً لأن القرآن الكريم له إجابة على كل سؤال دعونا ننتقل إلى هذا السفر القويم. فالآيات القرآنية تبين أن كل دين يكون كاملاً لفترة زمنية محدّدة. هل الدين الذي أنزله الله على سيدنا موسى له عيوب أو به أي خلل أو نقص؟

سورة ٦، آية: ١٥٤  
ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ.

سورة ٧، آية: ١٤٥  
وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ.

فإذا كان كتاب التوراة كاملاً وقد شرّح كلّ شيء فلماذا أنزل الله الإنجيل ثم بعد ذلك القرآن؟

فلننظر الآن إلى ذلك السؤال من المنظور المنطقي. إن الكمال على مستويين: الكمال المطلق والكمال النسبي. فالأول مختص بالله وحده، والكمال النسبي مختص بنا نحن البشر. إن التغيير والنمو هما من العناصر الأساسية للكمال النسبي. دعونا نأخذ بعين الاعتبار مثلاً لذلك، يكون الطفل كاملاً حين الولادة وحليب الأم هو الغذاء الكامل له. والطفل ذاته يكون كاملاً في سن الرابعة. ولكن هل يظل الحليب لوحده الطعام الكامل له أيضاً؟ فما أنزله الله لبني إسرائيل كان كاملاً في وقته. وما أنزله سبحانه وتعالى لكل رسول كان كاملاً في وقته. وكما رأينا فإن القرآن الكريم أكد كمال كتاب سيدنا موسى.

أما إبداع الكون والخليعة فيُظهر بأن *النمو هو سمة أساسية من سمات الكمال*. والنمو يضيف إلى جمال وتنوع وعظمة الكون. فتخيّل مثلاً لو خُلِقنا بالغين! تخيل أن نكون محرومين من بهجة ومتعة تعلم المعارف الجديدة إلى الأبد بسبب أن نمونا وإدراكنا أصبح كاملاً! هنا مرة أخرى يوضح القرآن الكريم هذه السمة:

وَأِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ.  
سورة ١٥، آية: ٢١؛  
أنظر أيضاً سورة ٥، آية: ١٠٢-١٠١

إن التعبير بكلمة "ننزلّه" يشير إلى آيات الوحي الإلهي. فتبيّن لنا الآية السابقة: أن الله سبحانه وتعالى هو مصدر أو منبع للكمال المطلق والعلوم والحكمة الإلهية التي لا أول لها ولا نهاية. ولكن يُظهر علمه وحكمته تدريجياً وبناءً على قدر محتوم فيقول القرآن الكريم:

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا.  
سورة ٤٨، آية: ٢٣

الكلمة العربية المستخدمة لبيان طريقة الله ونظامه للكون والخليعة هي السنة. هكذا يُعرّف القاموس كلمة سنة، بأنه: نظام، قانون، ناموس، عُرْف، التقاليد الأخلاقية، خطة عامة للسلوك، طريقة الحياة. إن جوهر مفهوم السنة هو التكرار والسلوك أو عُرْف يتكرر باطراد.

ربما أفضل ترجمة لكلمة السنة كما استُخدمت في القرآن هو: *الطريقة لعمل شيء ما*. فالشرط الأساسي الجوهرى لإبداع الكون والخليعة وهو—أن الله لن يُغيّر سنته—هام وله دلالاته، وسوف نرى بأن عبارة سنة الله قد تكررت عدة مرات في القرآن.

إن الماضي هو مرآة سنة الله للمستقبل. فماذا كانت "سنة الله" للأجيال السابقة؟ لقد كانت سنته إرسال الرسل متعاقبين وبالتتابع:

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا.  
سورة ٢٣، آية: ٤٤

السؤال الحاسم أو الخطير هو: لماذا يعتقد المسلمون بأن الله قد غير فجأة سنته في إرسال الرسل؟ لماذا **يقطع** فجأة صلته بالعبادة؟ لماذا **يتوقف** عن إرسال نصيبٍ أو جانبٍ من خزائن علمه؟ إن حرمان البشر من بدائع

فضله ليس بتغيير بسيط في "سنة الله" وطريقته المعتادة. هل من الممكن أن تتخيل تغييراً في سنة الله أكثر أهمية من ذلك؟

قارنوا رسل الله بمُعلمي المدرسة. إن الشرط الأساسي لنظام المدرسة ( أي السنة المتبعة ) هو أن يكون للأطفال مُعلمين. لنفترض أن يأتي مُعلم الفصل الرابع فيقول: إن تلاميذي لا يحتاجون بعد هذه المرحلة لمعلمٍ آخر، وإذا سُئِل لماذا؟ يُجيب بأن: لديهم كتابٌ كامل ومدرّسٌ مثالي قد تعلّموا منه كل ما هو في الكتاب. فإدعاءً مثل هذا هو مشابه للمعتقَد والإيمان بأننا تعلمنا من الله سبحانه وتعالى كل ما نحتاج أن نتعلمه لذلك لا نحتاج إلى معلمٍ آخر.

فهنا مرّة أخرى يرشدنا القرآن الكريم ويؤكد ما يقتضيه المنطق والعقل. وهو أن نظام إرسال الرسل هي "سنة الله" وأن سنة الله لا تتغيّر:

سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً. سورة ١٧، آية: ٧٧

وهذه القاعدة الأساسية التي تقول أن سنة الله لا تتغيّر ولا تتبدّل منصوص عليها أيضاً في التوراة كما نرى:

ما كان فهو ما يكون والذي صنع فهو الذي يصنع. سفر الجامعة، الفصل ١، آية: ٩

سؤال: ما هو أهم "سنة" موجودة بين الله والبشر؟ هل من الممكن أن نتصور أي "سنة" أو أي قانون أو قاعدة أو أصول متبّعة أكثر أهمية من التواصل بين المحبوب والحبیب؟ ولماذا يبطل الله فجأةً هذه السنة الإلهية الحاسمة؟

من الممكن مقارنة الرسل والأنبياء بجهاز الاستقبال مثل التليفون أو الراديو. فإله سبحانه وتعالى هو مصدر الرسائل التي تُبعث لنا. إذاً لماذا يتوقف الله سبحانه وتعالى فجأةً بالتحدث إلينا؟ لماذا يتخلى عن طريقته من التواصل مع من يُحب؟ ولماذا يتوقف فجأةً من أن يهب قسطاً من علمه اللامحدود؟ أليس للخالق أي رسالة أخرى للعالم الإنساني؟ ألا يرغب سبحانه أن يفيض علينا بالعلم والمعرفة ويذكّرنا أن نعيش في حب وسلام؟ وهل نفذت كلماتُ خالقنا؟

ولو أنّما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله إنّ الله عزيز حكيم. سورة ٣١، آية: ٢٧

قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً. سورة ١٨، آية: ١٠٩

تأملوا في هذه الآية:

قل لو أنّتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق وكان الإنسان فتوراً. سورة ١٧، آية: ١٠٠

لاحظوا كيف يُفسّر يوسف علي ( أحد أشهر مفسري القرآن ) الآية السابقة، فهو يقول:

لدينا استفسار من أولئك الذين يقتصرون وحي الله سبحانه وتعالى لفئة محدّدة من البشر سوف نتطرق إليه في نهاية المقال: إن الآية المذكورة سابقاً موجّهة إلى اليهود الذين لا يدركون كيف يمكن لمجموعة أخرى من الناس (غير اليهود) أن ينالوا وحيًا وهدايةً قد يكون أرفع وأجل مقاماً لما اعتبروه ميراثاً لهم وحقهم المكتسب. ولكن هذه النزعة ذائعة ومنتشرة في الجنس البشري. فكثير من الأعراق أو طوائف معينة أو بعض أنواع من الحضارات تدّعي بأنها هي الوصي والأمين لرسالة الله، في حين أن الرسالة الإلهية شاملة وعالمية. فرحمة الله عامّة، والله ينثر كنوز رحمته الثمينة بين مخلوقاته وهي لا تُستنفذ بالبذل والإنفاق. إن البخلاء فقط هم الذين يدخرون ثرواتهم خوفاً من أن تُستنفذ بالإنفاق. هل أنتم بخلاء روحانيون فتصدون رسالة الله المقدسة عن عامة الناس. هل هذا هو السبب الداعي لإتكاركم ظهور المعلم الجديد؟ (التشديد مضاف) والذي يأتي كرحمة لكل الناس ولكل الخلق.

إن الكاتب يوسف علي أدرك موضوع استمرارية سنة الله في إرسال الرسل ولكنه طبق هذا الموضوع على غيره من الأمم، فالمسلمون يعتقدون بانقطاع الرسالات الإلهية برسالة سيدنا محمد وهذا ما أخذه مفسر القرآن على اليهود في مقاله بالرغم من أن المسلمين الآن يسلكون نفس المسلك الذي سلكه اليهود في هذا الشأن. وقال الله تعالى:

سورة ٢٥، آية: ٥١

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا.

كما نعلم فإن كل ما يختص بالله عز وجلّ هو لا محدود وغير متناهٍ. فكيف إذا يُعقل أن يُحد من ظهور المعرفة الإلهية والعلم الإلهي لفترة معينة من الزمن.

إن الجزء الكبير من القرآن هو قصص الرسل السابقين. وقد قال الله سبحانه وتعالى لسيدنا محمد باستمرار:

سورة ٤٠، آية: ٧٨؛ سورة ١٣، آية: ٣٨

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ.

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى  
سورة ٣، آية ١٣٨-١٣٧ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ.

وفي نفس سورة "أل عمران" وبعد ست آيات لاحقة يذكر القرآن الكريم:

سورة ٣، آية: ١٤٤

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ.

لنتأمل ونرى ماذا تُعلّمنا الآية السابقة؟ إن سيدنا محمد عليه السلام متلّهُ مثل الرسل السابقين. بمعنى آخر فهو ضمن سنة الله، ومن ثم لا ينبغي لنا أن نتوقع من حضرته شيئاً عجاباً. إذا كان تعاقب وتتابع الرسل سوف تنتهي بسيدنا محمد عليه السلام، وإذا كان القرآن الكريم قصد أن يقول بأن ظهور النبي محمد سوف تُنهي سنة الله الراسخة في إرسال رسول جديد ألمّ يجدرُ بأن يذكّر في نهاية الآية بضع كلمات عن مكانة ومنزلة سيدنا محمد الفريدة؟ ألم يجدرُ بأن تُصرّح الآية أن محمداً مثله مثل سائر الرسل، ولكنه آخرهم؟ بل على العكس، تدل الآية السابقة بوضوح أنه ليس ثمة ما هو فريد أو استثنائي عن سيدنا محمد عليه السلام بل هو

رسول شأنه شأن الآخرين الذين سبقوه. هذه الآية تعطينا دليلاً أكثر بأن ظهور سيدنا محمد ليس هو الفصل الأخير في ظهور المعرفة والحكمة الإلهية.

ولننظر الآن إلى الآية التالية:

"قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّنَ الرُّسُلِ... وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ." سورة ٤٦، آية: ٩

تشير الآية السابقة على أن سيدنا محمد عليه السلام ليس رسولاً بدعاً مُرسلاً بمهمة جديدة فقد سبقه آخرون مثله. وتدل الآية التالية على ذات المعنى:

شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا... وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى. سورة ٤٢، آية: ١٣

إذا كان الإسلام مثله مثل الديانات السابقة، والديانات الأخرى كمثل بعضها البعض، فلماذا لدينا كل هذه الرسالات؟ إن السبب في إرسال الرسل بين الحين والآخر هو كثرة نسيان الناس. فهم يحتاجون إلى منذرٍ يذكّرهم مرةً كل عدة قرون، فيغرس الله سبحانه وتعالى الأمل في قلوبهم وينذرهم بعواقب التمسك بهذه الدنيا والابتعاد عن الله. وبما أن كل دين هو مثل الديانات الأخرى فعلى ذلك يمكننا القول بأن كل دين هو الأوّل والأخر! تمعن في هذه الآية البديعة:

هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا. سورة ٢٢، آية: ٧٨

إن الآية السابقة موجهة إلى المسلمين الأوائل المعاصرين لسيدنا محمد عليه السلام، فسماهم بالمسلمين عندما لم يكن الإسلام أو المسلمون قد وُلدوا بعد. من الواضح أن الآية لها معنى رمزي وتشير إلى أن المؤمنين **الصادقين** الذين يعيشون في أي عصر من التاريخ حتى لو لم يسمعوا بكلمة "مسلم" من قبل فإنهم لا يزالون يُعتَبَرُونَ مسلمين. ومن المنظور الإلهي، نجد بأن الإسلام يتجاوز عالم الزمان وعالم الأسماء ويسمو فوقهم. وهكذا فأى دين ظهر أو سيظهر يمكن أن يسمّى بالإسلام. وإذا كان هذا التعبير صحيحاً لسمى دين الله سبحانه وتعالى الذي ظهر أو سيظهر في المستقبل فلماذا لا يُطلق مسمى واحد لرسله المؤسسين لرسالاته بالرغم من أنهم ينادون إلى حقيقة واحدة؟ إذاً فكل رسول ظهر من عند الله أو سيظهر يمكن أن يسمّى محمداً.

هل أنزل الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم آية تقول إنه سوف لن يبعث رسولاً بعده؟ هل هناك آية في القرآن الكريم تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى سوف ينهي سنّته بعد سيدنا محمد؟ لا، لا توجد أي آية في القرآن الكريم تشير إلى هذا المفهوم حتى ولو من بعيد. على العكس، لقد وعد الله وبشّر مراراً وتكراراً بأنه سوف يُواصلُ ويفي بسنّته بإرسال رسول جديد وكتب جديدة:

"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ... لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ." سورة ١٣، آية: ٣٩-٣٨

ولنتمّن في هذه الفقرة: "لكل أجل كتاب..." لقد أنزل الله التوراة منذ زمن بعيد، وعند مجيء السيد المسيح عليه السلام بدّل الله بعض تعاليم التوراة (مثل قانون الطلاق) وأكد وعزّز بعض تعاليم وأحكام الرسل

السابقين. وحين جاء سيدنا محمد عليه السلام لم تتغير سنة الله في تبديل أو تثبيت ما يشاء. فأنزل بعض التعاليم الجديدة وأثبت بعض تعاليم الرسل السابقة. هذه هي سنة الله منذ فجر التاريخ وكما صرح القرآن الكريم سوف يظل إلى الأبد. القول بأن "لكل أجل كتاب" هو مثل قولنا: هناك كتاب للأطفال في السن التاسعة وكتاب آخر عند بلوغهم سن العاشرة وهكذا. فاستمرارية ظهور المعرفة والعلم والتعاليم الإلهية لا تتوقف أبداً، لاحظ هذه الآيات من القرآن الكريم:

سورة ٣٥، آية: ٢٤

وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ\* إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ.

سورة ١٦، آية: ٣٦

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا.

لكي ندرك معنى كلمة "سنة الله" بمفهوم أوضح دعونا نقارن العالمين الروحاني والمادي. فعندما خلق الله الكون أنشأ نظاماً وترتيباً يسير عليه عالم الطبيعة. فوضع قوانيناً معينة لم تتغير مطلقاً. يصدق ذلك أيضاً مع نظامه وقانونه الروحاني تلك التي تحدّد علاقته مع البشر. فهل غير الله القوانين الطبيعية؟

إن سنة الله ثابتة ولا تتغير وكذلك الطبيعة البشرية كما جاء في الآية التالية:

سورة ٣٠، آية: ٣٠

فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ.

إذا كانت فطرتنا ثابتة لا تتبدل، وإذا كانت سنة الله لا تتغير فلماذا ينبغي أن تتبدل الصلة التي تربطنا بالخالق؟ فالادّعاء بأن الله سوف يتوقف فجأة بالاتصال بنا في حد ذاته غير معقول وهو قولنا بأن البشر سوف يتوقفون فجأة من التحدث مع بعضهم!

إن سنة الله الأبدية والثابتة التي لا تتبدل هي في غاية الأهمية وقد أكدها القرآن الكريم في كثير من آياته. لاحظ بأن عبارة "سنة الله" تكررت ثلاث مرات في الآية التالية في ثلاث جمل بكلمات متطابقة تقريباً مع كلمة "لن" فليس هناك مدلولاً في القرآن الكريم حاز على هذا القدر من التأكيد وجاء بهذا الأسلوب الفريد:

سورة ٣٥، آية: ٤٣

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا.

انظر أيضاً: سورة ٣٣، آية: ٣٨ و ٦٢؛ سورة ١٠، آية: ١٠٢؛ سورة ٤٠، آية: ٨٥

وانظر أيضاً كيف يصف الله نفسه في الآية التالية:

سورة ٣٣، آية: ٦-٣

إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ.. إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ.\*

لقد نوّه مؤلف هذا الكتاب (خاتم النبيين) وذكر بأنه قد جاء في ترجمة الآية السابقة باللغة الإنجليزية من قبل اثنين من علماء المسلمين في السعودية كلمة (الرسول) بعد كلمة مرسلين أي أن إرسال الرسل هو رحمة من ربك.

\* إن كلمة أمة كما استخدمها القرآن تشير في المقام الأول إلى مجموعة من الناس يدينون بدين معين كاليهود والمسيحيين والمسلمين وليس هناك ما يعادل هذه الكلمة بالإنجليزية. المزيد عن كلمة "أمة" سيأتي لاحقاً.

✦ محمد حسن خان ومحمد تقي الدين الهلالي.

وكذلك جاء في تفسير الجلالين والتفسير الميسر الآتي: "إنا كنا مرسلين إلى الناس الرسل محمداً ومن قبله".  
تعلّمنا الآيات السابقة درساً مهماً وهو أن إرسال المرسلين والمنذرين دليلٌ على رحمة الله سبحانه وتعالى.  
فهل سوف تنقطع رحمة الله؟ هل يغيّر الله سنته في إظهار محبته لخلقه بإرسال الرسل لهدايتهم؟  
وفي الختام، يتبين لنا بأنه عندما خلق الله الكون وخلق الإنسان قام بذلك ضمن خطة كاملة، فكما أن القوانين التي تحكم الطبيعة تبقى بدون تغيير، كذلك القوانين والعلاقة التي تربطنا بالخالق تظل تحت سنته التي لا تتبدّل.

### التعاليم الروحانية والاجتماعية والثقافية

إن جميع رسل الله يأتون بصنفين من التعاليم: الروحانية والاجتماعية. إن التعاليم الروحانية الإلهية – والتي تُعتبر رسالة الله الأساسية لخلقه – لم تتغير من عصر إلى عصر:

سورة ٤٢، آية: ١٣

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا.

جاء في التفسير الميسر وتفسير الجلالين:

شرع الله لكم—أيها الناس—من الدين الذي أوحيناه إليك -أيها الرسول، وهو الإسلام- ما وصّى به نوحاً أن يعمله ويبلّغه، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى.

أن أقيموا الدين بالتوحيد وطاعة الله وعبادته دون من سواه.

فكما تشير الآية السابقة أن كل ما قد قيل لسيدنا محمد عليه السلام قد قيل للرسل من قبل. لذلك إذا شبّهنا التعاليم الروحانية الإلهية (وهي إقامة الدين بالتوحيد والحث على الفضائل الإنسانية) بجسد الانسان والتعاليم الاجتماعية بالملابس التي تغطي الجسد، نرى أنه بمجيء كل رسول جديد تتبدّل الملابس القديمة البالية بملابس جديدة فتزيد جسد الإنسان رونقاً وجمالاً.

وتشير الآية التالية على أن سيدنا محمد عليه السلام صدّق الحقائق الروحانية الأبدية للتوراة وغير بعض القوانين المحرّمة السابقة.

سورة ٣، آية: ٥٠

وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَجَلًا لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ.

دعونا نقارن كلاً من القرآن الكريم والإنجيل لنرى ما إذا كان الهيكل والنص في كلا الكتابين المقدسين واحد أم لا، فبالنسبة للتعاليم الروحانية إن كلا الكتابين:

• يرشدان إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.



- يتحدثان عن الرسل السابقة.
- يعطيان تعليمات عن القيم الأخلاقية.
- يشجعان الإنسان بتلاوة الأدعية حتى يتقدم روحانياً.
- يُخبران عن الحياة بعد الموت.
- ينبئان بظهور الرسل في المستقبل .
- يشجعان الإنسان على تحرّي الحقيقة بذهن غير متحفظ ودون الاعتماد على ما توارثه من آبائه وأجداده.
- يذكّران العباد بعدل الله—أي المكافأة والعقاب.

وماذا عن فوارق الكتابين؟ إنهما يختلفان فيما يتعلق بالاحتياجات الاجتماعية والثقافية وظروف "الأمة" التي قد نُزّل الكتابان من أجلها. وكما أن المجتمعات تتغير فيجب أن تتغير القوانين الاجتماعية التي تحكمها. وحيث أن الطبيعة البشرية ثابتة ولا تتغير فإن التعاليم الروحانية التي تحكمها يجب أن تظل ثابتة.

إن الاختلافات بين الديانات الجلييلة العظيمة تكمن في قوانين الزواج والطلاق والدفن وأيام الإجازة والراحة والأيام المقدسة والأطعمة المحرّمة والملابس مثل لبس وشاح أو ( طرحة) لتغطية الشعر(سورة ٢٤: آية ٥٨). هذه الأشياء ليست من التعاليم الأساسية للدين. فهل يرفض الله أعمال أو صلاة عباده إذا كانت عطلتهم الأسبوعية يوم الأحد بدلاً من يوم الجمعة؟ فلنتمعّن في هذه الآية:

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا... وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. سورة ٥، آية: ٩٣

وماذا عن القيم الروحانية؟ قارن فرداً مسلماً غير أمينٍ ومخادع بشخص مسيحي أمين وصادق. فمن منهم يكون قريباً من الله وينال رضاه؟ بالطبع، الشخص المسيحي الأمين لأنه يعمل بما يؤمن به، ولكن الشخص المسلم فهو منافق. ولا يمكن أن يكون مسلماً ومنافقاً في نفس الوقت!

وماذا عن السيدة المسلمة التي تلبس الحجاب ولكنها غير عفيفة، والسيدة المسيحية المحتشمة العفيفة، فمن منهن أيضاً تنال رضاء الله؟ إن الجواب واضح. فتمسكنا بالدين ليس له أي علاقة بما نلبس ولكن بما نتحلى به من قيم وفضائل أخلاقية التي هي من صلب الدين. فالتحريض على العنف والقسوة والحروب يأتي من قبل الأشخاص المتمسكين بشكلياتهم قوانين الدين ويزدرون روح الدين وأموره المعنوية.

ما هو الفرق بين:

- الشخص المؤمن الصالح، سواء كان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً.

- الشخص غير المتمسك بدينه سواء كان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً.
- الشخص سيء الخلق، سواء كان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً.

هل هناك أي فرق؟ لا، إنهم جميعاً في كل حالة سواء. فلنتمعن فيما يقوله القرآن الكريم:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

سورة ٢، آية: ٦٢

إن التعاليم الروحانية الأساسية أيضاً – ومنذ أيام سيدنا نوح إلى الآن – لم تتغير:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا  
الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ.

سورة ٤٢، آية: ١٣

إذا فالدين ليس بمشكلة، ولكن البشر أنفسهم لهم صفات غير مرضية منها الأنانية والحسد ويضعون حدود  
التفرقة بين ديانات الله العظيمة وبعد ذلك كل أمة تدعي بأنها هي شعب الله المختار التي سوف تشملها رحمة  
الله كما قال تعالى:

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَاتِيهِمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

سورة ٢، آية: ١١١

كيف يرد الله سبحانه وتعالى على أولئك المتعصبين من اليهود والمسيحيين الذين يدعون أنهم هم المفوض  
لهم فقط بدخول الجنة؟ هذا هو رده:

بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

سورة ٢، آية: ١١٢

## نظرة عملية وتاريخية

دعونا نفحص وندرس عقيدة "خاتم النبيين" من الناحية التاريخية والاجتماعية والعملية. إن تطوّر الحضارة  
المدنية للجنس البشري حتى ظهور سيدنا محمد كان بطيئاً تماماً، ومع ذلك أرسل الله سبحانه وتعالى رسولاً  
جديداً كل ٦٠٠ عام تقريباً وفي كل مرة بتعاليم جديدة للبشرية. فظلّ معدل تطوّر الحضارة أساساً على نفس  
المستوى لقرون عديدة. ولكن في أواخر القرن الثامن عشر بدأ العالم يتغيّر على نطاقٍ لم يسبق له مثيل من  
قبل. ومنذ ذلك الحين ما زال معدل التغيّر في تسارع، ولا يعرف أحد ممّا ماذا يحمل لنا المستقبل. تخيل كيف  
تطوّر العالم منذ زمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما كان امتلاك الرقيق وخاصة من النساء شيء  
مقبول ومتعارف عليه عند العرب ولم يمنع القرآن الكريم هذه الأعراف، بل يشير إلى هؤلاء النساء في عدة  
آيات قرآنية ولم يأمر الرجال بإلغاء هذه الأعراف والموروثات. قال الله تعالى في القرآن الكريم:

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا  
مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا.

سورة ٣٣، آية: ٥٥

انظر الآيات التالية: سورة ٢، آية: ٢٢١؛ سورة ٢٣، آية: ٦؛ سورة ٢٤، آية: ٥٨-٣٣؛ سورة ٧٠، آية: ٣٠

وفي الواقع، ظلت ممارسة امتلاك الرقيق عادة دارجة ومسموح بها قانونياً في العالم حتى منتصف القرن التاسع عشر. أما اليوم فيُعتبر إمتلاك الرقيق غير قانوني حتى في الدول الإسلامية التي تمارس تعاليم القرآن الكريم حرفياً.

ولننظر أيضاً إلى عقاب السارق المذكور في القرآن الكريم:

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. سورة ٥، آية: ٣٨

هل تمارس الدول الإسلامية هذه العقوبة الآن؟ ماذا عن العقوبة المعينة للذين يرتكبون الزنا أو الخيانة الزوجية؟

فلننظر أيضاً إلى عقاب الزنا المذكور في القرآن الكريم:

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عِدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ. سورة ٢٤، آية: ٢

دعونا نتأمل القوانين والتعاليم الاجتماعية الأخرى في القرآن الكريم والتي لم تُعد تُطَبَّق على نطاق واسع. إن إحدى دعائم الحضارة هي البنوك، والبنوك في الدول الإسلامية تنمو وتزدهر مثل البنوك في الدول المسيحية، ومع ذلك القرآن الكريم يمنع إعطاء أو أخذ فائدة لمن يستعير أو يستثمر المال.

لنقرأ ما أنزله الرحمن في القرآن:

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَاتَّقِهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. سورة ٢، آية: ٢٧٥

وأيضاً إن مسألة تعدد الزوجات، كونه مسموحاً في القرآن الكريم بل إنه مشروط بالعدل ولكن قد تم التخلي عنه، فأصبح الزواج عكس ما جاء في القرآن، فحلل رجال الدين لأنفسهم أكثر مما حلل الله لهم بنفي وتغيير كل الأخلاقيات والمبادئ الدينية. فقد تفرَّع الزواج إلى مسميات عديدة منها: المسيار، العرفي، المتعة، المسفار... الخ. وأصبحت التعاليم المذكورة في القرآن الكريم مهجورة أو مهملة في الوقت الحاضر، سواء أكانت لأسباب الإنحطاط الخلقي أو لعدم تأثيرها على العباد، فكيف يمكن لهذه التعاليم المذكورة في القرآن تلبية الاحتياجات الاجتماعية في المستقبل لملايين السنين؟

إن التغيير هو إحدى الملامح الأساسية للكمال. ففي خلال الثلاثة وعشرين سنة لرسالة سيدنا محمد عليه السلام ورغم قصر مدتها ولكننا نرى بأن الله سبحانه وتعالى غير بعض الاحكام والتعاليم الاجتماعية للقرآن الكريم.

لقد كان هناك تدرج في التحريم بخصوص المُسكِّرات من مديح إلى تحريم وأخيراً حظر على مر السنين من نزول القرآن الكريم. فالإشارة الأولى التي ذكرها القرآن هي في الفترة التي قضاها سيدنا محمد في مكة:

ومن ثمرات النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

سورة ١٦، آية: ٦٧

وبعد هجرة محمد إلى المدينة تحوّل الأمر بنزول الوحي إلى الآتي:

يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما. سورة ٢، آية: ٢١٩

وجاء فيما بعد تغيير آخر فنزلت الآية:

الخمر...رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه. سورة ٥، آية: ٩٠

يعلق الباحث الباكستاني الشهير فضل الرحمن على هذا التغيير بقوله: "يبدو أن استعمال الخمر كان مسموحاً به في السنين الأولى، ولكنه كان محرماً عند أداء الصلاة...وفي النهاية، مُنع منعاً باتاً."<sup>١</sup>

وفيما يلي المصادر القرآنية:

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. سورة ١٦، آية: ٦٧

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا. سورة ٢، آية: ٢١٩

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

سورة ٥، آية: ٩٠

وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ.

سورة ١٦، آية: ١٠١

مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

سورة ٢، آية: ١٠٦

لماذا يُبدّل الله بعض قوانينه وأحكامه؟ ولماذا ينسى البشر بعض آيات الله؟ لاحظوا كيف يرد يوسف علي الباحث في العلوم الإسلامية على هذه الأسئلة:

وبنظرة عامة إلى هذا الموضوع يتبين لنا بأن الرسالة الإلهية هي ذاتها في كل عصر، ولكنها تختلف في

الشكل والمظهر حسب احتياجات ومتطلبات الزمن. وهذا الشكل والبناء أي تعاليم الرسالة كانت مختلفةً

حين أُعطيّت لموسى ثم لعيسى وبعد ذلك لمحمد...<sup>٢</sup>

لنفكر سوياً كيف سيكون حال العالم بعد ألف سنة من الآن، وما بالك بعد ملايين السنين؟

لنتأمل أيضاً تواصلنا الروحاني مع الله سبحانه وتعالى. إن الذين يحبّون بعضهم بعضاً يستمتعون بالحديث

والحوار فيما بينهم. فإذا كان الله هو جوهر ومصدر الحب، فكيف لنا أن نتصور بأنه تعالى لن يبعث برسالة

لعباده المحتاجين له والمعتمدين عليه في جميع أمورهم؟

لنتخيّل أيضاً عدد سكّان العالم الذين سيعيشون على الكرة الأرضية في المستقبل بعد عصور عديدة لا تحصى. أليس هم بحاجةٍ لكي يسمعوا من خالقهم؟ ألن يكون لدى الله من شيء ليقوله لهم بعد مرور ملايين السنين؟ ما هي أهمية الصمت؟

كيف نتطلع باتقاد وحماس إلى تلقي رسائل من أحبائنا؟ إن التواصل هو من أعظم نعم الله علينا، فلماذا سوف يحرماننا سبحانه وتعالى من هذه النعمة؟

إذاً، فمن الناحية العمليّة والاجتماعية والتاريخية ومن المنظور المنطقي، نرى أن عقيدة "خاتم النبيين" تعاني من عيوب خطيرة بسبب:

- أنها تعني بأن خطة الله الأساسية لخلقه أو سنّة الله الأولى كانت ناقصة أو غير تامة، ولذلك غير الله سنّته من بداية القرن السابع الميلادي.
- أن تلك العقيدة تتعاضى أو تُهمل الحقيقة البديهية: وهي أن العالم لا يزال في تطوّر وتغيّر مستمر وكما أن العالم يتغير كذلك يجب أن تتغير القوانين والتعاليم الاجتماعية التي تحكم جمهورها وشعبها.
- أنها مخالفة لطبيعة الله وهي الحب فيصّد بذلك باب التحدث مع أحبائه.

إن الفصل التالي يبحث عن المعنى المقصود من عبارة "خاتم النبيين". ويبين كيف اشتقّ الفقهاء بدون مبرر من هذه العبارة مفهوماً بمعنى "نهائي" أو "آخر" لكلمة "خاتم".



## ما المقصود بعبارة "خاتم النبيين"

على عكس ما يعتقد معظم المسلمين فالقرآن الكريم لا يغلق باب الوحي أو المعرفة و لا يصده أمام ظهور رسالة جديدة من عند الله. بل في الواقع يشير القرآن إلى عكس ذلك. فقبل أن نقوم بدراسة الآيات التي تشير إلى مجيء رسالات جديدة من عند الله دعونا أولاً نُظهر ونكشف ما هو المقصود من كلمة "خاتم" في هذا الفصل، ثم نرى كيف ولماذا أُسيء فهم وتفسير تلك الكلمة من قبل عدد كبير من المؤمنين طوال قرون عديدة.

الخطوة الأولى للبحث في موضوع "خاتم النبيين" هي إلقاء الضوء على الاستراتيجيات التي اعتمدها المفسرون المسلمون كي يستنتجوا المعنى المنشود من كلمة "خاتم" أي بمعنى "خاتم أو آخر". والتفكر في هذا الموضوع سيضيء نور المعرفة ويزيل الغموض عن القوى الهائلة التي منحها رجال الدين لهذه الكلمة الواحدة من بين آلاف الكلمات في القرآن الكريم. فكلمة "خاتم" تستعمل في كل من اللغتين العربية والإنجليزية كإسم وصفة وفعل. ولندرس الآن كل مشتق من الكلمة على حدة.

### كلمة "خاتم" كفعل

عندما تكون فكرة "نهاية أو ختم" مناسبة لمفهوم ما، فإن كلمة "خاتم" يمكن أن تعني ضمناً ختامي أو نهائي مثال ذلك: ختمّ المكتوب أو الرسالة والقارورة والأنبوبة وحتى على فم شخصٍ ما! فمثلاً من المنطقي أن نقول "ختمتُ على فم أختي" (وثيق الصلة بالموضوع) ولكن ليس من المعقول أن نقول ختمتُ أختي. وبالمثل تعطينا كلمة خاتم معنى اصطلاحى في قوله تعالى: "ختمّ الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوةً." (سورة ٧، آية: ٢). ولكنها لا تعطينا أي معنى إذا قيل: ختمّ الله رسولاً! يستعمل القرآن

الكريم كلمة خاتم كفعل ولكن استخدامه دائماً مناسب لمفهوم "الختم والنهاية" وغالباً ما تشير إلى فئة من الناس الذين لا يستحقون نعمة الهداية وموهبتها.

اليوم نختم على أفواههم .

سورة ٣٦، آية: ٦

وفي الإنجيل المقدّس تستعمل كلمة خاتم لإيصال فكرة السرية والكتمان والختم والنهاية مثال ذلك:

أما أنت يا دانيال فأخف الكلام واختم السفر إلى وقت النهاية.

دانيال، الفصل ١٢، آية: ٤

وانظر أيضاً رويًا يوحنا اللاهوتي، الفصل ٢٢، آية: ١٠

### كلمة "خاتم" كصفة

تُسْتَعْمَلُ كلمة خاتم كصفة، مثال ذلك: "رحيق مختوم" (سورة ٨٣، آية: ٢٥). وإذا كانت هذه الصفة مناسبة للفكرة الأساسية فربما تعطينا مفهوم الختام أو النهاية. فيمكننا أن نقول "ظرف مختوم" أو "رحيق مختوم" أو أفواه مختومة ولكننا لا نستطيع أن نقول طفل مختوم أو أب مختوم. إن مثل هذا الاستخدام غير مصطلح.

في أغلب الأحيان كلمة "خاتم" كصفة تشير إلى ملكية وسلطة وضمن، مثال ذلك: وثيقة مختومة، فإنها لا تعني وثيقة ختامية أو نهائية ولكن هي وثيقة رسمية وُضِعَ عليها ختم التصديق وفي هذه الحالة يكاد خاتم يعادل التوقيع. فتضع شركة ما ختمها على قنينة المشروبات للأسباب التالية:

١. لتحديد نوع المشروب وليبيّن مصدر صناعته.

٢. للتعبير عن نوعيّة المشروب الفريدة.

٣. لحماية محتويات الزجاجاة وإثبات نقاوتها وإنها لم تُفْتَحْ.

مثال: لننأمل زجاجتين من المشروبات، نلاحظ بأن كليهما مغلقتان بسداد محكم، إحدى الزجاجتين عليها ختم والأخرى بدون. فالزجاجاة التي تحتوي على الختم تكون قيمتها أكبر لأن عليها "ختم رسمي" للشركة المصنعة، علاوةً على ذلك فإن الختم يدل على ضمان محتويات الزجاجاة وإنها لم تُفْتَحْ بعد.

إننا لا نستطيع أن نغلق الزجاجاة بالختم ولكننا نغلقها بالفلين وبعد ذلك نضع الختم الرسمي كدليل لضمان محتويات الزجاجاة. يوجد في الولايات المتحدة منظمة لإختبار الخصائص التي يفرضها القانون على المنتجات، وإذا حازت هذه المنتجات على المستوى المطلوب، يصرّح للصانع وضع الختم المعروف باسم: ختم الجودة النوعية. وحيث أن فكرة الختم مرتبطة بالزجاجاة، فصفة "خاتم" هنا يمكن أن تعطينا فكرة الختام.



## كلمة "خاتم" كإسم

الإستعمال الثالث لكلمة "خاتم" كإسم—كما أطلق الله سبحانه وتعالى هذا الإسم على سيّدنا محمد خاتم النبيين. هل تشير كلمة خاتم كإسم إلى مفهوم ختام؟ لا أبداً، إلا إذا امتد خيالنا إلى ما وراء المنطق. فالكلمة نفسها خالية من المعنى أو المغزى الإصطلاحي إذا طبّقت على إنسان. لنفترض أنك قلت: "أنا خاتم إخواني"! فماذا تعني بذلك؟ ماذا سوف يعتقد الآخرون؟ هل من الممكن أن يفسر أي شخص بأنك آخر إخوانك؟ ماذا لو قلت: "أنا خاتم جيرانني"، ماذا تعني بأنك الجار الأخير؟

إذاً ماذا تُظهر وتكشف كلمة "خاتم" كإسم؟ إنها تشير إلى فكرة الامتلاك والتصديق والضمان والسلطة. إن كلمة "خاتم" كإسم تعني "علامة رسمية" تُعتمد وتُستخدَم لتحديد هوية شخص معين أو مؤسسة وهو ما يعادل التوقيع على وثيقة. فكلمة خاتم كإسم لا تشير إلى عمل أو فعل كما توحى إليه تلك الكلمة كفعل. إنها تنقل فكرة التصديق على الشيء والموافقة.

ولننظر إلى هذه الآية من الإنجيل المقدّس حيث استُخدمت كلمة خاتم كإسم:

اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي...الذي يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قد ختمه.

إنجيل يوحنا، الفصل ٦، آية: ٢٧

التعريفات التالية المستخرجة من اثنين من القواميس تُظهر بوضوح الفرق بين معنى خاتم كإسم (فيما يتعلق بسيدنا محمد) وكفعل:

### خاتم كفعل—لا يُطلق على سيدنا محمد ولا ينطبق عليه

القاموس يُقدّم المعاني الآتية:

١. إغلاق مدخل، ختم مظروف.
٢. التصديق بوضع ختم. مثال: تم التوقيع على المعاهدة وختمت من قِبَل الحكومتين.
٣. غالباً، يُغلق، يُغلق باحكام، يَسدُّ.

### خاتم كإسم—يُطلق على سيدنا محمد وينطبق عليه

القاموس يُقدّم المعاني الآتية:

١. علامة رسمية، علامة لها رسم وتصميم مميز وتبيّن سلطة شخصٍ أو سلطة منظمة. مثال: كتاب مختوم بالختم الرئاسي.
٢. تصميم مختوم على قطعة أو شمع أو غيرها من مواد لينة ملساء ليُظهر حق الملكية والموثوقية. ختم الولايات المتحدة مرفق بالوثائق الحكومية الهامة.

كيف يعطي القرآن الكريم لقب خاتم لسيدنا محمد؟ يُعطيه فقط كإسم. فُيُعَلَّنُ ببساطة أن محمداً هو خاتم الأنبياء.

...وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ.

سورة ٣٣، آية: ٤٠

إن القول بأن محمداً هو خاتم الأنبياء مرادف للقول بأنه هو الصورة الرسمية المميزة لرسول الله ومعلميه العظماء. فاستخدام كلمة خاتم بهذه الطريقة لا تشير إلى فعل. ولا تعني بأن سيدنا محمد قام بفعل شيء ما وأنه أوقف عملية مستمرة. وكذلك لم يعلن القرآن بأن رسالة سيدنا محمد ختمت (كفعل) أو أنهت الظهورات المتوالية لرسول الله في المستقبل. إن القرآن الكريم بكل بساطة يمنح ويهب هذا اللقب للرسول الكريم.

كما أن استخدام كلمة خاتم وفي تصريفه كإسم ونسبته للإنسان غير مصطلح. ولكن كما نعلم يتحدث الله سبحانه وتعالى غالباً بالأمثال والرموز أو يستخدم عبارات تحتوي على استعارات. وهذه هي الكيفية التي يشير إليه هذا اللقب والعنوان.

وحيث أن كلمة "خاتم" و كلمة "العلامة أو الصورة المميزة" يُلائم نفس الغاية والقصد، دعونا الآن نستبدل أحدهما محل الآخر. هذا التبديل سوف يساعدنا أن نصبح أكثر موضوعية في الطريقة التي ندرك بها هذا اللقب لسيدنا محمد.

لقب سيدنا محمد:

محمد هو... رسول الله وصورة مميزة (صورة مميزة—معنى لكلمة Signature كما جاء في قاموس المورد) للرسول.

إذا كانت كلمة خاتم لا تنقل معنى النهائية أو الختامية، لماذا إذاً يشتق العلماء المسلمون منه مثل هذا المعنى؟ إنهم يلجأون إلى أسلوبيين متميزين لتحقيق هدفهم. دعونا الآن نتحرى المعنيين.

إن الطريقة الأولى التي يتخذها ويعتمدها المفسرون المسلمون هو استبدال معنى "خاتم" كإسم (صورة مميزة) مع معناه كفعل (يختم). المترجم المشهور والمفسر للقرآن الكريم السيد يوسف علي يبيِّن هذه الإستراتيجية. يكتب يوسف علي:

عندما تُختم وثيقة تصبح كاملة ولن تكون هناك أي إضافة أخرى. لقد ختم محمد عليه السلام السلسلة المتتالية للرسالات.<sup>١</sup>

كما نرى يستبدل يوسف علي معنى كلمة "خاتم" كإسم (ومعناها: صورة مميزة وهي مرادفة لكلمة signature كما هو موضح في المورد) وهو المعنى المقصود (أي صيغة الإسم) يستبدله بمعناه كفعل (يختم). فيكتب السيد يوسف بأن الوثيقة عندما تُختم تكون كاملة أي يستخدم الفعل في هذا المقام رغم أن القرآن لم يقل بأن محمداً ختم ظهور الأنبياء و مجيئهم. بل يقول بأن محمداً عليه السلام هو خاتم. إن القرآن

يمنحه لقب شرف. ولكن كما نرى السيد يوسف علي يستمد المعنى المنشود من كلمة "خاتم" كفعل. ونحن في أذهاننا نربط بين معنى كلمة خاتم كفعل ومعناه كإسم، بالرغم من أن لهما معانٍ مختلفة تماماً.

والعديد من المؤمنين وافقوا على هذا النوع من المنطق، فهذا يبين بأن هذه الاستراتيجية كانت فعالة للغاية.

أما الطريقة الثانية التي يعتمد عليها علماء الدين المسلمين لكي يشتقوا معنى "ختامية" من كلمة "خاتم" هي أن يسيروا إلى موقع الكلمة على وثيقة (بالرغم من أن كلمة خاتم مرتبطة في الآية بالرسول). فيُصرِّح العلماء المسلمون بأنه مادام موقع الختم أو التوقيع هو في نهاية أي وثيقة لذلك فإن محمداً عليه السلام قد أنهى السلسلة الطويلة المتوالية من الرسل. يفضل عالم مسلم آخر شهير ومفسر للقرآن الكريم وهو السيد محمد أسد أن يُطبَّق هذه الإستراتيجية. فيكتب:

إن محمداً كان خاتم الأنبياء تماماً كما يُمثَّل (خاتم) نهاية أي وثيقة.<sup>٢</sup>

يستمد المترجم مرةً أخرى المعنى المقصود عن طريق ربط كلمة "خاتم" بصيغتها المفترضة. لذلك تحمل العبارة السابقة العديد من العيوب منها:

- الغرض الأساسي من وضع ختم شخصٍ ما على وثيقة هو ليس لإظهار نهايتها بل للتأكد من صحة وموثوقية الوثيقة.
- لا يكون موضع الختم دائماً في نهاية الوثيقة. قد يوضع في بعض الأحيان على جانب الوثيقة أو في المقدمة!
- يستطيع الكاتب أن يُنهي رسالته ومن ثم يوقعه ويختمه، ولكن بمقدوره دائماً أن يكتب رسالة جديدة.

إن سبب نجاح هاتين الاستراتيجيتين أو خطوط المنطق تلك [استبدال معنى "خاتم" كإسم (صورة مميزة) مع معناه كفعل (يختم)، أي اشتقاق معنى "ختامية" من الكلمة "خاتم" وذلك بالإشارة إلى موقع الكلمة على وثيقة] هو هذه النتيجة المستنبطة التي يود الناس سماعها: إن أتباع الأديان يريدون—مهما يكن دينهم—أن يُقال لهم بأنهم مميّزون كأمة ودينهم مميز أيضاً. ومن المؤسف أن هذا الضعف في البشر يصيبنا جميعاً إلى حدٍ ما. النبوءة التالية من الكتاب المقدس ينطبق على جميع أتباع الأديان.

فإنه سيأتي زمانٌ لا يُطبقُ الناسُ فيه التعليمُ الصحيح، بل تبعاً لشهواتهم الخاصة يكذبون لأنفسهم معلمين (يقولون لهم كلاماً) يداعِبُ الأذان.

تيموثاوس ٢، الفصل ٤، آية: ٣

ولننظر الآن إلى الآية القرآنية بمزيد من التعمق والتي تعطي سيدنا محمد لقب خاتم النبيين:

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ.

سورة ٣٣، آية: ٤٠

تعلّمنا الآية السابقة مفهومين عن سيدنا محمد:

- أولاً، أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن أباً لأحد. (إنه يحدد الدور الذي لم يكن لسيدنا محمد)
- ثانيًا، أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان رسولاً من عند الله وكذلك خاتم الأنبياء. (هنا تعلن الآية الدورين الذين يحققهما سيدنا محمد)

أولاً، لقد أُخبرَ سيدنا محمد بأنه لم يكن أباً لأحد من الرجال، وهذا ما يطابق الكثير من الآيات لأن سيدنا محمد كانت لديه مسئولية محدودة، ومهمته كانت إبلاغ الرسالة الإلهية للبشر. الآيات التالية تشير إلى أن الصلة والعلاقة بيننا وبين الرسول محمد ليست صلة الأب بابنه، لأن الأب يجب أن يتحمل مسئوليات كثيرة تجاه أولاده، بينما هذا النوع من المسئولية لا يتوقعه الله من رسوله. تؤكد الآيات التالية هذه الغاية:

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ.

سورة ٣٩، آية: ٤١

فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا.

سورة ٤٢، آية: ٤٨

مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ.

سورة ٦، آية: ٥٢

أَسْتَعْزِمُكُمْ عَلَيْهِمْ بِمُصَيَّبٍ.

سورة ٨٨، آية: ٢٢

انظر أيضا سورة ٥، آية: ٩٤؛ سورة ٦، آية: ١٠٤ و ١٠٧؛ سورة ٤، آية: ٧٩؛ سورة ٦، آية: ٥٢؛ سورة ١١، آية: ٨٦

بعد أن يبيّن الله سبحانه وتعالى بأن محمداً ليس له دور الأب، يُحدّد له مهمتين:

الأولى كما أشرنا إلى ذلك سابقاً وهي مهمة إبلاغ الرسالة الإلهية للبشر، وتشير الآيات التالية إلى ذلك:

مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ.

سورة ٥، آية: ٩٩

إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.

سورة ٤٢، آية: ٤٨

فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ.

سورة ١٣، آية: ٤٠

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

سورة ١٦، آية: ٨٢

فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

سورة ١٦، آية: ٣٥؛ أنظر أيضا سورة ٥، آية: ٩٢؛ سورة ٢، آية: ٢٧٢

والمهمة الثانية التي أعطاها الله سبحانه وتعالى إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هي مهمة التصديق—الشخص الذي يضع الختم على رسائل الرسل السابقة ليشهد على أنها من عند الله. والآيات التي تشير إلى ذلك عديدة:

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...

سورة ٣٥، آية: ٣١

...تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ.

سورة ١٢، آية: ١١١

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلٍ...

سورة ٤، آية: ٤٧

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.  
سورة ٣، آية: ٣  
انظر أيضا سورة ٦، آية: ٩٢؛ سورة ٢، آية: ٤١؛ سورة ٣٥، آية: ٣١؛ سورة ٥، آية: ٥٩؛ سورة ٥، آية: ٤٨؛ سورة ٢، آية: ٢٩

وفي بداية القرآن الكريم يصف الله سبحانه وتعالى المؤمن بالآية التالية:

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَسْتَمِعُونَ لِلْوَعْدِ حِينَ نُنَادِيهِمْ أَنِ امْلِكُوا الصُّفْرَةَ مِنَ الْكُفَّارِ.  
سورة ٢، آية: ٤-٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ... وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ.  
سورة ٤، آية: ١٣٦

ويذكر القرآن الكريم رسلاً آخرين قاموا أيضاً بهذه المهمة:

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ.  
سورة ٦١، آية: ٦

الرَّسُولَ النَّبِيِّ الْأَمِّيِّ الَّذِي يُجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ.  
سورة ٧، آية: ١٥٧

وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ.  
سورة ٥، آية: ٤٦

وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ...  
سورة ٤٦، آية: ١٢

كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ.  
سورة ٤٦، آية: ٣٠

لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.  
سورة، ١٢ آية: ١١١

إذا ما هي الدروس التي يمكننا أن نتعلمها من قصص الأنبياء السلف؟ من أهم تلك الدروس هو أنه كلما أتى رسول رفضه القوم لأن الناس وجدوا كلمة في كتابهم المقدس أسيء تفسيرها، فاتخذوا من هذه الكلمة أو العبارة (درعاً وحجة) لينكروا أو يعترضوا على الرسالة الإلهية الجديدة.

أَفَلَمَّا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ؟  
سورة ٢، آية: ٨٧  
انظر أيضا سورة ٢٢، آية: ٣؛ سورة ٢١، آية: ٢

إن ظهور الرُّسُل من عند الله بين حين وآخر مبني على ميثاق بين الله والبشر، ربما هو الأعظم من بين جميع المواثيق الإلهية. الآية القرآنية التالية تُصوِّر هذا الميثاق على شكل حوار بين الله سبحانه وتعالى ورسوله:

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ.  
سورة ٣، آية: ٨١

## وعندما أنشأ الله عهده وميثاقه مع أنبيائه قال:

وعد الله وأمله:	إنني آتيتكم الكتاب والحكمة، ثم جاءكم رسول (محمد)، فيجب عليكم أن تؤمنوا به وتنصروه. هل ستؤكدون وتقرّون عهدي بهذه الصورة؟
إجابة الرسل:	أقررنا بهذا الميثاق.
الله:	فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين.

ثم بعد ثلاث آيات تالية، يعلن الله وحدة رُسُلِهِ:

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.  
سورة ٣، آية: ٨٤

إن العهد والميثاق في الآية السابقة يدل على أن الله سبحانه وتعالى وضع خاتم المصادقية على رسله وهم بدورهم يضعون خاتم التصديق على سائر الرسل. هذا هو معنى خاتم النبيين.

لقد أصبحت عقيدة خاتم النبيين محور العقائد في الدين الإسلامي. وإنها ربما تعتبر إحدى المفاهيم الهامة والشاملة التي يمكن للعقل البشري أن يتصورها. وسوف تقود هذه العقيدة المؤمنين إلى إنكار وإلحاق الأذى بأي رسول يبعثه الله سبحانه وتعالى. فكيف يمكن لهذه الإستراتيجية التي هي في محل شك وتساؤل أو لهذا التوجه والمسلك الجدلي للمنطق القائل - بمحل الختم على رسالة ما - أن يحمل عقيدة شاملة بهذا الوزن وبهذه النتيجة الرهيبة. كيف يمكن أن تصمد هذه العقيدة الهامة على هذه القاعدة الوحيدة (لأن آية خاتم النبيين لم تُذكر إلا مرة واحدة في القرآن الكريم) التي تحتل معانٍ مختلفة.

سورة ١٠، آية: ٦٦

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ...

## تجدد الدين بعد موته الروحاني

إن البراهين التي قُدمت في الفصل السابق تكفي لإزالة السحب المظلمة التي حجبت المعنى الحقيقي والهدف من كلمة "خاتم". الآن وبعد أن أُزيلت غمامة سوء التفاهم دعونا ننبُغ الضوء الذي يفيضه أروع كتب الله ألا وهو القرآن الكريم على هذا الموضوع البالغ الأهمية، ونسمح لذلك الكتاب المنزل بأن يرشدنا إلى المفهوم أو الغاية الحقيقيّة من سنّة الله وإرادته الأبدية للبشر التي لا تتبدّل. يمكن تصنيف نبوءات القرآن إلى ثلاث فئات:

- تلك التي تُنبئ بالموت الروحاني للمسلمين ونهاية الدورة الإسلامية في وقت محدد من التاريخ.
- تلك التي تُنبئ بظهور رسول جديد من عند الله لإعادة أو إحياء الحياة الروحانية للبشر أجمعين بما في ذلك المسلمين.
- تلك التي تُنبئ بمجئ دين جديد بعد الإسلام.

يركز هذا الفصل على الموضوع الأوّل، وتركّز الفصول التالية على الموضوعين الثاني والثالث.

### الحياة والموت الروحاني

لكي نحلّ الرموز الخاصة بالنبوءات التي تشير إلى الموت الروحاني للإسلام والمسلمين، نحتاج أولاً إلى مراجعة بعض آيات القرآن الكريم. فجميع الكتب المقدّسة تستعمل تعابير "الموت" و "الحياة" للتعبير عن الحياة الروحانيّة والموت الروحاني، فالوثنيين الذين أقرّوا واعترفوا بوحدانية الله لم يكونوا أمواتاً (جسدياً) قبل قبولهم الإسلام، ومع ذلك قيل لهم:

وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ. سورة ٢، آية: ٢٨

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ. سورة ٨، آية: ٢٤

(إذا دعاكم لما يحييكم) من أمر الدين لأنه سبب الحياة الأبدية. المصحف الرقمي، تفسير الجلالين.

فَاتَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ. سورة ٣٠، آية: ٥٢

أنظر أيضاً سورة ٢٧، آية: ٨٠

إنك—أيها الرسول—لا تقدر أن تُسمع الحق من طبع الله على قلبه فأماته...التفسير الميسر.  
وكذلك لم يكن اليهود جسدياً أمواتاً عندما قبلوا نور الإيمان، ومع ذلك فقد قيل لهم:

سورة ٢، آية: ٥٦

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا.

سورة ٦، آية: ١٢٢

أنظر أيضاً سورة ١٨، الآية: ٣٠؛ سورة ٣٦، آية: ٧٠؛ سورة ١٦، آية: ٢١؛ سورة ١٧، آية: ١٧

وكثيرا ما تستعمل كلمة "الحياة" و "الموت" في الإنجيل المقدس للتعبير عن الحياة الروحانية والموت الروحاني:

الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد. إنجيل يوحنا، الفصل ٨، آية ٥١

كما سنرى، تعلن الكتب السماوية المقدسة بأنه كما أن للإنسان دورة حياة، فإن للأديان أيضاً دورة حياة، وعند إنتهاء الدورة الروحانية للدين، تنتهي أيضاً الحياة الروحانية لأتباع هذا الدين. فماذا يفعل الله بعد ذلك؟ أليس من شأنه أن يحيي الناس عن طريق إرسال رسول جديد؟ يُخبر سيدنا محمد المؤمنين برسالته بأنهم بعد إيمانهم أصبحوا أحياءً فيقول القرآن الكريم: "وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ" (سورة ٢، آية: ٢٨). وتنبأ سيدنا محمد أن التاريخ سيعيد نفسه وأنه في الوقت المعين سوف تفقد الأمة الإسلامية حياتها الروحانية كما فقدتها الأمم السابقة. هل يبقى الله الرحمن الرحيم صامتاً؟ لا بل في الوقت المحدد وحسب سنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل، سيأتي لإنقاذهم ويبعث برسول جديد لينقذ الإنسانية من غفلتها، ويهب كل من كان له رغبة أو متعطشاً لمعرفة الحقيقة بصيرة روحانية للإيمان بهذه الهبة الإلهية.

### الوقت المحدد للأمة الإسلامية

إن النبوءات التي تشير إلى انتهاء الحياة الروحانية للمسلمين واضحة وحاسمة. ولكن بما أن هذه النبوءات تقوِّض الإدعاء المتأصل عند المسلمين بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ولن يعفي عليه الزمن، فقد تعهد علماء المسلمين على تشويه معنى هذه النبوءات بطريقة فذة وماهرة من تغيير وطمس لمعنى ثلاث كلمات رئيسة مكنهم من ابطال تلك النبوءات وإزالتها وتعطيل الوعود التي قدّمت للإنسانية أعظم نبأ وأكثرها بهجة، وهو نبأ ظهور رسول جديد من لدى الله.

إنه من الضروري إظهار المعاني المحددة لهذه الكلمات الثلاثة التي أسيء فهمها. كما أن هذه الكلمات هي مفتاح لمعاني ومفاهيم آيات قرآنية أخرى. هذه الكلمات هي:

- أمة
- أجل
- وسط



وبما أن القرآن الكريم يستعمل الكلمتين الأولى والثانية معاً فلنبدأ بتعريف معانيهم من القاموس:

### أمة

١. إنها مجموعة من الناس يُرسلُ لها رسول من عند الله.
٢. إنها أتباع دين معيّن، مثال ذلك: "الأمة الإسلامية".
٣. إنها الدين. (مجموعة من الناس ذات ثقافة واحدة وتنتمي لدينٍ أو فكرٍ واحدٍ).
٤. مجموعة من الناس، أو قوم.

### أجل

١. زمن محدّد، مدّة محدّدة، أو زمن معيّن؛ والأجل هو فترة من الزمن تكتمل وتنقضي أو تنتهي بالموت.
٢. نهاية الوقت لشيء ما؛ نهاية الحياة؛ ميعاد الموت.
٣. الموت.

فلندرس الآن آية تحتوي على الكلمتين السابقتين وكما تُرجمت على نهج تقليدي:

### ترجمة داوود

سورة ٧، آية: ٣٤

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ.

يترجم داوود هذه الآية بأن هناك وقت معيّن (أجل) لكل مجتمع أو جمهور، لنقارن هذه الترجمة بذلك المعنى الصحيح الدقيق للكلمتين العربيتين.

إن الموت الروحاني (الأجل) أمر محتوم على أتباع كل دين أي (الأمة)، وعندما يأتي أجلهم لا يستأخرون الأجل ساعة ولا يستقدمون.

إننا نلاحظ الفرق الشاسع بين الترجمتين، فال مترجم بتغيير معنى الكلمتين أمة وأجل قد أخفى تماماً الغرض الحقيقي من تلك النبوءة.

كيف يمكن أن يُخفى معنى الكلمة عن العرب المسلمين، فلنلاحظ النقاط التالية:

- ألم يقرأ اليهود الكتب العبرية (التوراة)، وهي مُنزلة بلغتهم؟ لماذا إذاً رفضوا السيد المسيح؟
- ألم يقرأ علماء المسيحيين الإنجيل بلغته الأصلية، لماذا إذاً وصلوا رفضهم لسيدنا محمد؟
- ألم يقرأ العرب المسيحيون القرآن بلغتهم لماذا هم أيضاً رفضوا سيدنا محمد؟

يبين لنا التاريخ أن أصحاب السلطة أو "قادة الدين" كانوا دائماً يجرّفون أو يسيئون تفسير الآيات التي تمس أو تهدد الإعتقادات الموروثة، وبالأخص الآيات التي تقوّض منفعة أو مصلحة المؤسسات الدينية. إن عامة الناس تثق في سلطة رجال الدين وعادةً لا يجرؤ المرء في الشك أو الاعتراض على هذه السلطة. إن الأفكار الجديدة وبعد النظر خلافاً للمعتقدات السائدة تُقمع بسرعة.

دعونا نواصل تحقيقاتنا للكلمتين الخطيرتين واللتين تحملان الطابع الانتقادي وهما أمة وأجل لذلك سوف نتطرق إلى ترجمة تقليدية أخرى لنفس الآية (سورة الأعراف آية: ٣٤) لعالم مسلم آخر وهو شاكر.

### ترجمة شاكر

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ. سورة ٧، آية: ٣٤

مرة أخرى ترجم شاكر هذه الآية بأن كل شعب أو ملة لها مدة وفترة محددة فهي لا تستطيع أن تؤخر أو تُقدم فترتها المحددة، ولكن هذه الآية تُبين بوضوح تام أن لكل أمة أجلٌ محدود (ومنها الأمة الإسلامية) وحيث أن هذا المفهوم الواضح من قوله تعالى يخالف التقليد الموروث بأنه لن تأتي أي "أمة" بعد الأمة الإسلامية، لذلك لجأ "قادة الدين" إلى إساءة تفسير الآية بقولهم أن كلمة "أمة" في هذه الآية تعني "شعب أو ملة أو دولة"، ونرى نتائج هذا التفسير الخاطيء في بعض تراجم القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية.

كما ترون فإن الترجمة السابقة نتيج معنى واضحاً وبسيطاً ومعقولاً. وببساطة تصرّح بأنه كما أن للفرد فترة زمنية من العمر في هذه الحياة كذلك يصدق الحال على أتباع كل دين. ومن الواضح أن هذه الرسالة البسيطة تقوض وجهة النظر التقليدية السائدة وهي أنه لن تتبع أي أمة الأمة الإسلامية.

ثم ما الذي أنجزه رجال الدين بتغيير معنى الكلمة الهامة (الأمة) في هذه الآية الكريمة. إنهم تمكنوا من صرف انتباه المؤمنين عن الموضوع الحقيقي ونجحوا في تحويل أفكارهم من "أمة" إلى "شعب وقوم"؟ نجحوا في صرف نظر المؤمنين عن الفكرة الأساسية، فبتغيير الموضوع من "الدين" إلى "الشعب"، نجحوا في تبديل معنى كلمة "الأمة الإسلامية" (مثل ذلك الأمة المسيحية أو الأمة اليهودية)، إلى كلمة "شعب" والتي لا معنى لها في هذا الموضوع وكما جاء أيضاً: (أمة: هي جماعة اجتمعت على الكفر بالله وتكذيب رسله، وأيضاً: لكل قوم وقت لانقضاء مدتهم وأجلهم، إذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم... المصحف الرقمي: التفسير الميسر والجلالين). فبدلاً من القول بأن لكل دين أجل، حُرّف المعنى إلى أن لكل جماعة أجل وبتغيير كلمة واحدة فقط، قام رجال الدين الذين هم أكثر ولاءً للمعنى التقليدي الموروث عن المعنى الحقيقي بالقضاء على الغاية التي أرادها الله سبحانه وتعالى من هذه الآية الكريمة للمسلمين. فحوّلوا المعنى والهدف وهي الحياة الروحانية المقتررة للأمة الإسلامية ومصيرها، إلى الحياة الدنيوية الغير دينية المقتررة لكل شعب! فغدت الآية أو الأخرى كلمة "أمة" كما فسرت من قبل الفقهاء لا صلة لها بالدين. فتحول المعنى الرئيسي من تحذير الأمة الإسلامية بأن حياة المسلمين الروحانية لها أجل، إلى معنى آخر لا علاقة له بالآية المذكورة.

أنظر إلى الآية التالية كيف تصف أولئك الذين يغيرون كلمة الله سبحانه وتعالى:

سورة ٧، آية: ١٦٢

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ.

إن تغيير وتحريف كلمات الله لإخراجها عن مضمونها، هو شيء ليس بجديد في تاريخ الأديان. ففي تاريخ جميع الأديان، نجد بعض المؤمنين يحرفون ويعدلون أو يُضعفون الحقيقة التي لا يرغبون أن يرونها في كتبهم.

سورة ٤، آية: ٤٦

مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ... فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا.

ما الذي يمكن أن يحققه رجال الدين من تغيير أو تحريف معنى كلمة أو آية؟ يمكن لهم أن يخفوا المعنى الحقيقي أو المغزى من الكلمة؛ كما قام المسيحيون بإخفاء النبوءات الخاصة بسيدنا محمد عليه السلام في الإنجيل المقدس، فيشير إليها القرآن الكريم قائلاً:

سورة ٥، آية: ١٥

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ.

أنظر أيضاً سورة ٥، آية: ١٣

### كيف يستعمل القرآن الكريم كلمة "أمة"؟

كما لاحظنا فإن المترجمين قد اختاروا كلمة غير دينية مثل ملة أو جماعة لتفسير كلمة أمة، هل هذا يبرر موقفهم؟ وحيث أن معرفة معنى كلمة أمة هي في غاية الأهمية دعونا نواصل تحقيقاتنا، ولعل أفضل طريقة لفهم معنى كلمة "أمة" هي في مراجعة كيفية استعمالها في القرآن الكريم نفسه، فلنتأمل الآية التالية:

سورة ٤٥، آية: ٢٨

كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا.

تصرّح هذه الآية أنه عندما يأتي رسول جديد، يذكر أتباع الأديان السابقة بأن ظهوره ومجيئه قد حقق نبوءات كتبهم المقدسة. فقد دُعي اليهود لإختبار أو دراسة ما قيل في كتابهم عن السيد المسيح عليه السلام. وينطبق الأمر ذاته على المسيحيين والمسلمين. فالآية السابقة تشير بوضوح أن كلمة "أمة" تشير إلى أتباع كتاب معين، لا إلى شعب أو قوم.

ولنفرض هنا أن كلمة "أمة" تعني شعب معين. فمعنى هذا أن لكل شعب كتاب. فلنسأل أنفسنا، ما هو كتاب أمريكا مثلاً؟ وما هو كتاب الهند، أو كتاب إيطاليا، أو إيران؟ فمن الواضح هنا أن كلمة "شعب" ليس لها صلة بموضوع الآية السابقة، ولكن إذا أخذنا معنى الآية كما هي بأن "كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا" أي بمعنى

\* يعلن المسيح بانه أرسل على وجه التحديد لانقاذ الأمة اليهودية:

أنا أرسلت إلى الخراف الضالة [السكان] من بيت إسرائيل وإليها وحدها.

الأمة اليهودية تُدعى إلى كتابها أو الأمة المسيحية تُدعى إلى كتابها أو الأمة الاسلامية تُدعى إلى كتابها، فتعطينا هذه الآية الكريمة المعنى الحقيقي المراد.

ولننظر أيضا إلى الآيات التالية:

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ.

سورة ٢٢، آية: ٣٤ و٦٧ أيضا

وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ.

سورة ٤٠، آية: ٥

إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ.

سورة ٣٥، آية: ٢٤-٢٣

وكما نلاحظ أن القاموس أدرج كلمة "دين" كمعنى آخر لكلمة "أمة"، والقرآن الكريم يؤكد هذا المعنى. فلنتأمل الآن الآيتين التاليتين حيث يصف القرآن الكريم المؤمنين أي أتباع الدين الواحد بأنهم قسّموا الدين إلى طوائف وفرق:

وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً... فَاتَّقُونَ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ\* بَيْنَهُمْ.

سورة ٢٣، آية: ٥٣-٥٢

تفسير الجالين: فتقطعوا [أي الأتباع] أمرهم [دينهم].

إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ.

سورة ٤٣، آية: ٢٣

إن الآية التالية والتي ورد ذكرها مرتين في القرآن الكريم تشتمل على كل من الكلمتين الهامتين وهما "أمة" و "أجل":

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلُهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ.

سورة ٢٣، آية: ٤٣؛ أنظر أيضا سورة ١٥، آية: ٥

ولننظر الآن إلى آية أخرى في القرآن الكريم والتي تثبت ما ذكرناه في أول هذا الفصل، وهو أن للإسلام أجل معين ومحدد من عند الله سبحانه وتعالى، فتؤكد الآيات التالية وتحمل نفس المفهوم الذي ورد في الآية التي درسناها سابقاً (سورة ٧، آية: ٣٤) ولكن بتعبير أو صياغة أخرى:

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ فَصَّبَّ بَيْنَهُمْ بِالْفِئْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ

سورة ١٠، آية: ٤٩-٤٧

صَادِقِينَ قُلْ... لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَنْقِذُونَ.

تحتوي الآية السابقة على جميع الكلمات المهمة التي درسناها. فبالإضافة إلى الكلمتين المهمتين،

• أمة

• أجل

\* إن الكلمة العربية—أمر—لها عدة معاني مثل: أمر، دعوى، دين وقضية الخ. ولكنها تشير هنا إلى ما وهبنا الله إياه ألا وهي عقيدتنا. ما هو الشيء الذي تسبب الناس في تفريقه؟ أليس هو الدين، ذلك الذي فرّقوا فيه؟

يوجد أيضا ثلاث كلمات أخرى مهمة:

- الرسول
- الوعد
- الساعة

إن الآية السابقة تؤكد المعنى الذي شرحناه من قبل وهو أن كلمة "أمة" تعني أتباع رسول من عند الله. ولكنها تكشف لنا عن فكرة أخرى لم يسبق شرحها. تلك الفكرة تم التعبير عنها في هذا السؤال: متى يتحقق هذا الوعد؟ تنص الآية الكريمة أن نهاية كل "أمة" مرتبطة بوعد. فما هو هذا الوعد؟ أي وعد سيكون أكثر عقلانية من مجيء رسول جديد ليحيي "الأمة" في تلك الساعة الحاسمة من موتها روحانياً؟

يمكننا أن نفهم معنى هذه الكلمة بكل بساطة وبغض النظر عن الاستخدام القرآني لكلمة "أمة" ذلك إذا تركنا العقل يرشدنا إلى المعنى المنطقي لهذه الكلمة فنجد حينئذ بأن المفسرين يفترضون أن الآية تشير إلى جماعة مدنية مثل "شعب". هل لافتراضهم أي معنى؟ إن شعوباً مثل أهالي الصين والهند ومصر وإيران قد وُجدت منذ آلاف السنين وقدمت حضارة غنية للعالم. فلماذا ينبغي أو ربما سوف يختفي شعب ما؟ كيف يمكن لشعب مثل أهالي كندا، أستراليا وأمريكا تختفي من على وجه الأرض في ساعة معينة؟ لقد تم فتح بعض البلدان مراراً وتكراراً وعلى مر السنين وما زال أبنائها يعيشون كدول أو أمم. فما السبب لتغيير هذا النظام؟ وماذا سوف يجني العالم إذا اختفت أمم مثل الأرجنتين أو البرازيل أو المملكة المتحدة (بريطانيا)؟

إذا كانت كلمة "أمة" تشير إلى مجموعة من مواطنين يعيشون في بلد ما، فبماذا يسمّى المواطنون المسلمون الذين يعيشون في بلاد غير إسلامية مثل الصين أو الهند؟ وإذا كانت كلمة "أمة" تعني المواطنين المسلمين، بغض النظر عن البلد أو الدولة التي يعيشون فيها، ففي هذه الحالة يكون لكلمة "أمة" معنى معين ثابت مثل: الأمة الإسلامية.

ولو فرضنا أن كلمة "أمة" تعني شعب، فهذا المعنى يشمل الشعوب كلها بما في ذلك الأمة الإسلامية، وسيكون لهذه الدول الإسلامية وغير الإسلامية أجلٌ أو نهاية لأن الآية تشير إلى كل أمة وبالتالي علينا أن ننتهي إلى أن جميع الشعوب الإسلامية سوف تموت أو تختفي. ماذا سوف يحدث بعد ذلك؟ هل سيظل الله سبحانه وتعالى صامتاً؟ ألن يرسل رسولاً آخر ليحييهم؟

إن هذه الملاحظات ترشدنا إلى النتيجة التالية: إذا كان المفهوم من كلمة "أمة" هو أن كل أمة سوف تزول أو تُدَمَّر في ساعة معينة من التاريخ، فليس لهذا المفهوم معنى أو مغزى ولكن إذا كان المفهوم من كلمة "أمة" هم أتباع دين من الأديان وأن لحياتهم الروحانية أجل، فهذا صحيح، أي أنه سيظهر رسول جديد في ساعة محددة ويُعلن نهاية عصر الدين السابق وبزوغ فجر يوم جديد.

دعونا نتمنئ مرة أخرى في الآيات ٤٩-٤٧ من سورة يونس، إن الآيات التي تشير إلى نهاية حياة كل أمة تنتبأ أيضاً بأن الوقت المعين لموتها سوف يحين في الساعة المحددة. يوجد الآن أكثر من منتي دولة وشعوب ودول تابعة في العالم، فلماذا نحتاج أن نعرف بأن كلاً منها سوف يأتي أجلها أو تختفي في ساعة محددة؟ ماهي قيمة معرفة شيء كهذا؟ ولكن العكس هو الصحيح: عند بزوغ فجر دين جديد وظهور الرسول ينتهي أجل الدين السابق وتفقد تعاليمه الروحانية قوتها وعندئذ يفقد أتباع الدين أو أمته حياتهم الروحانية، في هذه الحالة يكون لكلمة "أمة" معنى ومغزى؟ يقول القرآن الكريم:

سورة ٢، آية: ٢٨

كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ.

إن كل أمة ستواجه في آخر المطاف موت روحاني، فهذه حقيقة يجب علينا أن نقبلها مهما صعب الأمر. ألا تشير أحوال العالم اليوم إلى ذلك؟ فلننظر إلى ما تنبأ به السيد المسيح:

إنجيل لوقا، الفصل ١٨، آية ٨

ولكن متى جاء ابن الإنسان ألعنه يجد الإيمان على الأرض.

ولننظر أيضاً لما ذكره القرآن الكريم:

سورة ٢٥، آية: ٣٠

يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا.

ألم يحن الوقت في هذا العصر لإحياء الروح الإنساني؟ أليس العالم اليوم في أشد الحاجة لرسول جديد من عند الله لكي يجمع شمل البشر ويعيد السلام والطمأنينة إلى هذا العالم المنقسم والذي يفتقر إلى الروحانية؟ ألسنا اليوم في أشد الحاجة إلى الهداية والنعم الإلهية والتحذير من عواقب الابتعاد من تلك البركات السماوية؟ إن أجل كل دورة دينية أو عصر يتمثل في الموت الروحاني الذي تتجاهله البشرية في كل دورة. هذا لهو نوع من الموت (أي الموت الروحاني) والذي يجب أن تعترف به البشرية في كل عصر عند مجيء رسول جديد. والقرآن الكريم كتاب شامل فيه تفصيل كل شيء:

سورة ١٢، آية: ١١١

وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ.

فقد تنبأ بهذا الإنكار، فما أبدعه! إن هذا الكتاب السماوي البديع موسوعة العلم والحكمة يتنبأ بأن هذه الظاهرة ستعود مرة أخرى ويُنكر البشر موتهم الروحاني:

سورة ٧، آية: ١٨٥

وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ.

إن الآية السابقة تطرح لنا أسئلة مثل:

إن موعد أجلهم قريب، هل يؤمنون بذلك؟

إن موعد أجلهم قد إقترَب، كيف ينكرون ذلك؟

إن الآية السابقة تشير إلى المستقبل، فما هو المقصود بـ "هم" في كلمة "أجلهم"؟ عند نزول هذه الآية، أي أجل لم يأت ولم ينته بعد؟ إنه أجل الإسلام (أي الأمة الإسلامية) فمن هم الذين أنكروا أن أجلهم أو موتهم قد إقترب؟ المسلمون فقط، الذين كانوا يعيشون وقت نزول هذه الآية الكريمة وبعدها. إن الآية تُصَرِّح وبمهارة هذه الرسالة وهي: ما الذي يمكن أن يقوله الله أكثر من هذا لإقناع المسلمين بأن أجلهم أو نهاية حياتهم الروحانية قد إقتربت؟ إن الآية الكريمة هي فعلاً وحي إلهي، فهي تنتبأ بالمفهوم الخاطئ عند المسلمين بأن حياة الإسلام وحياتهم الروحانية لن يكون لها نهاية.

الآية القرآنية الكريمة التالية تشير إلى نفس مفهوم الآية السابقة:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ. سورة ٦، آية: ٢

الآية السابقة تشير إلى أجلين أو مدتين محدّدتين. الأجل الأول أي الموت فهو خاص بجسد الإنسان، وجميع البشر خلقوا "من طين"، والمسلمون جميعاً لا ينكرون هذا الأجل. فما هو الأجل الآخر المحدد من عند الله، والذي ينكره المسلمون؟ الأجل الآخر هو أن كل دين أيضاً له أجل أو مدة محددة، مثلما يموت الإنسان، كذلك الديانات لها وقت محدد يحدده الله سبحانه وتعالى.

يحتوي القرآن الكريم على آية قصيرة تشير إلى الوقت المحدد لكل رسالة ولكن يستعمل فيها كلمة نبأ:

لُكُلِّ نَبِيًّا مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. سورة ٦، آية: ٦٧

لقد ترجم يوسف علي كلمة نبأ بالرسالة.

إن كلمة نبأ أي رسالة أو خبر، لها مفهوم ديني. فالآية الكريمة توضح بجلاء الآيات التي درسناها من قبل وهي أن لكل رسالة "أجل" أو وقت محدد. تُختم الآية السابقة بالكلمتين "وسوف تعلمون". فمن الواجب إذاً السؤال: ما هو الخبر الذي "سوف تعلمون"؟ نبأ مجيء رسول جديد من عند الله. إن عبارة "سوف تعلمون" تدل على شيء قريب، ولكن كما نعلم أنه يوجد في كل من الكتابين المقدسين القرآن والإنجيل عن أن اليوم عند الله بألف سنة: "يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (سورة ٣٢، آية: ٥).

### معنى كلمة "أجل"

لكي نختم نقاشنا، فإنه يجب علينا أن لا نتجاهل المعنى الدقيق للكلمة الحاسمة الأخرى في هذا الموضوع وهي كلمة "أجل". كما أشير من قبل، يستعمل القرآن الكريم كلمة "أمة" مع كلمة "أجل" في تحديد الوقت المقدر للأمة الإسلامية. ومرة أخرى، لجأ المفسرون في اتخاذ نفس السياق لتخفيف المعنى المراد من كلمة "أجل" وذلك بتفسيرها بمردفات أكثر "ملاءمة" مثل "زمن معين" بدلاً من المعنى القاطع مثل "زمن محدد

ينتهي بالموت". فباختيار مرادفات مثل هذه نجحوا في صرف النظر عن المعنى المراد من كلمة "أجل" وهو "الموت". بعض الناس فقط يُودّون التفكير بأنهم هالكون ولهم ميعاد محدد مع الموت. ففكرة الموت فكرة غير محببة للنفس سواء أكانت خاصة بحياة الفرد أو بدينه، وبالأخص حين يفترض المؤمنون أن دينهم خالد وأبدي. كما نعلم، فكلمة "أجل" حسب القاموس يحمل معنيين:

- الموت
- مدّة من الزمن

ليس هناك فرق في المعنى الذي نختاره من المعنيين السابقين، هل من الممكن أن يكون هناك: "مدّة من الزمن" بدون "نهاية"؟، الموت هو النهاية!

على الرغم من أن معنى كلمة "أجل" واضح تماما، ولكنه من المفيد أن ننظر في كيفية إستعمال القرآن الكريم لهاتين الكلمتين في سياق مواضع أخرى. في إحدى الآيات المباركة يشير القرآن الكريم (سورة ٤٠، آية: ٦٧) إلى أطوار حياة الإنسان – طور الطفولة والشباب – ويستعمل بعد ذلك كلمة "أجل" للطور الذي ينتهي بالموت. توضّح الآية التالية المعنى المراد من كلمة "أجل":

وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا.

سورة ٦٣، آية: ١١

يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. سورة ٧١، آية: ٤  
وسورة ٦، آية: ٦٠؛ سورة ٢٢، آية: ٥

إن دراسة هاتين الكلمتين الهامتين "أمة" و "أجل" مفيدةٌ ومنورةٌ للأذهان، وإن فهمهما لا يعطينا درساً هاماً فقط، بل يجعلنا على علم بنتيجة وأهمية بعيدة الأثر:

مقدرة العقل البشري غير المحدودة على تحريف مفهوم آيات بسيطة وواضحة  
إن لم تكن تتماشى مع الموروث الثقافي أو الأفكار المحدودة المكتسبة.

الدرس:

النتائج الوخيمة والتي لا يمكن تصورها نتيجة تحريف معنى كلمة رئيسة  
واحدة.

النتيجة البعيدة الأثر:

سوف ندرس في الفصل التالي الكلمة الثالثة الحاسمة المستعملة في القرآن الكريم والتي تشير إلى الفترة الزمنية المحددة للإسلام. وهذه الكلمة هي "وسط" وهي كلمة أخرى حرّف العلماء معناها لحماية المفهوم المفترض والمتعلّق في الأذهان لكلمة "أجل".



## أمة وسطا

إن النبوءات التي تشير إلى انتهاء الرسالة أو الشريعة الإسلامية والتي تبشر بمجيء رسلٍ من عند الله عديدة وكثيرة. لنبحث سوياً إحدى النبوءات التي لديها الميزات التالية:

- إنها موجّهة إلى المسلمين خاصة.
- تدعو المسلمين بعبارة أمة.
- تضعهم أمةً وسطا بين الأمم الأخرى.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... سورة ٢، آية: ١٤٣

الفعل جعل له عدة معانٍ في قاموس اللغة (المنجد مثلا) ومن معانيه:

١. صنع، خلق، نحو: جعل الله الظلمات.
٢. أخذ وشرع، نحو: جعل يكتب.
٣. وضع، صيّر، نحو: تجاعلوا الشيء: وضعوه بينهم.\*

أي من المعاني السابقة هي أقرب معنى لكلمة وسطا؟ إن المعنى الثالث يشير إلى موقع وموضع، أي أننا وضعنا أمتكم وسطا. كيف يمكن أن يكون الإسلام هو آخر دين وآخر رسالة ويكون المسلمون أمةً وسطا؟

إن الآية السابقة تشكّل تهديداً خطيراً لاعتقادٍ راسخ مدعومٍ من قبل المسلمين المتعصبين. ومرة أخرى نلاحظ بأن علماء الدين يبادرون بإيجاد معنى آخر لهذه الآية وإخفاء المعنى الحقيقي بطريقة ما. لقد استخدم اليهود والنصارى نفس الاستراتيجية لإخفاء الدلالات من الكتاب المقدس والتي تشير إلى ظهور الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

\* المنجد في اللغة و الإعلام، الطبعة السابعة والعشرون، ص ٩٣.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ... سورة ٥، آية: ١٥

وعلماء المسلمين استخدموا نفس الأسلوب والذي تم تطبيقه على الكلمات الأخرى غير المرغوب فيها. إن كلمة "وسط" هي الكلمة غير المرغوب فيها في الآية السابقة. لنتمعن في معنى كلمة (وسط) من القاموس ثم نراجع الاستراتيجية التي اعتمدها العلماء لتغيير معناها. إن من معاني الكلمة:

١. توسط القوم أو المكان: جلس وسطهم.
٢. كل موضع يصلح فيه وضع "بين" عوضاً من "وسط"، يقال "هو في وسط القوم وفي وسطهم" أي بينهم.
٣. الوسط للمذكر والمؤنث والواحد والجمع: المعتدل.
٤. متوسط، في المثلث مثلاً: مستقيم يصل بين رأس ما ومنتصف الضلع المقابل.

لو تمعنا في المعاني السابقة نجد بأن أكثرها تدور حول التوسط أي أخذ الوسط بين الأشياء، وعلى أساس القائمة السابقة هل هناك سبب لرفض المعنى الأساسي لكلمة وسط وهو المرادف الصحيح له بالإنجليزية. ولكن بقبول المعنى الشائع لكلمة وسط في حد ذاته من شأنه أن يفوّض أو على الأقل يُضعف عقيدة المسلمين لمسألة خاتم النبيين. ما هي الخيارات الأخرى عند علماء المسلمين لمعنى كلمة وسط؟ بإمكانهم إختيار: عادي، متوسط. لكن اعتمد العلماء معنى واحداً لكلمة "وسطا" وهو (معتدل)، وعلى الرغم من أن هذا ليس تفسيراً معقولاً لكلمة "وسطا" إلا أنه هو الذي اختاره العديد من علماء الدين. البعض منهم قد خطا خطوة أبعد من ذلك. إنهم يزعمون بأنه مادام الشخص المعتدل ليس متطرفاً فإنه يكون منصفاً أيضاً. ولذلك يستنتجون بأن ما يُعنيه الله بقوله أن المسلمين هم أمة وسطا أي أنهم أمة منصفة وعادلة في أفعالها وأنماط حياتها وسياساتها.

هناك عدد قليل من العلماء مثل الباحث يوسف علي وهو من الموثوقين بهم والذي اتبع نهجاً مختلفاً، إنه ممن يزعم بأن كلمة وسط تعني "معتدل بإنصاف" أو منصف باعتدال. هل يعقل هذا التفسير؟ أولاً إنني (الكاتب) لم أجد في أيٍّ من القواميس التي فحصتها الكلمتين منصف ومعتدل كمعنى لكلمة وسط. ثانياً ماذا يعني أن يكون الشخص معتدل بإنصاف؟ هل يمكن أن يكون الشخص معتدلاً بلا إنصاف؟ أو منصفاً بلا اعتدال؟ إن الخيارات المختلفة التي قدمها علماء الدين تثبت مرةً أخرى هذه الحقيقة وهي أن الناس عندما لا يحبون ما تتضمنه الآية من معنى محدد يغيرون المعنى كي تناسب رغباتهم وتوقعاتهم الخاصة.

دعونا نضرب مثالا لكي نرى لماذا وكيف يغير المسلمون الكلمة الإلهية. لنفترض أنك شاركت في سياق الدراجات ومن ثمّ في نهاية السباق سمعت أن القاضي يقول إنك أنهيت المباراة وأحرزت رتبة المنتصف أي كنت في مرتبة الوسط. بالطبع ليس هذا ما كنت تريد أن تسمعه، إذاً ماذا سوف تفعل؟ من المحتمل أنك تحاول إنكار الموقف ورفضه، فنقول: كان يدور في مخيلة القاضي أمراً آخرًا. فكما اعتقد إنني إنسان عظيم

والقاضي ربما بكلمة "وسط" كان ينوي أن يقول بأنني إنسان عادل وأقر بالمنافسة العادلة. إن هذه الاستراتيجية هي تلك التي اعتمدها علماء الدين وعزّزوا من شأنها. من الذي يرغب أو حتى يجروء على رفض تفسير يقره العلماء؟ إن الناس يحبون أن يستمعوا إلى قادة أديانهم الذين قاموا بإعلاء شأن ديانتهم ورفع مكانتها فوق سائر الأديان. يود أتباع الأديان أن يكون لهم مبررات لمعتقداتهم لا سيما إذا كانت هذه المعتقدات تجعل دينهم مميزاً وفريداً من نوعه. هذا هو سر بقاء علماء الدين على رأس السلطة حيث يُفوّض إليهم كل الأمور ويبقى العالم في حالة من الفوضى والانقسام.

لقد أحبَّ المسيحيون أن يستمعوا إلى علمائهم وهم يقولون لهم أن يسوع هو المنقذ الوحيد. وينطبق الشيء نفسه مع الغالبية العظمى من أتباع الديانات الأخرى. فالمؤمن نادراً ما يتجرأ أن يشك في المعتقدات السائدة لأسلافه رغم كونها غير عقلانية.

إن النبوءة التالية لا تنطبق على المسيحيين واليهود فقط، بل تنطبق على المسلمين أيضاً.

فإنه سيأتي زمان لا يطيق الناس فيه التعليم الصحيح بل تبعاً لشهواتهم الخاصة يكذبون لأنفسهم معلمين (يقولون لهم كلاماً) يُداعب الأذان.  
٢ تيموثاوس، الفصل ٤، آية: ٣

القول بأن المسلمين هم أمة وسطا يتفق بانسجام تام مع الآيات التي درسناها خاصة تلك التي تصرّح بالمبدأ التالي:

سورة ٧، آية: ٣٤

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ.

إذا كان لكل أمة أجل فلا بد لها أن تواجه الموت (بالتعب الموت الروحاني) في الوقت المحدد. وهل يخلف الله بوعده من إرسال الرسل لكي ينعموا علينا بفيض من كنوز علمه؟ لا يمكن لرب رحيم ورؤوف بعباده أن يتخلى عنهم.

ومن سنة الله الأبدية أن الموت يعقبه دائماً هبة حياة جديدة. وهذا هو السبب في إرسال الرسل بين حين وآخر. ولكن تسمية المسلمين بأنهم أمة وسطا في حد ذاته يبين لنا أن الله كان على اطلاع كامل بالاعتقاد السائد بين المسلمين بأنهم آخر أمة وإلا لم يكن المسلمون بحاجة إلى التذكير بأنهم يقعون في المرتبة الوسطى من التسلسل الأممي.

سوف نقوم الآن بدراسة التفسير الشائع لكلمة "وسطا" ثم بعد ذلك نراجع القرآن الكريم لمعرفة ما إذا كان يؤكد التفسير الذي نقدمه هنا.

- إذا كان الله يريد أن يُصرّح بأن المسلمين هم إما منصفون أو معتدلون أو معتدلون بإنصاف، فلماذا لم يختار سبحانه وتعالى كلمة محددة ليعبر بوضوح عن هذه الصفات؟ لماذا اختار كلمة وسطا ويراد بها معتدلون؟

- الكلمتان اللتان تعرّفان كلمة وسطا أي عادل (منصف) و معتدل، ليستا مترادفتين أو منسجمتين. علينا أحياناً أن نتخذ إجراءات صارمة لتكون عادلين ومنصفين. ماذا لو كان عومل هيتلر باعتدال ولطف؟ الاعتدال في هذه الحالة سوف يكون الظلم بعينه.
- إن الاعتدال هو فضيلة تكون في مظاهر معينة من الحياة فقط. على سبيل المثال هل هي من الصفات الحسنة أن نكون معتدلين في الفضائل مثل العدالة والأمانة؟ عندما يتعلق الأمر بالفضائل الاعتدال هنا يمكن أن يعني الوسطية. في الحقيقة هذه هي إحدى المعاني الأقل شيوعاً لكلمة "وسطا".
- ليس في اختلاف علماء الدين الذين اختاروا ثلاثة معانٍ مختلفة لكلمة "وسطا" تكمن حقيقة واضحة بأن المعاني كلها هشة. فكما لاحظنا أن القاموس لم يعدد أو يسجل كلمة معتدل أو متوازن كمعنى مختلف لكلمة "وسطا".
- الآية كما تُرجمت بصورة تقليدية تُصرّح بأن:

سورة ٢، آية: ١٤٧

جعلناكم أمةً عادلةً ومنصفةً.

ماذا تعني الآية بأن نقول "جعلناكم أمةً معتدلةً ومنصفةً"؟ هل الله سبحانه وتعالى خلق المسلمين أو أجبرهم بأن يكونوا معتدلين؟ ألا يتضمن هذا الافتراض (جعلناكم أمةً معتدلةً ومنصفةً) بأن الله سبحانه وتعالى بطريقة أو بأخرى ساعد المسلمين ليكونوا معتدلين، ولكن ترك سائر أتباع الديانات الأخرى لتصبح ظالمةً ومتطرفةً.

- هل توجد آية في القرآن تؤكد مثل هذا التفسير؟
- هل يوجد في التاريخ الإسلامي أي دليل أو إشارة إلى أن المسلمين كانوا إما أكثر إعتدالاً أو أكثر عدلاً من أتباع الديانات الأخرى، مثل الهندوس والبوذيين واليهود والمسيحيين والزرذشت وغيرهم؟
- لقد انقسم الإسلام إلى طائفتين رئيسيتين مع معتقدات مختلفة جذرياً حول خلافة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام. هل يمكن لكلتا الطائفتين أن تكونا معتدلتين أو عادلتين فيما يتعلق بأكثر المسائل أهميةً ألا وهي: من هم الذين كانوا أحقاً بخلافة الرسول صلى الله عليه وسلم؟
- إن الآية التي تدعو المسلمين بأنهم أمة "وسطا" تؤكد إلى مدى أبعد الأدلة المقدمة مسبقاً والتي توضح بأن الأمة في هذه الآية لا تعني دولة أو شعب. وإن المسلمين ليسوا شعباً بل هم أفراد يؤمنون بالإسلام وينتمون إلى شعوب عديدة.

بعيداً عن كل الأدلة المقدمة سابقاً لتبيين أن "وسطا" في الآية تعني حقاً أن المسلمين هم أمة "وسطا" نجد أن من خلال دراسة العبارتين الأخيرتين للآية يمكننا أن نتبين المعنى الحقيقي لكلمة "وسطا".

لنتمعن في معنى الآية مرة أخرى ونصنفها إلى ثلاثة بنود:

سورة ٢، آية: ١٤٣

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...

- منزلة المسلمين هي: أنهم أمة وسطا.
- ليكونوا شهداء على الناس.
- ويكون الرسول عليكم شهيدا، أي ليرى كيف تتصرفون.

ترجمة أخرى:

إخترناكم أمة خيارا عدولا، لتشهدوا على الأمم بأن رسلهم بلغتهم رسالات ربهم، ويكون الرسول شهيدا عليكم أنه بلغكم رسالة ربه. (كما جاء في تفسير الجلالين والتفسير الميسر في المصحف الرقمي.)

إلى ماذا تلمح فقرة لتكونوا شهداء على الناس؟ ماذا تطلب من المسلمين أن يفعلوا؟ إنها تطلب منهم التفكير والتأمل في الطريقة التي كان الناس يسلكونها وقد استمروا بالتقيد بها، إذاً هذه الآية تذكر المسلمين عليهم يتعلمون درساً من التاريخ. إن الآيات القرآنية الأخرى تطلب منّا مراراً أن نعتبر من أفعال الأمم السابقة لأن التاريخ يعيد نفسه، [وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا وَذِرَاعًا ذِرَاعًا حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جحر ضبٍ لَتَبِعْتُمُوهُمْ. قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فَمَنْ؟"]

والناس قد اعتادوا بتقليد الأجداد السلف فعندما يُبعثُ رسول جديد يصدون عنه كما فعل أجدادهم القداماء تماماً.

إلى ماذا تلمح فقرة ويكون الرسول عليكم شهيدا؟ ماذا تُبلِّغ المسلمين؟ إنها تُقدِّم لهم هذا التحذير: كما أنكم أيها المسلمون تتأملون أتباع الديانات الأخرى لكي تتعلموا من دروس التاريخ، فسوف يتأمل تصرفاتكم الرسول الكريم ليرى ما إذا كنتم تتعلمون من دروس الأمم السابقة وتأخذون العبر منها أم لا. فالآية إنما هي تحذير للمؤمنين لأنها تصرّح بهذا الخطاب: تدبّروا وتفكّروا في تاريخ ديانة الملل السالفة. هذا الخطاب يتكرر في سورة قرآنية أخرى:

سورة ٢٢، آية: ٧٨

...لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...

سورة ٧٣، آية: ١٥

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا.

تأمل هذه الآيات أيضاً:

وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا... ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ.

سورة ١٠، الآيات: ١٤-١٣

ماذا تعلمنا الآيات السابقة؟ بأن الناس دائماً رفضوا أنبياءهم بسبب محدودية عقولهم والتي خيمت عليها سحب التقليد حتى أن براهين الله لم تُقنعهم. ألسنا نحن ورثة هؤلاء الأقسام؟ سوف نكون في موقفهم يوماً ما. ويتعين علينا آنذاك أن نقبل أو نرفض الرسول الجديد الذي بعثه الله سبحانه وتعالى. ألا ينبغي لنا أن نتعلم ونعتبر من

دروسهم؟ هل علينا أن نكون أسراء للتقاليد أو هل ينبغي أن نعترف بحجج الله التامة والكاملة والتي تؤكدنا الآيات التي تثبت بأن الله سوف يبعث رسولا جديداً. إذاً لماذا أخبر الله المسلمين بأنه سوف يكون عليهم شهيدا وكما ذكرت الآية (لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)؟

يبين القرآن الكريم بأن الله يبعث رسله بمهام خاصة مثل:

- تأكيد صدق الرسالات السابقة.
- يبشر المؤمنين برحمة ربهم كما يبشرهم بمجيء الرسل الذين وعدهم الله.
- يحذر الناس من عواقب رفضهم لأولئك الرسل.
- يكون شاهداً على أتباعه لينظر كيف يعملون.

الآية التالية تشير إلى ثلاث من تلك المهام:

سورة ٣٣، آية: ٤٥

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً.

كان عيسى عليه السلام شهيداً على أتباعه فعندما سأله الله عن أتباعه الذين أساؤوا فهم وتفسير تعاليمه، أجاب حضرته:

سورة ٥، الآيات ١١٨-١١٧

كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ... إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ...

تنص الآية التالية أن المسلمين كانوا أيضاً شهداء:

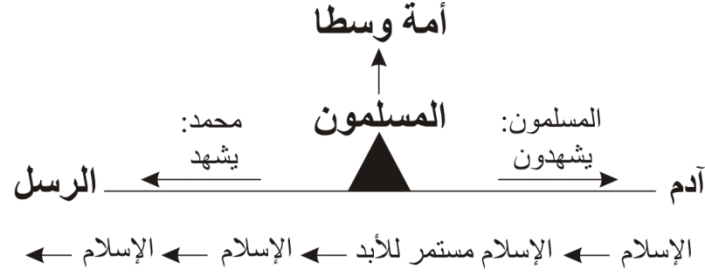
سورة ٢٢، آية: ٧٨

هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ.



**سيدنا محمد:** شاهد على المسلمين الذين عاشوا بعد ظهور الإسلام – لينظر كيف يعملون.

**المسلمون:** شهداء على أتباع الديانات السابقة—أي المسلمون الذين عاشوا قبل ظهور الإسلام وبعده—(لأن اتباع الديانات كلهم بشهادة القرآن مسلمون) ليروا كيف كانوا يعملون ولازالوا يتصرفون.



تماما كما جاء الرسل لهداية المسلمين الذين عاشوا قبل ظهور الإسلام فإنهم سوف يأتون لهداية المسلمين الذين سوف يعيشون بعد ظهور الإسلام. فقد وصف الله الأمم السابقة بالمسلمين فصار الإسلام وصفاً شاملاً وشرطاً لكل الرسالات الإلهية. فالإسلام هو وصف للأمم التي سبقت ظهور الدين الإسلامي وللمؤمنين الذين سوف يفوزون بعرفان الرسل من بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

إن هذه الدلالة ترفع من شأن الإسلام وتجعله عظيماً.

سورة ٣٥، آية: ٣٩

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ.

إن الآية السابقة تخاطب المسلمين الذي هم بالفعل على الصراط المستقيم ولم ينكروا الحقيقة. ماذا يمكن أن ينكر المسلمون غير الرسول الذي سوف يأتي بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. تنتبأ الآية وبطريقة مهذبة وبارعة بأنه رغم كون المسلمين شهداء على مصير الأمم الماضية ولكن الكثيرين منهم لن يعتبروا ويتعلموا الدرس المطلوب.

وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا... يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا.

سورة ٣٥، الآيات: ٤٣-٤٢

عندما ندرس الآيات السابقة، ندرك ما يلي:

- يجب على المسلمين أن يكونوا شهداء على مصير الأمم السابقة.
- إن المسلمين سوف لن يأخذوا العبر، وكثيراً منهم سوف ينكر الرسل في المستقبل.
- إن أتباع أي دين جديد يقسمون بأنهم ليكونن أهدى من إحدى الأمم أي الأمم الذين من قبلهم.
- عندما جاءهم رسول جديد اتبعوا سبيل من سبقهم من الأمم فاستكبروا واستهزؤوا به.
- هل الناس—بمن فيهم المسلمين—سوف يسلكون طريقاً آخر؟ وهل يعتقدون بأنهم سوف لا يتبعون سبيل الأمم السابقة؟
- إنهم (المسلمون) سوف لن يغيروا طريقة استجابتهم لرسول الله، ولن يغير الله في طريقته لإرسال الرسل.

إن الآيتين الأخيرتين التي تتبع الآيات السابقة تُعربُ عن صبر الله وعدله.

## عدالة الله

أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة. سورة ٣٥، آية: ٤٤

## صبر الله وعدالته

ولم يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً. سورة ٣٥، آية: ٤٥

ينبغي لنا أن نلاحظ بأن الإنذار النهائي دائماً ما يُعبر عنه بصيغة المستقبل:

ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى. سورة ٣٥، آية: ٤٥

إن كثيراً من الآيات القرآنية تصرّح بأن الله سبحانه وتعالى يُنزل العقاب الإلهي على الناس كما ورد في الآية السابقة بعد رفضهم الرسول الجديد. إن التحذير السابق والموضح بصيغة المستقبل يشير إلى أن معارضة جمهور الناس سوف يتكرر مرة أخرى ويُسجل في التاريخ.

إن البشر يميلون عادةً إلى الاعتقاد بأنهم مستثنون من هذه القاعدة وأنهم منفتحون ونيّتهم سليمة. إن الدراسات النفسية تشير إلى أن الناس يُغالون في الحديث عن أنفسهم فهل التقيت بفرد من طائفة ما يفضل معتقدات طائفة أخرى، هل قابلت على سبيل المثال أتباع الشيعة المتدينين يفضلون معتقدات أهل السنة أو أتباع السنة الملتزمين يفضلون معتقدات أهل الشيعة؟ لماذا إذاً يكون صعباً أن نجد مؤمناً من هذا القبيل؟ لأن الناس سعداء بما لديهم؟ قال تعالى:

من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون. سورة ٣٠، آية: ٣٢

إن الشعور بالرضا عن الذات والنفس هو السائد تقريباً بين جميع البشر. ففكرة إننا سوف لن نسلك سبل الأمم السابقة هو مثال آخر على تلك النزعة (كل حزب بما لديهم فرحون. المؤمنون ٥٣). تأملوا كيف يتعامل المسيحيون مع الإسلام والنهج الذي يسلكونه اتجاهه. هل أظهر المسيحيون حسن نواياهم وأنهم أصحاب عقول غير متحيزة أم هل كانوا متمسكين بتقاليدهم أي بما سمعوه عن آباءهم ورؤساء دينهم. ألم تكن الأمم تتصرف وفق الآية التالية من الإنجيل على مر العصور.

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المرأؤون! لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزيّنون مدافن الصديقين، وتقولون: لو كنا في أيام آباءنا لما شاركناهم في دم الأنبياء. إنجيل متى، الفصل ٢٣، الآيات: ٢٩-٣٠

إذا كان من السائد أن تتبّع الأمم سنة معينة فلماذا إذاً يكون المسلمون مستثنون عن هذه القاعدة العامة؟ هل كان المسلمون أول أمة تعتقد بأن دينهم هو آخر الأديان؟ كلا، إن الاعتقاد بختمية الدين يعود إلى ما قبل عهد الإسلام.



وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ...حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا. سورة ٤٠، آية: ٣٤

ينبغي أن نلاحظ بأن فكرة الختمية قد تم اعتمادها وروج لها تقريباً جميع المسيحيين. تأملوا العبارة التالية من عالم الإلهيات الشهير الدكتور جيمس كندي:

لقد كان موسى نجماً عظيماً لعصر العهد القديم وكان الأنبياء يعتبرونه الرسول العظيم الذي بواسطته أظهر الله كلمته ومشينته. ومع ذلك أعطى موسى بني إسرائيل الأمل بأنه سوف يظهر نبي عظيم آخر. هذا النبي (يسوع) سوف يأتي بالوحي النهائي للبشرية. [الرسالة إلى العبرانيين، الإصحاح الأول الآيات ٣-١] فهل يسوع نبيكم؟ هل تنظرون إليه بأنه الظهور النهائي والأخير لمشينة الله وصفته وغايته؟ هل أدعتم بأنه هو مصدر الحقيقة كلها؟ إن هذا هو المطلوب منا كمسيحيين.<sup>٢</sup>

الآن لنتأمل الآيات التالية كما فسرها أحد العلماء المسلمين:

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا. وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا. سورة ٧٢، الآيات: ٦-٧

التفسير: وأنتم يا معشر المؤمنين المنافقين زعمتم كما زعم المسلمون الصادقون بأن الله سوف لن يبعث أحداً (لكي يكون رسولا).

نرى أن كلمة بعث المذكورة في الآية السابقة والتي تُرجمت بالبعث بعد الموت، لها معنيان أساسيان:

- أحياء، أيقظ، بعثه بعد الموت.
- أرسله أو رفعه إلى مرتبة النبوة.

استُخدمت كلمة بعث في القرآن غالباً فيما يتعلق بإرسال الرسل.

سورة ٢، آية: ٢١٣

فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ.

سورة ١٧، آية: ١٥

وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا.

سورة ٧، آية: ١٠٣

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ.

لنتأمل السورة ٧٢، آية ٧: "وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا" مرة أخرى: وأنتم يا معشر المؤمنين المنافقين زعمتم كما زعم المسلمون الصادقون بأن الله سوف لن يبعث أحداً (لكي يكون رسولا).

أي من المعاني تكون ذات صلة بالآية السابقة: رفع إنسانٍ إلى مرتبة النبوة أم إحياء الإنسان من بعد الموت. إذا كان موضوع الآية هو إحياء الموتى فإنه من الأرجح أن يشير إلى الناس بصفة عامة. بالنظر إلى كلا المعنيين لكلمة "بعث" فإن الإشارة إلى شخص مفرد، تدل أن الآية تشير إلى إرسال رسول بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من كونها أن تشير إلى بعث شخص ما من الموت. إن بعض التراجم كذلك التي هي من قبل الدكتور الهاللي تؤكد الترجمة المذكورة سابقاً عن إرسال الرسول:

وهم ظنوا كما ظننتم بان الله لن يبعث رسولا.

سورة ٧٢، آية: ٧

من هم الجن؟ إنهم غالباً وليس دائماً متحفظون وذو وجهين وإنهم يضللون المؤمنين الصادقين. فتنص الآية السابقة أن المؤمنين المنافقين والذين يُطلق عليهم الجن يُخبرون المؤمنين الصادقين (الإنس) بأنه لن يبعث الله رسولا.

وَأَنْهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا.

سورة ٧٢، آية: ٧

تخاطب هذه الآية المسلمين، وتصرح بأن بعض المؤمنين المنافقين في الماضي أمثال المسيحيين اعتبروا كما أنتم أيها المسلمون تعتبرون بأنه لن "يُبعث" أحداً. فالفعل يبعث لا تشير إلى إحياء الموتى، وكما هو مسلم به فالمسلمون على إيمان بأن الموتى سوف يُبعثون حيث يوم البعث هو الموضوع الرئيسي والجوهري في القرآن. إن الأمر الذي يتصوره المسلمون بهتاناً هو أن الله سوف لن يبعث أي رسول بعد سيدنا محمد. إن الآية ٦ من سورة الجن هي الأكثر دلالةً على بهتان العقيدة السائدة بخاتم النبيين.

إن مقارنة الآيتين التاليتين سوف تُساعدنا لكي ندرك ونعزز المعنى الحقيقي لكلمة بعث.

فَلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا.

سورة ٤٠، آية: ٣٤

وَأَنْهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا.

سورة ٧٢، آية: ٧

كما أن الآية التالية توضح الدور المميز للجن في تضليل أتباعهم ذوي العقول الساذجة.

وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْرَهْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.

سورة ٦، آية: ١٢٨

من هم الناس الذين لهم دور في تضليل الآخرين؟ أليسوا هم رجال الدين؟ ولكن الآية تصرح بأن المؤمنين الصادقين (الإنس) الذين ضلّوهم رؤساءهم (الجن) لا يستطيعون أن يسامحوا أنفسهم أو يبرروا موقفهم. إنهم مسؤولون لسماحهم لهؤلاء القادة بتضليلهم. كما يبين لنا القرآن، كلا الفريقين مثواه جهنم. وهناك آيات كثيرة من القرآن الكريم تبيّن أن زعماء الدين يصدّون الناس عن الحقيقة وخاصة عند بزوغ فجر جديد لرسالة سماوية.

يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ. وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا. رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا.

سورة ٣٣، الآيات: ٦٨، ٦٦

تأملوا أيضاً: سورة ٤١، آية: ٢٩، سورة ٣١، الآيات: ٣٣-٣٤، سورة ٢٧، الآيات: ٣٧-٣٣

من هم الذين يمكن أن يُضلّوا الآخرين بمن فيهم المسلمين؟ أليسوا هم رجال الدين وزعمائه؟ ولكن كما تصرّح الآية فإن المؤمنين الصادقين قد أضلوهم زعماءهم (الجن) لأنهم أولاً لديهم السلطة لعمل ذلك، وثانياً لأنهم يخشون فقدان مراكزهم. ماذا تعتقد سيحدث إذا ما أعلن قسيس أو كاهن يوماً ما هذه الرسالة في

كنيستته: إن محمداً هو رسول الله. ماذا لو أعلن شيخ مسلم أو إمام مسجد هذه الرسالة في مسجده: لقد كنا على خطأ، إن محمداً ليس خاتم الأنبياء.

هنا علينا أن نضع بعين الاعتبار أن زعماء الدين ليسوا جميعاً على شاكلة واحدة. إن بعضهم يضيء ويتلألأ كالنجوم في السماء. إنهم نموذج للعدالة والحكمة أي نموذج حي لهذه الآية من القرآن الكريم.

سورة ٤٩، آية: ١٣

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ.

ولكن هناك رجال دين آخرين هم العكس تماماً. إنهم يثيرون التعصب والعنف والحرب. ومعظم الآيات القرآنية تخاطب هؤلاء الزعماء. ولقد تم مناقشة هذا الموضوع بمزيد من التفصيل في فصل آخر من الكتاب. لكي نختم هذا الفصل دعونا نراجع الاستراتيجيات التي استخدمها الناس على مرّ العصور لكي يرفضوا أنبياءهم. نُدرجُ فيما يلي أكثر الأسباب التي أدت إلى إعراض الأمم:

- شرح وتفسير الكلمة الإلهية وخاصة النبوءات بناءً على المعاني الظاهرية والحرفية لتلك العبارات، وذلك كالآتي:
- تفسير كلمة "وسطا" بأنها لا تعني وسط، بل معتدل ومنصف.
- تفسير كلمة "أمة" بأنها لا تعني جماعة دينية كالمسيحيين والمسلمين بل تعني مجتمع أو شعب أو جماعة غير محددة من الناس.
- تفسير كلمة "بعث" الواردة في الآيات كما تناولناها سابقاً بأنها تشير إلى إحياء الموتى ولا تشير إلى بعث الرسل.
- تفسير كلمة "خاتم" بأنها النهاية لأن الناس عادةً يضعون خاتمهم أو يوقعون على الرسالة أو الوثيقة في نهايتها وليس في بدايتها.

مما سبق يتضح لنا كما ذكر القرآن الكريم في سورة الأعراف كيف كان الناس يفسرون الآيات ويتدبرون معانيها عند بزوغ فجر جديد لرسالة سماوية. قال تعالى:

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ.

سورة ٧، آية: ١٦٢

إنه من الصعب جدا للدليل والبرهان أن ينتصر على القوى القاهرة للعقائد التي كانت ولا تزال راسخة في أذهان الأمة، وإن وعد مجيء رسل من عند الله بعد سيدنا محمد هي من إحدى الوعود المؤكدة التي ذكرها الله في القرآن الكريم، وهي تضيء في سماء الذكر الحكيم كالشمس الساطعة ولكن للأسف قد تم إخفاء هذه الحقيقة خلف سحب من النظريات والافتراضات الدينية المتعصبة ويسيطر عليها زعماء الدين المغالون بحيث لا يسمحون لنور العرفان أن يصل إلى قلوب وعقول المؤمنين الصادقين.



## الوعد بمجيء الرسول الجديد

### الجزء الأول

إن الآيات القرآنية التي تتعارض مع فرضية الختمية عند العلماء عديدة ويقدم لنا القرآن الكريم الكثير من القرائن الجلية بانقضاء أجل الإسلام وانتهاء مدة دورته. فالآية التي سوف نقوم بدراستها في هذا الفصل تأتي مباشرة بعد الآية التي درسناها في الفصل السابق.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ. سورة ٧، آية: ٣٤

تعلن هذه الآية عن الموت الروحاني لكل أمة بعد انقضاء أجلها—وبالطبع تشمل الأمة الإسلامية—ثم بعدها يبشرنا الله سبحانه وتعالى مباشرة ويطمئننا بأنه لن يتركنا في هذا الوضع الخطير بل ويعدنا بأنه سوف يرسل الرسل لتجديد النفوس روحانياً. إن الآية التي نحن بصدد دراستها كالأيات السابقة التي درسناها يقوِّض في حد ذاته مفهوم ختم النبوة. فكما هو متوقع فإن علماء الدين قد عالجوا هذه الآية بنفس الأسلوب الذي قاموا به بتفسير الآيات المشابهة، وبالتالي فقد قاموا إما بتجاهل أو تغيير الرسالة التي تدعو إليها الآية. لإجراء دراسة شاملة للآية علينا أن نتأمل ونقارن إثنين من التراجم، أحدهما من فرد مسلم والآخر من شخص مسيحي.

يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. سورة ٧، آية: ٣٥

ترجمة يوسف علي:

يا بني آدم عندما سيأتيكم رسل منكم...

ترجمة رود ول (Rodwell):

يا بني آدم سوف يأتيكم رسل منكم...

وها هي ترجمتي (الكاتب) التي أقدمها لكم:

يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم وبلا ريب سوف يتلون عليكم آياتي...

يعلن القرآن مراراً أن الخوف والحزن مقدرٌ ومحتمٌ لأهل النار. نتساءل هنا لماذا يُعاني أهل النار من الخوف في جهنم؟ نقول إما لأنهم يرون مشاهد مخيفة ومزعجة أو لأنهم يتساءلون كيف بإمكانهم أن يتحملوا البقاء في جهنم إلى الأبد. ولماذا هم يحزنون؟ لأنهم يتذكرون إهمالهم وعدم طاعتهم للأوامر الإلهية المنزلة. ماهي هذه الأوامر؟ أحدها يتعلق بمصير الفرد روحانياً أي يرتبط بمعرفته للحقيقة، هنا ينبغي للفرد المؤمن أن لا يتبع والديه أو الملالي أو القساوسة أو الأئمة أو المجتهدين ولا يجعل أعمالهم وأفعالهم ميزاناً لمعرفة الحق بل عليه أن يفكر جيداً ليميز الحق عن الباطل.

لعل أفضل طريقة لتقييم التراجم الثلاثة هو أن نبحث ونتأمل القرآن الكريم لنرى ما إذا كانت نفس العبارة موجودة في آيات أخرى أم لا. قال الله تعالى:

سورة ٢٠، آية: ١٢٣

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكَ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى.

إن العبارة الحاسمة في الآية السابقة هي:

"فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكَ"

وكما نرى لقد ترجمها يوسف علي— هكذا:

إما، كما هو من المؤكد، يأتينكم... [فأستخدم أداة شرط أعقبها بجملة توكيد].

ومن غير المعتاد أن نجمع بين جملة شرطية ونعقبها بجملة توكيد، فلماذا اجتمع إذاً مفهومي الشك واليقين في هذا السياق القرآني؟ إن الجمع بين السياقين هو أسلوب أدبي مختص بالقرآن الكريم، فالله سبحانه وتعالى استخدم جملة شرطية ثم لكي يُبعد أي سؤال أو شك قد يتبادر إلى ذهن القارئ يُعقب هذه الأداة بجملة "يَأْتِيَنَّكَ" وبيقين مطلق.

في الواقع إنه يقترح أولاً جملة شرطية:

إما أرسل لكم هدى...

ثم مباشرةً يزيل أي شك عن الشرط بتصريحه تعالى:

بالتأكيد سوف أرسل... فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكَ مِّنِّي هُدًى.

نرى بأن الله سبحانه وتعالى يذكر نفس العبارة بنفس الأداة: "إِمَّا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ" في سورة الأعراف آية ٣٥، فيبدأ الآية بالأداة التي هي بمثابة سؤال، ثم يصد أي شك قد تنيره أداة الشرط بقوله تعالى:

"يَأْتِيَنَّكَ".

من المؤكد أنهم (الرسل) سوف يأتون إليكم.

يستخدم الله سبحانه وتعالى صيغة المستقبل بنون التوكيد الثقيلة والتي هي ميزة فريدة في اللغة العربية. فبعد هذه العبارة الصريحة كيف يمكن لأي فرد أن يراوده الشك في معنى هذه الكلمات؟ ومن الصعب أن نجد وعداً أكثر وضوحاً وتأكيذاً من الآية السابقة. إن المترجمين والمفسرين لآيات القرآن مرةً أخرى يقومون بتضعيف المعنى المقصود من الآية الكريمة البالغة الأهمية بطريقتين. إنهم يفشلون في توضيح أن:

- الآية تشير إلى المستقبل.
- الوعد مؤكد لأن الفعل ألحقه نون التوكيد الثقيلة. هناك علماء مسلمون آخرون ومترجمون أكدوا أيضاً مفهوم الفعل الذي يلحقه نون الوكيد الثقيلة في السورة ٢٠ آية ١٢٣. فيما يلي بعض الأمثلة على ذلك.

### الآية هي:

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى

سورة ٢٠، آية: ١٢٣

المترجمون	ترجمة الآية
محمد أسد	بالتأكيد سوف تأتيكم الهداية من عندي...
مولانا محمد علي	وهكذا سوف تأتيكم الهداية من عندي...
شكير	وهكذا سوف تأتيكم الهداية من عندي...

إن سياق الآية (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى) يجعل المعنى واضحاً تماماً. لأنه يتعلق بالوعد الذي أعطاه الله لآدم وجميع ذريته. لنبحث هذا الوعد سوياً.

إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى. وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى.

سورة ٢٠، الآيات: ١٢٧-١٢٤

إن الدراسة الدقيقة للآيات السابقة تكشف عن الحقائق الآتية:

- يعد الله ذرية بني آدم وعداً قاطعاً بأنه لن يتركهم دون هداية ودون أن يرسل إليهم من يهديهم إلى سواء السبيل.
- إن الناس لديهم الحرية لكي يعرضوا عن ذكر الله سبحانه وتعالى فهو يرسل لهم الرسل مبشرين ومنذرين ليذكّر عباده بهديّه وما يريده لهم لعلهم يتّعظون.

- إن الذين يعرضون عن ذكره سوف ينالون عاقبة إنكارهم في الآخرة ولهم عيشة شاقة وصعبة.
  - إن الذين ينكرون رسل الله أولئك على أبصارهم غشاوة وإن كانوا يبصرون.
  - عندما ينتقل هؤلاء إلى الحياة الآخرة يُدركون أنهم قد فقدوا البصيرة الروحانية.
  - عندما يتساءلون لماذا حُشروا عُميةً يخبرهم جَلٌّ وعلا بأنه قد جاءكم آياتنا فَتَسِيئُموهاً وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَوْنَ.
  - أولئك الذين يرفضون الرسل الإلهية يكونون في غفلةٍ من أمرهم ويتجاهلون الهدف من خلقهم ووجودهم في هذا العالم.
  - إن العذاب في دار الآخرة أشد وطأة، لأن الحياة الدنيا زائلة وحياة الآخرة هي الباقية.
- إن الآيات السابقة تشير إلى عهد من الله أي وعد منه لآدم وأبنائه بأنه لن يترك البشرية بدون هداية. هل يمكن لأحد ما أن يشك في هذا الوعد؟ إذا استطعنا أن نشك فيه، يمكننا أيضاً أن نشك في العهد الذي قطعه سيدنا محمد مع أمته باستخدام نفس تركيب العبارات وهو الفعل المضارع المقترن بنون التوكيد الثقيلة.

وعد لآدم وأبنائه	فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى	بالتأكيد سوف تأتيكم الهداية من عندي...
وعد تكرر مرة أخرى بواسطة سيدنا محمد	إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ	بالتأكيد سوف يأتيكم الرسل..

لماذا يحرف الناس معنى الكلمة الإلهية؟

سورة ٥، آية: ٤١

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ.

سورة ٤، آية: ٤٦

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

لماذا ترجم يوسف علي وفقهاء مسلمون آخرون كلمة "إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ" بطريقتين مختلفتين. أي انه عندما تحكي الآية عن الفترة ما قبل الإسلام في تلك الحالة يضعون عبارة بالتأكيد أو كما هو موثوق به. بينما في ترجمة الآيات الأخرى التي تشير إلى الفترة ما بعد الإسلام فإنهم يحذفون تلك العبارتين، وهذا الحذف يحدد الفرق في المعنى.

إن الترجمة التي قدمها (رود ويل) المسيحي هي أكثر دقة، لأنها تنقل الرسالة الرئيسية التي يريد القرآن أن يوصلها على نحو صحيح. إن رود ويل—يصرِّح بوضوح بأنه سوف يأتيكم رسلٌ منكم ولكن يحذف حرف التوكيد. فبغض النظر عن وضوح الوعد نستطيع أن نفهم معنى الآية ببساطة عن طريق المنطق. عندما يصرِّح الله ويقول بأنه "يأتيكم رسلٌ" فهل يكون لدى الله سبحانه وتعالى أدنى شك—كما نشك نحن البشر غالباً—بشأن هذا الوعد؟ هل كان خالفنا غير متأكدٍ بأنه سوف يرسل إلينا رسلاً آخرين؟ لماذا إذاً أقحم الله سبحانه وتعالى (أي أدخل) الأداة—إما—في الآية؟ إليكم بعض الأسباب المحتملة:



- لقد استخدم الله الأداة—إمّا—كذريعة أدبية.
- باستخدامه الأداة إمّا، تنبأ الله بطريقة بارعة ولطيفة الشك السائد بين المسلمين بشأن مجيء رسول جديد من عند الله.
- يريد الله سبحانه وتعالى أن يمتحننا بطريقة فريدة من نوعها. (لقد تم مناقشة هذا الموضوع لاحقاً في هذا الكتاب).

يمكننا أن نستنتج بالمنطق فقط أن الآية مضمرة فيها الكلمات والعبارات الآتية: بالتأكيد، بدون شك، كما هو موثوق به، ولكن التفسيرات المسبقة هي التي منعت المترجمين المسلمين أن يكونوا موضوعيين في عملهم ومنعتهم أيضاً من مواجهة الحقيقة.

حتى لو قبلنا الترجمة المعترفة بها لهذه الآية فإنها لا تزال تناقض مقولة ختم النبوة، لأنها رغم ذلك تشير إلى احتمال مجيء الرسل.

إن القرآن يستخدم عبارة مماثلة للإشارة إلى مجيء الرسل السابقين:

سورة ٦، آية: ١٣٠ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي...؟

إن الآيتين تكاد تكونان متطابقتين. أحدهما تشير إلى الماضي والآية الأخرى تشير إلى المستقبل.

دعونا نقارن آيتين متمثلتين، أحدهما عن الماضي والأخرى عن المستقبل.

سورة ٩، آية: ١٢٨ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ.

سورة ٧، آية: ٣٥ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ.

هل هناك أدنى شك بأن الآية السابقة تشير إلى مجيء الرسل بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟

نجد أن القرآن يستخدم كلمة "إمّا" في آياتٍ أخرى ويعقبه بفعل مضارع متصل بنون التوكيد الثقيلة للإشارة إلى إيفاء بالوعد في المستقبل. في الآية التالية الوعد مصرّح للرسول محمد عليه السلام.

سورة ٤٠، آية: ٧٧ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ.

انظر أيضاً سورة ٦، آية: ٦٨

لنعيد صياغة الآية السابقة بلغة اليوم.

إن وعد الله حق. سوف نوفي ببعضها أثناء حياتك، والبعض الآخر بعد وفاتك.

كما نلاحظ فإن الآية تشير إلى المستقبل، وإن استخدام فعل الأمر المتصل بنون التوكيد الثقيلة (نُرِيَنَّكَ) يُبَيِّنُ بأن الوعد المصرّح به لمحمد أمر حتمي. فهكذا الجمع بين كلمة (إمّا) والفعل المضارع المتصل بنون التوكيد الثقيلة يؤدي إلى الاستنتاجات التالية:

- إن زمن الوفاء بالوعد المصرح في الآية سيكون في المستقبل.
- إن الوعد هو حق مطلق، قطعي وبلا قيد أو شرط.

سؤال آخر: إن الآية (إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ) سورة ٧، آية: ٣٥ تشير إلى أبناء آدم كافة ولا تخاطب مباشرة المسلمين. هل يمكن لأحد أن يدعي بأن المسلمين مستبعدين؟ إن الله بحكمته قد حسم هذه القضية. إن الله سبحانه وتعالى يستخدم عبارة يا بني آدم في الآية ٣١ من نفس السورة، يخاطب بها أولئك الذين يعبدون الله في المسجد. فمن هم غير المسلمين الذين يعبدون الله في المسجد؟

سورة ٧، آية: ٣١

يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ.

### الجزاء والعقاب المقدر لأولئك الذين يقبلون أو يرفضون مجيء الرسل

هل كان الله يعلم أن معظم المسلمين سوف يرفضون أو لن يدركوا الوعد الذي منحهم الله سبحانه وتعالى بمجيء الرسل في المستقبل؟ للرد على هذا السؤال، نحن بحاجة إلى أن نرى الآية التي تعطينا الوعد السابق مع الآية التي تتبعها مباشرة.

يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.  
سورة ٧، الآيات: ٣٦-٣٥

إن الآيتين السابقتين مترابطتان بوضوح تام. فالآية ٣٥ تخبرنا بأنه بالتأكيد سيأتي رسول جديد ليقص علينا أو يُنزل لنا الكلمة الإلهية بينما الآية ٣٦ تنذر المؤمنين الذين ينكرون ويكذبون ذلك.

من الواضح أن خالقنا لا يريد منا أن ننكر رسله ولكنه يعلم أن معظم المؤمنين هم على علاقة وثيقة بتقاليدهم كعلاقة الرضيع بأمه. ولكي يحرر الله المؤمنين من الامتثال برأي الآخرين والتمسك بالتقاليد القوية التأثير على أذهانهم فإنه يناشدهم ويحذّرهم من نار جهنم ويخصص ثلاث عشرة آية للعواقب المهيبة لمن ينكر الرسل الذين سوف يبعثهم وذلك لكي يأخذوا وعيده محمل الجد.

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ.  
سورة ٧، آية: ٤٠

يستمر نزول الآيات التي تدل على الإنذارات الموجهة إلى أولئك الذين ينكرون من يبعثهم الله من الرسل. لاحظ المحادثة التي تدور بين أولئك الذين ينكرون الرسول الجديد وأولئك الذين يؤمنون به.

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا. سورة ٧، الآيات: ٤٤-٤٥

**أصحاب الجنة:** وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا.  
**أصحاب النار:** قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا.

من هم الذين كانوا يصدون الناس عن صراط الله المستقيم؟ إنهم علماء الدين في المقام الأول وفي جميع العصور وذلك خوفاً من زوال نفوذهم، لأنهم هم الذين يخسرون الكثير لدى قبولهم الرسول الجديد. ماذا سوف يحدث برأيك إذا وقف كاهن أو قس في كنيسة وأعلن: أيها المسيحيون لقد كنا على خطأ، محمد هو رسول الله وعلينا جميعاً أن نؤمن بدينه؟ هل سيحتفظ هذا الكاهن بمنصبه ولو ليوم واحد بعد ذلك؟ ألا ينطبق ذلك على العلماء المسلمين أيضاً إذا أثاروا مثلاً عقيدة خاتم الأنبياء؟ هل هم مستثنون عن هذه القاعدة؟

إن المحادثة بين أولئك الذين يؤمنون بالرسول الجديد وأولئك الذين يعترضون عليه نجدها في الآيات التالية:

وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ. الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ. سورة ٧، الآيات: ٥١-٥٠

**الذين يرفضون الرسول الجديد:** وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ.  
**الذين يؤمنون بالرسول الجديد:** قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ. الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ.

كيف نعرف أن الآيات السابقة لا تنطبق على أولئك الذين يرفضون الإسلام؟ لأن الآيتين اللتين تعقبان الآيات السابقة تعطيانا كل القرائن التي نحتاجها.

أولاً: الآية الأولى تتحدث عن الكتاب الذي سوف يهبه الله للبشرية في المستقبل أي بعد رسالة سيدنا محمد.

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. سورة ٧، آية: ٥٢

وأما الآية التي تلي الآية السابقة مباشرة تعطيانا المزيد من الأدلة على أن الحوار بين أهل النار وأصحاب الجنة يخص أولئك الذين يرفضون الرسول الجديد الذي يبعثه الله بعد سيدنا محمد.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ.

سورة ٧، آية: ٥٣

ما هو هذا الكتاب الذي يحتاج إلى التأويل؟ إنه القرآن الذي يتضمن فقرات مبهمة وصعبة. وهذا هو السبب الذي يجعل كثيراً من المفسرين يختلفون في الرأي بشأن تفسير العديد من الآيات القرآنية. من الذي يعلم تفسير تلك الآيات والمقصود من دلالاتها؟ إنه الرسول الذي يبعثه الله في اليوم الموعود والساعة المقررة. هل يمكن لأي إنسان أن يكون معصوماً أو مرجعاً مؤتمناً؟ إن الآية توضح لنا بأنه يجب علينا أن لا نكون متعصبين ومنحازين في تفسير وفهم كلام الله. فالتفسير للآيات المتشابهات والمقصود منها في القرآن الكريم سوف يأتي من عند الله عن طريق رسله فيما بعد. ألم يأت التفسير لعبارات الإنجيل بواسطة سيدنا محمد؟ ألم يرفض الرسول الكريم على سبيل المثال عقيدة الثالوث؟ ألم يُفسّر القرآن لليهود ما لم يتمكنوا من فهمه؟

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَفْصُلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.

سورة ٢٧، آية: ٧٦

تأملوا الآية التالية!

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُنْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ. الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبِرٍ جَبَّارٍ.

سورة ٢٧، آية: ٣٤-٣٥

تبين لنا الآية السابقة حقيقتين مهمتين:

- إن الناس في الماضي كانوا يعتقدون ما يعتقدوه المسلمون اليوم.
- لم تكن لعلماء الأمم السابقة أي سلطة شرعية لكي يزعموا بأنهم المفسرون المعتمدون للآيات الإلهية أو أن لهم الكلمة الأخيرة. وبالرغم من ذلك فإنهم يدعون كما يدعي المسلمون الآن أن رسالتهم هي آخر الرسالات و أن رسولهم هو آخر الرسل ولن يأتي رسول بعده. ماذا لو أتى رسول من عند الله بالبيّنات؟ هل ينبغي لنا أن نجادله ونرفضه دون أن نملك أي حق أو سلطة بتفسير كلام الله؟ من الذي آنذاك لديه السلطة الشرعية في تفسير آيات القرآن؟ إنه فقط من يكون مفوضاً ومعتمداً من قبل الله والذي سيأتي بالبيّنات والبراهين الواضحة من عنده. من الذي عرف المعاني التي تضمنتها آيات الإنجيل المنزلة على عيسى عليه السلام؟ إنه سيدنا محمد! وهو وحده المفسر وصاحب السلطة لتبيين آيات الإنجيل. لماذا إذاً هذا الحكم من شأنه أن يتغير فجأة؟ ألا ينبغي لنا أن نترك الأبواب مفتوحة؟ كيف يمكن للمؤمن الذي يصد باب معرفة الظهور الإلهي الجديد أن يكون تجاوبه مع هذا السؤال:

أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا.

سورة ٢٧، آية: ٨٤

أما الآية التالية فتؤكد أن التفسير الصحيح للقرآن سوف يأتي من الله سبحانه وتعالى. فكلمة "ثم" تشير إلى وقت لاحق أبعد من وقت نزول القرآن.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ.

سورة ٧٥، آية: ١٩

السؤال الذي يجب على المسلمين أن يسألوه هو: إذا أتى رسول جديد ومعه كتاب منزل من عند الله هل ينبغي لنا أن نكذبه لأن الرسول الكريم هو خاتم الأنبياء حسب تفسير علماء الدين للآية (٤٠) التي جاء ذكرها في سورة الأحزاب؟ هل الاستجابة لهذا الادعاء منطقي وعادل؟ أليس هو نفس الأسلوب الذي اتبعه المسيحيون لإنكار سيدنا محمد؟ ألم يقولوا بأن الرسول المنتظر يجب أن يأتي على السحاب؟ ألم يمتنعوا عن الإيمان بسيدنا محمد على الأغلب بسبب إساءة تفسير الكتاب المقدس؟ من قَدّم التفسير الصحيح للإنجيل؟ إنه بالتأكيد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. لقد قام بإزالة كل المفاهيم الخاطئة الرئيسية لديهم. ولكن هل استمعوا له؟ إن القرآن لا يقدم فقط الإنذارات والوعيد لأولئك الذين يكذبون الرسول الجديد بل يهب أولئك الذين يؤمنون به الثواب الجزيل.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

سورة ٧، آية: ٤٢

لاحظوا الإلتفات المهم الذي يشير إليه الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة: " لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا " هو القصد من عبارة (الإلا وسعها)؟

- الشعور بالمسئولية عند اختيار الإنسان مصيره الروحاني.
- البحث والتحقيق في النبوءات التي تشير إلى مجيء الرسول الجديد، دون الاهتمام بالمعتقدات التي تؤمن بها غالبية المؤمنين الآخرين.
- الإيمان المطلق بأن أولئك الذين يُحققون ويبحثون في أنباء وبشارات الرسول الجديد سوف يُلهمون و يُدعمون ليتفق بحثهم وإرادة الله:

سورة ٢٩، آية: ٦٩

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ.

يظن مؤمنو كل الديانات بأن الأمر يرجع إلى زعماء ورؤساء دينهم لكي يقرروا لهم ماذا يعتقدون. ولكن الآية السابقة تبين بأن هذا التفكير لا أساس له من الصحة تماماً ولا يقبله الله. وكما رأينا في الفصل الأول إن الله سبحانه وتعالى يدين أولئك الذين يدينون بدين آبائهم. هؤلاء المؤمنون يبنون مصيرهم الأبدي على رمال غير مستقرة. قد تأتي رياح وفجأة تجعله هباءً منثوراً.

هل سوف تذهب بعد ذلك إلى زعيمك الديني وتسأله ما إذا كان الكتاب المنزل الجديد يحمل الحقيقة. بالطبع لك كامل الحرية أن تفعل ذلك إذا أردت ولكن تذكر هذا المثال قبل أن تذهب إليه. افترض أنك تدعو مسيحي أو يهودي إلى الدين الإسلامي. وتظل تبين له عظمة القرآن ورفعته لساعات وأيام وشهور بل ولسنين. ماذا سوف يحدث إذا ذهب إلى زعمائه أو قساوسته أو حاخاماته؟ ما هي الفرص التي سوف تتاح له لكي يدرس القرآن مع القسيس أو الحاخام بعقل منفتح وقلب منير. ما هي الفرص مرةً أخرى التي سوف تتاح له لكي يتشجع لمواصلة دراسته للإسلام؟ الفرص سوف لا تتعدى الواحد في المليون.

حسب المعايير التي قررها الله لا يستطيع أحد أن يُلقي المسؤولية لاختيار طريقه في السير قُدماً للإيمان بالرسول الجديد على الآخرين. إن الطريق الأمثل هو قراءة هذا الكتاب وإعادة قراءته لمعرفة ما إذا كانت دلائله منطقية، أو إذا كان به أي أخطاء في الاستدلال لاستمرارية الرسالات ومن ثم طلب الهداية من الله.

على سبيل المثال، بعض المسلمين يقولون بأنهم لا يعرفون العربية جيداً كي يفهموا معاني القرآن. هؤلاء المؤمنون ينبغي لهم أن يتذكروا بأن الذين قاموا بإيذاء الرسول وإنكاره كانوا من أبرز علماء عصرهم ومن أعظم اللغويين والكتّاب والشعراء الذين كانت معرفتهم باللغة العربية أفضل من معظم قادة الدين المسلمين في عصرنا.

كذلك بعض المسيحيين يتشبثون بالأعذار نفسها، فيتركون مصيرهم في أيدي زعمائهم الدينيين. إنهم يفترضون بأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والعياذ بالله نبي كاذب دون أن يقرأوا القرآن أبداً، ودون أن يحققوا في الحياة السامية الرفيعة للرسول محمد سيد الرسل. فيوجهون أعباء مسؤولية اختيارهم لمصيرهم بالقول أنهم لا يعرفون العبرية أو ما يكفي من اليونانية لمعرفة الكتاب المقدس (الإنجيل). ويشعرون بأنهم عاجزون عن معرفة سناء وعظمة القرآن الكريم الكتاب الذي يعكس مجد الله وسلطانه جلياً كسطوع الشمس. فإذا كان الإنسان عاجزاً من أن يرى الشمس في هذه الحالة فقط سيكون عاجزاً من معرفة الرسول الكريم. ورغم كل ذلك يستمر الإنكار من قبل المسيحيين.

وهكذا، فإن معرفة اللغة لا علاقة لها بمعرفة رسل الله. إن المسيحيين يجب أن يتذكروا بأن حنان وقيافا اللذين كانا من أبرز زعماء الدين ومن أعظم علماء اليهود واليونانيين قد أنكروا المسيح. لأن العلوم الاكتسابية دائماً تخلق الكبرياء والغرور فتحجب الأفكار وتصد باب العقول عن معرفة الحقيقة فتمتلئ بالتعصب.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. سورة ٤٠، آية: ٨٣

إن الوصول إلى عرفان الرسول الجديد إنما يرتبط بالقلب والروح. إنها ثمرة يجنيها من يبحث عن الحقيقة بالاجتهاد الروحي وليس بدراسة أكاديمية. فالوصول إلى هذا العرفان الجليل لا يستوجب درجة دكتوراه في العلوم الدينية ولا في علم اللغات. إن آيات القرآن التي تشير إلى المؤمنين بالرسول أو المنكرين له جميعها تعزوا إلى مدى نزاهة قلوبهم وصفاء أرواحهم ولا تحكم على إيمانهم بمقدار معرفتهم للفلسفة والعلوم الدينية واللغوية. إن نعمة الإيمان هي بيد الله وليس بمقدور رؤساء الدين أو العلماء هداية أحد من عباده.

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ. سورة ١٠، آية: ١٠٠؛ أنظر أيضاً: سورة ٦، آية: ١١١

فإذا كان القلب يفتقر للحكمة ومبتلى بالتعصب والرغبات الشخصية فلن يهتم بشيء بعد اليوم ويصدق عليه قول الله عز وجل:

وإن يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا.

سورة ٧، آية: ١٤٦

لاحظوا أولئك الذين يشرفهم الله بقوله العظيم:

وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. سورة ٢٨، آية: ٥

من هم الذين اتبعوا نوحاً عليه السلام؟ كيف كان قبول أعظم القوم في مجتمعه لرسالته؟ كما جاء في القرآن الكريم، إنهم:

مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ

من هم الذين اتبعوا السيد المسيح؟ هل كانوا من أعظم القوم أم أقلهم شأنًا؟

وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية اسمه متى. فقال له اتبعني. فقام وتبعه وبينما هو متكئ في البيت اذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه. فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة. انجيل متى، الفصل ٩، الآيات: ١١-٩

إن إنكار الرسل الإلهية إنتهاك خطير. لا ينبغي لأحد أن يقلل من شأن أي رسالة يبعثها الله لهداية خلقه. لأن مثوى المنكرين هو الخلود في نار جهنم. هل ينبغي للمؤمن أن يتهاون في اتخاذ قرار خطير كهذا وهو الإيمان بالرسول الجديد، ويتركه في أيدي العلماء الذين يدعون فهم الآيات دون غيرهم؟ نظراً للأهمية الجوهرية لموضوع الإيمان بالرسول الجديد، دعونا نختتم هذا الفصل بدراسة الوعد الإلهي بإرساله الرسل وعواقب رفض أو قبول هؤلاء الرسل. هذا هو الوعد:

إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ... سورة ٧، آية: ٣٥

وهذا هو وصف لعواقب رفض أو قبول الرسل الإلهية كما جاء في مقام آخر من القرآن الكريم.

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ. قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيًا مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. سورة ٣٩، الآيات: ٧٥-٧١





## الوعد بمجيء الرسول الجديد

### الجزء الثاني

إن الوعد بمجيء الرسل الإلهية من عند الله نجده في سور كثيرة من القرآن الكريم. فلنناقش آيات أخرى بهذا الخصوص:

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ. رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً. فِيهَا كُتِبَ قِيمَةً...وَذَلِكَ دِينَ الْقِيَمَةِ.

سورة ٩٨، آية: ٥-١

تبين لنا الآية السابقة أن الذين رفضوا الإسلام وكفروا به سوف يستمرون في رفضهم إلى أن يأتيهم رسول آخر. عندئذٍ نُقدِّم لهم فرصة جديدة ومرّة أخرى ستكون هذه الفرصة إما بقبول الحقيقة أو برفضها.

من هم الذين تشير إليهم الآيات السابقة، فلنتمعن في الأدلة التالية:

- إن الآيات لا تتضمن أي إشارة إلى الرسول الكريم أو إلى الإسلام.
- تشير الآيات إلى كيفية تصرف الناس في حقبة من الزمن في المستقبل.
- تشير أيضاً إلى مجيء رسول من عند الله ويأتي بالبينة والدليل.
- هذا الرسول الجديد يأتي بصحفٍ وكتب بينما سيدنا محمد أتى بكتاب واحد فقط.
- الآيات تشير إلى الدين الموعود (المبشّر به) بأداة الإشارة للبعيد. (ذلك) تشير للمستقبل أي إلى دين غير الإسلام.

دعونا نتمعن في آية أخرى تتكون من فقرتين:

- الأولى عبارة عن سؤال بأسلوب بلاغي.
- لفقرة الثانية هي الإجابة على السؤال.

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً. سورة ١١، آية: ١٧

فتتساءل الآية السابقة كيف ينبغي أن يُعامل الرسول الذي يأتي بأدلة من عند الله؟ وكيف يجب أن تكون استجابة المؤمنين له؟ هل عليهم أن ينكروه أم يتبينوا ويحققوا لمعرفة صحة ادعائه؟

دعونا نتمتع في الفقرة الثانية من الآية المباركة والتي تحمل الإجابة:

أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ موعدهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ. سورة ١١، آية: ١٧

نظرة سريعة على الفقرة الثانية من الآية تجعل المعنى الوارد في الفقرة الأولى واضحاً تماماً. من هم الذين آمنوا به؟ إنهم أولئك المؤمنون الذين لهم قلوب جيدة حسنة وعقول تتميز بالحكمة لا بالتعصب والأهواء النفسية ويتأملون بعين البصيرة فيما أتى به الرسول الجديد من آياتٍ بيّناتٍ أرسله الله بها وأدلة واضحة تشهد بصدق رسالته. وماذا عن أولئك الذين ينكرون الرسول الجديد؟ مثوهم نار جهنم خالدين فيها مثلهم مثل السابقين.

إن الله سبحانه وتعالى يزيل عنا كل الشكوك في تصديقنا لوعوده بإرسال الرسول الجديد فيؤكد ذلك بقوله تعالى:

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ. سورة ١١، آية: ١٧

إن الكلمات الختامية للآية السابقة تنذر بعاقبة إنكار الرسول الجديد. فهو يأتي بأدلة مقنعة و واضحة ويتلو آياتٍ منزلة من عند الله ولكن رغم كل ذلك نرى أغلب الناس لا يؤمنون به. فهنا يتبادر هذا السؤال إلى أذهاننا: ماذا عن المسلمين؟ لماذا أكثرهم ينكرون هذه الرسالة العظيمة؟ الجواب بسيط جداً لأنهم متمسكون بعقيدة خاتم النبيين. فحتى لو أتى الرسول بكتب ومجلدات عظيمة كل منها منزلة من عند الله ولها من الدلائل والآيات المحكمات مثل التي جاء بها القرآن الكريم فسوف ينكره القوم. وربما يحبسوه أو يقتلوه لأنه انتهك مفهوم العقيدة السائدة والخاطئة في حد ذاتها وهي ختم النبوة.

وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ فُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لَّكُلِّ نَبِيٍّ مَّسْتَفَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. سورة ٦، آية: ٦٧-٦٦

هذه هي بعض الحقائق التي يصرح بها الله لرسوله:

- إن الرسول الجديد هو الحق ويقول الحق ولكن قومك المسلمين يكذبونه.
- إن أولئك الذين ينكرون الرسول الجديد سوف يواجهون عواقب إعراضهم والرسول الكريم غير مسئول عن إعراضهم.
- لكل رسالة إلهية ومنها الدين الإسلامي أجل مسمى. وعندما تأتي الرسالة السماوية الجديدة، ينتهي أجل الأمة الإسلامية.

- عندما يأتي الرسول الذي يبعثه الله فسوف تعلمون بأن النبوءة قد تحققت.

تمعنوا في الآية التالية:

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ.  
سورة ٣٢: آية ٣-٢

إن الآيات السابقة تتضمن نبوءة عن مجيء الرسول الذي سوف يأتي بعد محمد عليه السلام والكتاب الذي سيُرسل بعد القرآن. هذه هي الحوافز:

- إن الآيات تشير إلى شخصين قد حُدِّدوا بوضوح بالضمير المخاطب الكاف في (قبلك) أي محمد، و(نذير) النذير في المستقبل.
- إن الآيات توضح بأن النذير سوف يأتي لقوم ما أتاهم من نذير من قبل، ومن المؤكد أن النذير لن يكون محمداً لأن الناس في الجزيرة العربية قد أتاهم النذير وهو الرسول الكريم.
- إن عبارة "بل هو الحق" قد ذُكرت عدة مرات في القرآن الكريم لتشير إلى مجيء الرسول في المستقبل.

تشير الآيات التالية إلى أن المسلمين ذوي البصيرة النورانية والإيمان الصادق سوف يعرفون الرسول الجديد...

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.  
سورة ٢٢، آية: ٥٤

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ. سورة ٣٤، آية: ٦

تأمل هذه الآيات أيضاً:

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ.  
سورة ٣٥، آية: ٣٢-٣١

دعونا نتمعن ما تضمنته الآيات السابقة من حقائق:

- تبدأ الآية بالإشارة إلى شخصية بارزة معينة (النذير) في سورة ٣٢، آية: ٣ وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى لسيدنا محمد كما جاءت في آيات القرآن مسبقاً.
- أطلق الله عبارة "هو الحق" على النذير.
- إن النذير سوف يصدق ما بين يديه وهو القرآن.

عندما يأتي هذا النذير فإن المسلمين الذين اصطفاهم الله سوف يستجيبون لدعوته وهم على ثلاثة طوائف: منهم ظالم لنفسه لإنكارهم تلك الحقيقة، ومنهم مقتصد لأنهم غير مبالين به، ومنهم سابق بالخيرات فيستجيبون لندائه ويعترفون به كرسول جديد لأنهم مؤمنون صادقون ومسلمون باركهم الله.

إن سورة يونس في القرآن الكريم تشير مراراً إلى وعد من الله. ولكن قبل أن نبحث عن تلك الوعود في السورة المباركة، يجب أن نلاحظ بدقة كيف جاءت كلمة "وعد" في الآيات المرتبطة بمجيء سيدنا محمد.

وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا. سورة ١٧، آية: ١٠٨

تتضمن الآيات ٤٦ إلى ٥٥ من سورة يونس كثيراً من الوعود وهي من الآيات المتشابهات، دعونا نستعرض تلك الآيات:

- الآية ٤٦: سوف تقع أحداث معينة بعد أن يصعد الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى.
- الآية ٤٧: لكل أمة رسول.
- الآية ٤٨: يتساءل الناس "متى هذا الوعد؟"
- الآية ٤٩: الجزء الأول، إن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء. فهو الذي يقرر متى يكون هذا الوعد.
- الآية ٤٩: الجزء الثاني، ولكن ينبغي لكم أن تعلموا أن لكل أمة أجل.
- الآية ٥٠: إن العقاب سوف ينزل بأولئك الذين لا يؤمنون بهذا الوعد ولا يتخذونه مأخذ الجد. وإن ظهور الرسول الجديد هو بمنزلة نار ونقمة لمن ينكره ونور ورحمة لمن يؤمن به.

أما الآية ٥١ فإنها تشير إلى مجيء الرسول الجديد:

أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ الْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ. سورة ١٠، آية: ٥١

إن تسلسل الآيات يبين بوضوح أنها تشير إلى مجيء رسول من عند الله في زمن معين من التاريخ.

لقد كان الكفار دائماً يستهزئون بالوعود الإلهية. فيقولون "متى هذا الوعد إن كنتم صادقين" لكي يشهدوا تحقق الوعود فيتأكدوا من صدق الرسول. بالطبع كانت إجابة الله أن الوعد لن يتأخر ساعة ولن يتقدم. والآية السابقة توضح ذلك وفيها تساؤل، هل سوف تتمادون في استهزائكم بعد تحقق وعد الله ومجيء الرسول الموعود؟

إن الآية التالية تشير إلى العذاب الذي سوف يلحق بأولئك الذين ينكرون الرسول الجديد:

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ. سورة ١٠، آية: ٥٢

الآية التالية: (سورة ١٠، آية: ٥٣) تشير مرة أخرى إلى مجيء الرسول الجديد:

سورة ١٠، آية: ٥٣

وَيَسْتَبِثُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ.

الآية (سورة ١٠، آية: ٥٥) تؤكد مرة أخرى الوعد:

سورة ١٠، آية: ٥٥

أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

الآية السابقة تثبت أن معظم الناس لا يعرفون الغرض من هذه النبوءات.

سورة ١٩، آية: ٣٩

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

فمعظم المترجمين يعتقدون أن الآية السابقة تشير إلى يوم القيامة. ولكن الآية تبين بوضوح إلى الطريقة التي سوف يستجيب بها الناس للرسول الجديد. ماذا حصل حين أتى سيدنا محمد؟

• تجاهل الناس مصيرهم الروحاني.

• لم يؤمنوا بالرسول محمد.

إن غفلة الناس عن الشيء يؤدي تدريجياً إلى إنكاره فكيف يمكن لشخص ما أن يتجاهل الحياة الأخروية ويرفض تصديقها. سوف يشعر بالندم يوم القيامة بسبب عدم استجابته للنداء الإلهي نتيجة غفلته. وهكذا إن يوم الحسرة أو يوم القيامة تشيران في آيات أخرى إلى زمن مجيء الرسول الجديد.

إن إحدى النبوءات التي تثير الإعجاب هي تلك التي نجدها في الآيات الأولى من سورة محمد:

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ.

سورة ٤٧، آية: ٣-١

إن القارئ للآيات السابقة لا يمكن أن يراوده الشك بأنها تشير إلى الرسول الكريم. ولكن الدراسة الدقيقة لكلماتها تبين أنها تشير إلى معاني مزدوجة. فهي لا تشير فقط إلى سيدنا محمد بل إلى مجيء رسول من عند الله في المستقبل.

لكي نفهم المعنيين وندرکهما جيداً، علينا أن نقرأ الآيات مرة أخرى مع الكلمات المضافة بين القوسين:

والذين آمنوا (بالإسلام) وعملوا الصالحات و آمنوا بما نزل على محمد (فيما يتعلق بمجيء الرسول الجديد) وهو الحق (الرسول الجديد) من ربهم، كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم. فكيف يمكن لنا أن نقول بأن الآيات السابقة لا تشير في المرتبة الأولى إلى الرسول الكريم بل إنها تشير إلى الرسول الذي سوف يأتي بعده. لتأمل المعنى المستتر بين كلمات الآية:

وَالَّذِينَ آمَنُوا...وَأَمَّنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ.

مما لاشك فيه أن المؤمنين—المسلمين—يعتقدون بما جاء به القرآن ويؤمنون به. فلماذا تشير الآية إلى الناس الذين آمنوا وكذلك آمنوا بما أنزل على محمد. أليس من المعقول أن نفترض أن العبارة الثانية (الذين آمنوا)

في نفس الآية تشير إلى المؤمنين الذين آمنوا بما أنزل على محمد فيما يتعلق بمجيء الرسول الجديد؟ والذي عرفه الله سبحانه وتعالى بأنه (هو الحق من ربهم) حيث أن (الذين آمنوا) في أول الآية الثانية تشير إلى المؤمنين بالرسول الكريم فلماذا يكرر الله كلمة آمنوا في جملة واحدة وبعد كلمتين مباشرة. وقد لاحظنا مسبقاً أن تعبير (هو الحق من ربهم) تعبير فريد يستخدمه القرآن عدة مرات للتعريف بالرسول الجديد. فلنتأمل هذا الاحتمال أيضاً. ماذا لو كان الرسول الجديد الذي سيأتي بعد سيدنا محمد اسمه محمد أو إسم مركب يجمع هذا الإسم أيضاً. إذا أذعنا بهذا الاحتمال فالآية سوف تصرح بما يلي:

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْإِسْلَامِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا [أيضاً] بِمَا نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ [الرسول الجديد] وَهُوَ الْحَقُّ  
مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ [المؤمنون بالرسول الجديد] وَأَصْلَحَ بِأَلْفِهِمْ. ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ [المسلمون] كَفَرُوا  
[بنبوءات القرآن] اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ.

أما الآية الثالثة فتصرح الآتي:

الذين كفروا [المسلمون غير المخلصين] اتبعوا الباطل وإن الذين آمنوا [المسلمون المؤمنون] اتبعوا الحق  
من ربهم. إن كثيراً من المسلمين يقرأون القرآن ولكن لا يؤمنون حقاً بما يقرأون. هؤلاء ليسوا مسلمين  
مؤمنين وإذا أتاهم رسول جديد فإنهم سوف ينكرونه. أما المسلمون المؤمنون فإنهم يتبعون الحق من ربهم.

إن الكلمات الأخيرة في الآية ٣ هي من المتشابهات. يقول الله سبحانه وتعالى: "فإنهم يتبعون الحق من  
ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم". لماذا يعقب الله يتبعون الحق وهو كما علمنا من الآيات السابقة تشير  
إلى الرسول الجديد بعبارة يضرب الأمثال. لأن المثل دائماً يكون متعدد المعاني أو تكون معانيه خفية. لماذا  
إذاً يطلق على هذه الآيات بالأمثال؟ لكي تسترعي انتباهنا إلى المعاني المستترة والخفية في كلمات هذه  
الآيات البالغة الأهمية.

فكما نضع الأجزاء المركبة لصورة معينة (Puzzle) في محلها الصحيح لكي تعطينا الصورة الصحيحة في  
النهاية، كذلك يجب أن ننظر إلى الآيات المترابطة والتي تشكل معاً حقيقة هامة ونضع أحدها تلو الأخرى  
لنصل إلى الحقيقة المستترة ضمناً.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ. وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ. قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً  
وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ... وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ. سورة ١٠، آية: ٥٣-٤٧

الآية التالية تشير أيضاً إلى المستقبل:

أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبِيَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُنُوا بِهَا بِكَافِرِينَ.

سورة ٦، آية: ٨٩

تأملوا هذه الآية أيضاً:

سورة ٧٧، آية: ١١

وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ.

كما تلاحظون فإن معظم الآيات التي تشير إلى مجيء الرسول الجديد هي بصيغة الجمع، إنها تشير إلى (الرسول) وليس الرسول. وكذلك النبوءات التي تشير إلى الدين الجديد كلها تبدو بصيغة المفرد. إنها تشير إلى الدين الحق. وهذه إشارة قد يراد منها أن الله سبحانه وتعالى يرسل أكثر من رسول لاستقرار الدين وتوطيده. تماماً كما حصل للديانة المسيحية فقد أرسل جلّ وعلا يوحنا المعمدان والسيد المسيح لتأسيس ديانة واحدة وهي: المسيحية.

عندما نتمعن في النبوءات الواردة في الآيات التي تشير إلى ظهور الرسول الجديد، نجد بأنها ترسم صورة واضحة للتطور التدريجي للرسالات الإلهية. ولكن للأسف فإن علماء المسلمين قد أنكروا هذه النبوءات. وقاموا بوضع حجاب منعت عيونهم من رؤية الحقيقة. ما هو هذا الحجاب؟ إنها العقيدة السائدة إلى اليوم وقد تمسكوا بما وجدوا عليه آباءهم. إنها عقيدة خاتم النبيين. فنسوا ما ذكروا به من آيات تتنبأ بظهور الرسول الجديد.

فلنتأمل المعنى العميق الذي تحمله هذه الآية:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ.

سورة ٤٩، آية: ٦

إن الآية السابقة تشير بطريقة بارعة إلى ظهور رسول جديد لعدة أسباب:

- كما سنرى لاحقاً فإنه قد ورد ذكر تبيينوا في القرآن الكريم للإشارة إلى الأدلة التي يقدمها الرسل الإلهية.
  - إن كلمة نبأ قد ورد ذكرها أيضاً ولها نفس جذور كلمة النبي.
  - إن الجزء الثاني من الآية تبيين أن الأمر الذي يتطلب دليلاً (فتبينوا) لا يتعلق بفرد واحد فقط. لأن الآية توضح بأنه إذا فشلنا في السؤال عن البيئنة قد نصيب قوماً (المؤمنين بالرسول الجديد) بالجهالة. فمثلاً نرى المسيحيين ينكرون الإسلام دون السؤال عن البيئنة التي تثبت حقانية رسالة الرسول الكريم ويتهمون المسلمين بأنهم جهلاء وفاقدي الروح الإيمانية. لكن متى سوف يندم هؤلاء الذين يظنون السوء بالدين الجديد؟ بالطبع حين الاحتضار حيث يتذكرون كيف استكبروا على آيات الله عز وجلّ.
  - لماذا أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتخذ موقفاً حاسماً بشأن البحث عن البيئنة والأدلة إذا ما ادعى رسول بأنه صاحب رسالة من عند الله؟ لأنه بكل بساطة كان الناس في العصور السالفة يرفضون نبأ الرسول الجديد بدلاً من أن يسألوا عن الأدلة لإثبات حقانيته. ولكن لكي نتغلب على هذا التعصب الجائر يأمرنا الله أن نسأل عن الأدلة والبراهين حتى لو كنّا نعتقد بأنها مضیعة للوقت وذلك لأن مصدر الخبر لا يُعتمد عليه. أي إنه يجب علينا أن لا ننكر أي إدعاء أو نرفضه دون أن نطلب الدليل والبيئنة بكل حزم.
- لكي نعرف مدى أهمية كلمة "بيئنة"، دعونا نورد بقية الآيات التي تتضمن هذه الكلمة والتي تشير إلى ظهور الرسول الجديد.

سورة ٩: آية ٧٠	أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ.
سورة ١١: آية ٢٨، ٦٣، ٨٨	بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي.
سورة ٥٧: آية ٢٥	لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ.
سورة ١٠: آية ١٣	جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ.
سورة ١٠: آية ٧٤	ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُواهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ...
سورة ٣٥: آية ٢٥	جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ.
سورة ٤٠: آية ٢٢	تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ.
سورة ٤٠: آية ٨٣	فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ.

إن الآيات التالية والتي ورد ذكرها في هذا الفصل، تشير إلى مجيء الرسل في المستقبل:

سورة ٩٨: آية ٢-١	...حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ. رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ...
سورة ١١: آية ١٧	أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ.. فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ.

لكي نختم هذا الفصل، نشير إلى أن الآية ٦ من سورة الحجرات تقدم أربعة أدلة لتبين أن مضمون الآية له هدف معين فهو يشير إلى حدث دقيق ومحدد في المستقبل. الأدلة الأربعة هي:

- البيِّنة.
- أنباء.
- التأكيد الشديد على "افتيتيوا".
- إدانة مجموعة من الناس بالجهل تكون أشد وطأة من إدانة فرد.

إن الأدلة الأربعة السابقة تُظهر بوضوح أن الآية ينبغي أن تكون بمثابة نور الهداية للمسلمين الذين أنكروا أنباء مجيء الرسول بالحجج التامة من عند الله. فلا ينبغي للمسلمين أن يرفضوا مثل هذا الادعاء بسبب افتراض خاطئ وهو الظن بمفهوم كلمة خاتم.



## ٨

### الوعد بمجيء الدين الجديد

نجد في جميع الكتب المقدسة تعبيرات معينة مثل "اليوم الآخر" و "يوم الرب" و "يوم الفصل". وكذلك كان للقرآن الكريم نصيبٌ من هذه التعابير مثل "يوم الدين" و "دين الحق". إحدى هذه التعبيرات قد وردت في أول سورة من القرآن الكريم. كما نلاحظ فالسورة من سبعة آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ  
اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ. سورة ١، الآيات: ٧-١

إن الإشارة إلى يوم الدين وذلك في أول سورة من سور القرآن الكريم لأمر يستدعي التأمل لمعرفة ما تحمله العبارة من معان تحتاج إلى تفسير وفصل الخطاب حتى يدرك الإنسان الحقائق المكونة في هذه السورة المباركة.

إننا نلاحظ في سورة أخرى بأن عبارة يوم الدين تُعرّف بأنها يوم الفصل، أي اليوم الذي يفصل فيه سبحانه وتعالى بين العباد فكلٌ يأتي بكتابه.

وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ. هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ. سورة ٣٧، الآيات: ٢١-٢٠

وكذلك جاء في الإنجيل عن يوم الفصل مذكراً العباد:

و متى جاء ابن الانسان في مجده... فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه و الجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا من باركهم ابي رثوا الملكوت المعد لكم منذ انشاء العالم... ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الابدية المعدة لابليس و ملائكته. إنجيل متى، الفصل ٢٥: الآيات ٤١-٣١

إن يوم الجزاء أو يوم الدين هو يوم الفصل بين العباد وأما الميزان الذي يحكم بينهم ويفرّق بين المؤمن والمعرض إنما هو مدى استجابتهم وإيمانهم بالعهد الذي أخذه الله منهم والتي وردت في الآيات عن اليوم

الآخر وقد ذكر الله سبحانه وتعالى منزلة الإيمان به عز وجل كمنزلة الإيمان باليوم الآخر كما جاء في سورة البقرة آية ٨ لعظمة ذلك اليوم ولجلال قدره.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. سورة ٢، آية: ٨

في الآيات التالية لسورة الفاتحة العظيمة يطلب المسلم من الله أن يهديه الصراط المستقيم، هنا يتبادر إلى أذهاننا هذا السؤال لماذا يطلب المسلم ربه أن يهديه إلى الصراط المستقيم؟ أليس المسلم هو على الصراط المستقيم كما ورد في الآية التالية؟

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا. سورة ٦، آية: ١٥٣

ولكن من هم الذين قد ضلوا الصراط؟ إن كلمة الضالين تشير إلى الكفار أي أولئك الذين ضلوا طريقهم ولم يؤمنوا بالإسلام. ثم لماذا ينبغي على المسلمين الذين هداهم الله سبحانه وتعالى سواء السبيل أن يسألوه الهداية وأن يريهم الصراط المستقيم؟

إن الله عز وجل يعلم بأن المسلمين كسائر أتباع الأديان السابقة سوف يعترضون على الدين الجديد لذلك نجده سبحانه وتعالى قد دعاهم إلى أن يطلبوا الهداية للصراط المستقيم في كل صلاة وفي كل ركعة فتلك موهبة عظيمة اختصها الله بها المؤمنين. ويعلمنا القرآن بأنه يجب علينا أن نطهر قلوبنا ونتحلى بالتقديس والتنزيه وأن نتأمل ونتدبر بعقل سليم ونصلي بصدق وأمانة لكي تصلنا الهداية الإلهية.

ولكن كيف يختار الله عباده ويدعوهم إلى مائدته السماوية؟ كل الدلالات في القرآن الكريم تشير إلى أن القلب الطاهر والروح المقدسة عن التعلق بالأسباب الدنيوية وليس العقل الذي قد امتلأ بالعلوم المحدودة هو الذي سوف يفوز بتلك العناية الربانية. إن مجرد معرفة اللغة العربية أو اللغات الأجنبية الأخرى وحدها لا تهدي الإنسان إلى معرفة الله والإيمان برسله. إن الله سبحانه وتعالى يريد المؤمن أن يكون حكيماً، منصفاً ويرى الأشياء بعينه لا أن يتمسك بأوهام العلماء الذين قاموا بتغيير الكلمة الإلهية بتفسيراتهم التي كانت تتوافق وأعراضهم النفسية.

يستخدم القرآن تعبيراً آخر لـ "يوم الدين" بنفس المعنى لكي يشير إلى مجيء رسالة جديدة:

### دِينُ الْقِيَمِ

ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيَمِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. سورة ١٢، آية: ٤٠

لم يعتقد المترجمون أن الآية تشير إلى دين المستقبل وذلك بتجاهلهم إسم الإشارة ذلك في الآية والذي يشير إلى البعيد أي المستقبل لذلك قاموا بترجمة الآية وكأنها تقول هذا الدين القيم.

لنتأمل آية قرآنية أخرى والتي نتحدث عن ظهور دين في المستقبل.

سورة ٥١، الآيات: ٥-٦

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ. وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ.

لو تأملنا نهاية هذه السورة التي تحتوي على هذا الوعد نجدها تنتهي بهذا التحذير:

سورة ٥١، آية: ٦٠

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ.

تأملوا كيف أن الآية تلمح وتشير ضمناً بأن بعض الناس سوف ينكرون مجيء اليوم الموعود، وإن الناس في يوم الدين فقط يتجرأون أن ينكروا تحقق وإنجاز وعد الله وليس في يوم البعث أو القيامة. ألا يُبلون بالخوف يوم البعث فكيف يمكن لهم أن ينكروا ظهور الوعود الإلهية وهم يرون قدرة الله في ذلك اليوم وقد أخذتهم الرهبة والخوف. فالتجرو على الإنكار لا يأتي إلا في يوم الدين أي يوم ظهور الدين الجديد.

لاحظوا الآيات التالية:

سورة ٨٣، الآيات: ١٠-١١

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ.

سورة ٨٢، آية: ٩

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ.

كما نرى فإن القرآن يُنذر هؤلاء الذين ينكرون يوم الدين، فهل تم تحقق هذه النبوءة؟ إن الدليل على تحققها هو الإنكار من قبل المسلمين كافة وعلى نطاق واسع بمجيء دين جديد أو يوم كهذا (يوم الدين) حيث يعتقدون بأنه لن يظهر دين بعد الإسلام في العالم. فقد كذبوا بيوم الدين كما تنبأ سبحانه وتعالى.

لاحظوا الآيات التالية من سورة المرسلات:

سورة ٧٧: آية ١	وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا.
سورة ٧٧: آية ٤	فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا.
سورة ٧٧: آية ٥	فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا.
سورة ٧٧: آية ٦	عُدْرًا أَوْ نُذْرًا.
سورة ٧٧: آية ٧	إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ.
سورة ٧٧: آية ١١	وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْنِتْ.
سورة ٧٧: آية ١٢	لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ.
سورة ٧٧: آية ١٣	لِيَوْمِ الْفَصْلِ.
سورة ٧٧: آية ١٤	وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ.
سورة ٧٧: آية ١٥	وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ.

سورة ٧٧: آية ١٦	أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ.
سورة ٧٧: آية ١٧	ثُمَّ نُنْزِعُهُمُ الْآخِرِينَ.
سورة ٧٧: آية ١٨	كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ.
سورة ٧٧: آية ١٩	وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ.
سورة ٧٧: آية ٣٨	هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ.
سورة ٧٧: آية ٣٩	فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُون.
سورة ٧٧: آية ٤٠	وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ.
سورة ٧٧: آية ٤٩	وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ.
سورة ٧٧: آية ٥٠	فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ.

يفترض العلماء المسلمون أن النبوءات السابقة تعزو إلى يوم القيامة ويوم البعث. لنتأمل إفتراضاتهم:

- تبدأ السورة بالتصريح و بإعلان البشارات بمجيء الرسل (الآية الأولى). ومجيء النذير (الآية الخامسة). ثم بعد ذلك تؤكد لنا السورة بأن وعد الله سوف يتحقق (آية ٧). وسوف يأتي الرسل في الوقت المعين (آية ١١) كما أن عنوان السورة "المرسلات" يؤكد مجيء الرسل الذين سوف يُبعثون من قبل الله.
- إن الآيات التي تحمل النبوءات في القرآن الكريم بما في ذلك آيات من سورة المرسلات (آية ١٢، ١٣، ١٤، ٣٨) تشير إلى يوم الفصل حين ينقسم الناس إلى مؤمنين ومكذِّبين بالرسول الجديد. فالمسلمون مثلا المتمسكون بعبارة خاتم النبيين سوف يسعون لإيجاد معانٍ أخرى لهذه النبوءات وغيرها في القرآن الكريم.
- إن العبارات نذير ومدكّر ترتبط في القرآن الكريم بمجيء الرسل.
- إن الآية ٧ تشير إلى الوعد الإلهي والآية ١١ تشير إلى الوقت والزمن المحدد لمجيء الرسل. من الواضح أن الآيتين تتنبآن بمجيء اثنين من الرسل على الأقل (إذا الرسل).
- إن الآيات ١٦، ١٧ و ١٨ تشير إلى الأمم الذين أنكروا رسلهم في الماضي والعذاب الذي أنزله الله عليهم ، ويتحدث القرآن مراراً عن تلك الأمم ومصيرهم الأليم.
- تصف الآية ٣٩ أعداء الله الألداء الذين يكيدون ويحتالون حين ظهور الرسول الجديد، فالمعترضون يمكن لهم الاعتراض على الله ورسله في هذه الحياة وفي هذا العالم فقط وليس في يوم الحساب.
- تبين الآية ٥٠ بأن كثيراً من المسلمين سوف يشكّون بنبوءات هذه السورة. والمسلمون المؤمنون لن يشكّوا بيوم البعث ولن ينكروه، ولكن ما يشكّ فيه معظمهم وينكره هو مجيء الرسول الجديد.

• إن آية "ويل يومئذ للمكذبين" قد تكررت ١٠ مرات وتقريباً كل خمس آيات مرة واحدة. أولاً: إن الناس فقط يستطيعون أن ينكروا الحقيقة في يوم ظهور الدين الجديد. وبالأحرى فإن يوم البعث تمتلئ النفوس بالخوف والرهبه فلن يكون هناك مجالاً للإعراض. ثانياً: تكرار هذا الإنذار والوعيد يشير إلى العواقب الوخيمة المترتبة على رفض الرسول الجديد والتصدي بالإعراض للنبوءات الواردة في القرآن الكريم.

لقد تناولت السور ٨٢، ٨٣ في القرآن الكريم كاملةً بشارة مجيء يوم الدين أي ظهور يوم الدين الجديد ومصير وعاقبة الناس الذين ينكرون هذه الواقعة الجليّة.

دعونا نقرأ بعض تلك الآيات من السور السابقة الذكر:

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ. يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. سورة ٨٣، الآيات: ٥-٦

وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ. وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. إِذَا تَتَلَّوْا آيَاتِنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. سورة ٨٣، الآيات: ١٣-١٠

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُوبُونَ. سورة ٨٣، آية: ١٥

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ. وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ. سورة ٨٣، الآيات: ٣٢-٣٠

وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ. فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ. عَلَى الْأَرَانِكِ يَنْظُرُونَ. هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. سورة ٨٣، الآيات: ٣٦-٣٣

دعونا نتأمل كذلك سورة الإنفطار المكونة من ١٩ آية:

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ... كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ. سورة ٨٢، الآيات: ٩-٦

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ. ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ. يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ. سورة ٨٢، الآيات: ١٨-١٧

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ. سورة ٨٢، آية: ١٩

إن الآية الأخيرة (١٩) تشير إلى أنه عندما يأتي دين جديد، على جميع الناس أن يتخذوا اختياراً جديداً. وكل فرد مسئول عن التحقيق في أنباء مجيء الرسول الجديد.

إن المؤمنين الذين آمنوا بالرسول الجديد يجب أن يُعلنوا الأنباء الجديدة ولكنهم غير مسئولين عن هؤلاء الذين يرفضون تلك الأنباء.

وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ. سورة ٨٣، آية: ٣٣

لقد خاطب الله سبحانه وتعالى بنفس الآية الرسول الكريم:

فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا.

سورة ٤٢، آية: ٤٨

تأملوا أيضاً الآيات التالية:

وَمَنْ ضَلَّ فَائْتِمًا يَضِلْ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ.

سورة ٣٩، آية: ٤١

وكذلك: سورة ٨٨، آية: ٢٢، سورة ٥، آية: ٩٢، سورة ٦، آية: ١٠٤

تزامناً مع مجيء الرسول الجديد تكون الفضائل الإنسانية قد وصلت إلى درجة من الانحطاط والتدني وتكون الأمة قد فقدت حياتها الروحانية.

لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ.

سورة ١٠، آية: ٤٩

وعندما يأتي الرسول الجديد فإن أمر الدين يكون في قبضة الله سبحانه وتعالى، فيهدي قلوب المؤمنين الصادقين—المتعطشين لمعرفة الحقيقة.

حيث:

وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ.

سورة ٨٢، آية: ١٩

بما أن القرآن يستخدم أحياناً كلمة الـ (أمر) للدلالة على الدين فإن الآية السابقة يمكن أن تُقرأ كالتالي:

والدين يومئذ لله. لتأمل الآن بعضاً من الآيات من سورة المطففين (٨٣) والتي ذكرناها سابقاً:

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ. وَمَا يُكَدِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ. ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ.

سورة ٨٣، الآيات: ١٧-١١

الآيات السابقة تشير بوضوح إلى أن الإعراض يكون من قبل الناس في هذا العالم، أما الجزاء والعقاب في الآخرة. فالناس فقط في الحياة الدنيا يملكون القوة والقدرة على الإنكار والإعراض عن معرفة الحقيقة. إن الآيات أيضاً تشير إلى الافتراضات والأساطير الزائفة. هل يمكن أن تكون تلك الافتراضات المضللة غير تلك التي تدعو إلى التمسك بختمية الدين السائد، والإعراض عن النبوءات التي جاء بها القرآن الكريم والتي تبشر بظهور الرسول الجديد والرسالة الجديدة؟

إن الآيات التالية تدل على هؤلاء الذين ينكرون الدين ويوم الدين.

فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ.

سورة ٩٥، آية: ٧

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ.

سورة ١٠٧، آية: ١

وَكُنَّا نَكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ.

سورة ٧٤، آية: ٤٦

تأملوا الآيات التالية:

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ... فَأَقُمْ وَجْهَكَ  
لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ. مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا  
فَلِنَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ. لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ.

سورة ٣٠، الآيات: ٤١، ٤٥-٤٣

ماذا تبين لنا الآيات السابقة؟

- تتنبأ الآية ٤١ الأوضاع المرعبة التي نعيشها في وقتنا الحاضر من حروب وفقر وظلم والتفكك الأسري وانحطاط القيم الأخلاقية.
- تصف الآية ٤٣ العلاج وتعطي الحلول لتلك المشاكل التي أحاطت البشرية. فتأمرنا بأن نوّلي وجوهنا شطر الدين القويم والذي أنزله الله لكي ننقذ أنفسنا من الجهل الذي أعمى أعيننا.
- تطلب منا الآية أن نقبل الدين قبل أن يأتي اليوم الذي "لا مرد له." وهو يوم الحساب الذي يُسأل فيه الإنسان يومئذ بما قدم و آخر.
- فمن كفر بذلك اليوم فعليه كفره وتذوق كل نفس عاقبة عدم إيمانها بالدين الجديد.
- ومن يؤمن بالدين القيم فأولئك يجزيهم الله ثواباً من عنده ومأواهم جنات النعيم.
- إن المؤمنين الصادقين الذين أحسنوا دينهم يأتون بصالح الأعمال ، ومن صالح الأعمال الإيمان بالرسول الجديد.

إن كلمة الدين حين تأتي في آية أخرى لا تزال تكون مرتبطة بوعد في المستقبل:

سورة ٥١، الآيات: ١٣-١٢

يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ \* يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ.

كيف يُمتَحَنُ الناس حين ظهور الدين الجديد؟ إنهم يُمتَحَنون بمدى استجابتهم للدين الذي يدعوهم الله للإيمان به. فيوم الدين هو يوم الحساب أيضاً. وكلمة النار هي كناية عن كيفية الامتحان.

إن الآية التالية من الإنجيل تربط مجيء ذلك اليوم أي يوم الامتحان بالنار:

فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيُنْكَشَفُ عَلْنَا إِذْ يُظْهِرُهُ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي سَيُعْلَنُ فِي نَارٍ، وَسَوْفَ تُمْتَحَنُ النَّارُ قِيَمَةَ عَمَلِ كُلِّ وَاحِدٍ.

١ كورينثيائس، الفصل ٣، آية: ١٣

حين نتأمل في القرآن نجد أن الله سبحانه وتعالى قد بين بكل وضوح بأنه خلقنا كي يمتحننا وأعطانا الفرصة حتى نتحلّى بصالح الأعمال ونُظهر فضائل الروح. إن الله تعالى يمتحننا في هذه الدنيا، أما في الآخرة فسوف يجزينا أو يعاقبنا حسب أعمالنا.

سورة ٦٧، آية: ٢

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا.

\* يوم الدين هو يوم القيامة أي يوم الحساب الذي يحاكم فيه الناس لمعرفة مدى استجابتهم للوعد الإلهية ومنها الإيمان بالدين الجديد.

إن الآية القرآنية التي تُنبئُ بمجيء دين جديد من عند الله (سورة ٥١، الآيات: ١٣-١٢) ، تنتهي بالنبوءة التي تخص الرسول الذي سوف يأتي بذلك الدين.

فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ [الرسول] مَثَلٌ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ. سورة ٥١، آية: ٢٣

تثبت الآية السابقة مرة أخرى أن الناس سوف تشك بمجيء الدين والرسول الجديد. والله يعلم بأن هذه الشكوك الراسخة منذ قرون في أذهان الناس هي بسبب الأوهام والعقائد الباطلة. ولكي يطمئنهم فيقسم في مستهل الآية بنفسه الكريمة أن ما وعدكم به حق، فلا تشكوا فيه كما لا تشكون في نطقكم.

تأملوا النبوءة التالية الفريدة في مدلولها. إنها تجمع بين مفهومين مترابطين وفي نفس الوقت حاسمين ليدلنا إلى مفهوم أعمق لما يريد الله.

وَكَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لَكُلِّ نَبِيًّا مُسْتَفَرًّا وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. سورة ٦، الآيات: ٦٧-٦٦

كما نرى فإن الآية السابقة تؤكد لنا النبوءات التي تُخبر عن رفض وإنكار الناس وتصريح بأن المسلمين سوف ينكرون الرسول الجديد حين يأتي يوم الوعد المذكور في الكتاب وذلك بانتهاء أجل الإسلام.

فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. سورة ٩، آية: ٢٤

إن كلمة أمر لها عدة معانٍ منها: إصدار الأوامر، قرار، فرمان، والآية تطلب منا التربص والانتظار حتى يأتي الله بأمره. فماذا إذاً يبعث الله لنا عن طريق رسله غير الرسالة الجديدة، التي تحمل الآيات لهدايتنا روحانياً. علاوة على ذلك فإن الآية تنتهي بقوله تعالى أنه لا يهدي القوم الفاسقين. فهذا دليل على أن الأمر ليس سوى الدين الذي هو سبب هداية الخلق. بدراستنا لآية أخرى نستطيع أن ندرك معنى كلمة الأمر جيداً.

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ. سورة ٢٣، آية: ٥٣

لقد جاء في تفسير الجلالين والتفسير الميسر في المصحف الرقمي كلمة أمر بمعنى الدين. وهنا نستطيع أن نسأل أنفسنا ما هو الأمر الذي يستطيع أن يفرق بين الناس غير الدين؟

إن عدد الآيات التي تنبئ بظهور دين جديد عديدة ومدعاة للدهشة ولكن لماذا نحتاج إلى كل هذا التأكيد المتكرر؟ لأن الله سبحانه وتعالى على علم بما سيحدث في مستقبل الأيام. إنه يعلم بأن الأغلبية العظمى من المسلمين سوف لا يثقون حتى بكتابهم المنزل القرآن الكريم. فإننا نرى رغم كل الشواهد وتعدد الآيات التي تدل على مجيء دين جديد في المستقبل، أن المسلمين لا يزالون يشكون في الوعد الإلهية.

إن الآية التالية تبين لنا أن المسلمين سوف يتصرفون كما تصرف سائر الملل السابقة في الماضي.

فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَاَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ. سورة ١٠، آية: ١٠٢

إن إحدى الدروس التي نتعلمها من التاريخ هي أن التاريخ يعيد نفسه. فهل تغيرت أطوار الناس منذ زمن نوح؟ هل سوف يتبعون نفس أسلوب الرفض كما فعل قوم نوح؟



لنتأمل النبوءة التالية من عيسى عليه السلام عن الوضع الروحاني والمعنوي للعالم عند مجيئه ثانية:

وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذَلِكَ يَكُونُ أَيُّضًا مَجِيءُ ابْنِ الْإِنْسَانِ. إنجيل متى، الفصل ٢٤، آية: ٣٧

يشير القرآن مراراً إلى طريقة استجابة الناس (السنة المتبعة) للرسول الجديد الذي يبعثه الله.

أَفُكَلِّمًا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ. سورة ٢، آية: ٨٧

تأملوا هذه الآيات أيضاً:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ. وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. كَذَلِكَ نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ. لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ. سورة ١٥، الآيات: ١٣-١٠؛ وكذلك سورة ٣٦، آية: ٣٠

تأملوا هذه الفقرة من الآية ١٣:

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ...

من هو الذي لا يؤمنون به؟ إذا كانت السورة تخاطب الرسول الكريم فالخطاب يجب أن يكون "لا يؤمنون بك". تأملوا أيضاً هذه الآية:

وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ. سورة ١٠، آية: ٤٠

أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ؟ سورة ١٠، آية: ٥١

لوتأملنا في آيات القرآن الكريم نرى بأن معظم النبوءات التي وردت فيها تشير إلى أن الناس سوف يرفضون أبناء الدين الجديد. هناك آية واحدة فقط تتحدث عن أولئك الذين يعترفون بمجيء الرسالة الجديدة.

الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بَيُّومِ الدِّينِ. سورة ٨٣، آية: ١١

وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيُّومِ الدِّينِ. سورة ٧٠، آية: ٢٦

فبعد دراستنا للآيات العديدة في هذا الباب وغيرها من الآيات تبين لنا أن الناس دائماً يرفضون الرسول الجديد وينكرونه ويضطهدونه أيضاً. وكما نرى فلن تتبدل سنة الله في إرسال الرسل ولا سنة الناس في إنكار الرسول الجديد.

## الساعة

إن كلمة الساعة في الكتب المقدسة دائماً ما تشير إلى زمان ظهور الرسل وبعثتهم. فالمسيحيون على دراية تامة بمعنى كلمة "الساعة".

تأملوا النبوءة التالية من السيد المسيح:

فأذكر كيف أخذت وسمعت واحفظ وتب فاني إن لم تسهر أقدم عليك كلك ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك.  
رؤيا، الفصل ٣، آية: ٣

يستخدم الإنجيل كلمة ساعة كالقرآن الكريم ليشير إلى مجيء الرسول الجديد من عند الله. فأفضل طريقة لمعرفة التأويل المقصود من كلمة الساعة هو المقارنة بين نبوءات الإنجيل والقرآن. فمعظم المسلمين لا يعلمون بأن القرآن الكريم يعزز وعود الكتاب المقدس التي تشير إلى عودة روح الله\* إلى العالم الدنيوي.

سوف نقوم بمقارنة الآيات من الكتابين المقدسين:

### الآيات من القرآن الكريم:

إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ... وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا... هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ... وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهٗ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.  
سورة ٤٣، الآيات: ٨٥-٨٩

إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ.  
سورة ٤٣، آية: ٥٩

### الآيات من الإنجيل:

و أما ذلك اليوم و تلك الساعة فلا يعلم بهما أحد و لا ملائكة السموات إلا أبي وحده... إسهروا إداً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم\* لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان..  
إنجيل متى، الفصل ٢٤، الآيات: ٤٤-٣٦

فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار و سكر و هموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة.  
إنجيل لوقا، الفصل ٢١، آية: ٣٤

قارنوا النبوءات القرآنية التالية مع تلك النبوءات السابقة من الإنجيل:

عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَفْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ. مَنْ يَضَلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَدْرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ. يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً... عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. سورة ٧، الآيات: ١٨٧-١٨٥

إن التشابه الملحوظ بين كلمات الرسول الكريم والمسيح عليه السلام يقودنا إلى الاستنتاجات التالية:

- يريد الناس معرفة زمان الساعة.
- إن زمان الساعة هو في علم الغيب الإلهي لا يعرفه الرسول الكريم أو عيسى عليه السلام.

\* إن أكثر المسيحيين يعتقدون بأن الله تجسّد في سيدنا المسيح. فمن الواضح إن هذا الاعتقاد خاطئ ومضلل. فالقرآن والإنجيل كلاهما استخدمتا كلمة "الرب" اختصاراً لكلمة "روح القدس". إن كلمة الرب لهي دلالة على روح القدس، وهذا المسمى إنما يطلق على الرسل الإلهية جميعاً. فإله سبحانه وتعالى منزّه عن الشبهية والمثلية وإنما الرسل الإلهية كالمرآة يعكسون نور الله. وإن الشمس لا تنزل من علو مقامها لكنها ترسل نورها فقط.

- إن علم الساعة عند الله.
- يسمح لنا الله أن نعرف مجيء الساعة في الوقت المناسب.
- إن الساعة تأتي بغتةً.
- إن معظم المؤمنين سوف يخفقون في معرفة المعنى أو المغزى من تلك النبوءات.

في المقتطف السابق من آيات القرآن الكريم، نجد بأن الآية الأولى فيها عدة مفاهيم ليست موجودة في نبوءات الإنجيل.

- فهي تصرح بأن قيام الساعة يكون حين يأتي أجل هؤلاء "أجلهم". من هم هؤلاء؟ إنهم الأمم أو أتباع الديانات المختلفة، الذين يترقبون مجيء الساعة.
- تصرح الآية بعد ذلك بأن الناس سوف ينكرون إنقضاء الأجل الذي حُدد لهم.

تأملوا معنى السؤال البلاغي في النبوءة السابقة من القرآن الكريم ، ماهو النبا الذي سوف يؤمنون به بعد هذا؟ يسأل الله سبحانه وتعالى عن الأدلة التي يحتاجها الناس لكي يقتنعوا ويطمئنوا بمجيء الساعة في الوقت المحدد. لنفترض أنه يوجد عشرة أضعاف أدلة تؤكد مجيء الساعة عند انتهاء أجل الأمة؟ هل سيكون الفارق كبيراً ويغير من الأمر شيئاً؟ هل معتقدات الناس تستند على أدلة أم على التقاليد والامثال للموروث؟ بكل أسف إن أكثر من ٩٩/٩ % من المؤمنين تكاد الأدلة تلعب دوراً بسيطاً في تعزيز عقيدتهم. لنفترض أنك وُلدت في عائلة مسيحية، ألن تكون مسيحياً؟ ألن تؤمن بأن المسيح هو الله؟

إن الحجاب الآخر لإنكار الناس لمجيء الساعة إنما هو الشكوك التي تراودهم وبالفعل هم محقون في ذلك. لقد كذب عليهم كثيرون لذا لا يصدقون أحداً بعد الآن. إنهم لا يتقون حتى بكتبهم المقدسة. لا عجب أن يقول المسيح عليه السلام:

ولكن متى جاء ابن الإنسان، أعله يجد الإيمان على الأرض... إنجيل لوقا، الفصل ١٨، آية: ٨

إن الأدلة التي تزخر بها الآيات القرآنية بشأن مجيء الرسل والدين الجديد لهي مدعاة للحيرة والدهشة. إنها أكثر مما نتوقعه لإقناعنا. لقد كان الناس في جميع العصور مقلدين. إنهم يُفضّلون إلى يومنا هذا أن يتبعوا رمزاً دينياً، وأن يسلكوا سبيله عوضاً من أن يصلوا إلى الجواهر الثمينة من المعرفة والحكمة المخزونة في القرآن الكريم بالتأمل في آياته.

لنتأمل الأدلة مرة أخرى، فالقرآن الكريم يعتبر سيدنا المسيح رسول مثله مثل سيدنا محمد عليه السلام. وقد وعد عيسى بأنه سوف يعود ثانيةً. إن القرآن الكريم يؤكد مصداقية هذا الوعد. ماذا نستخلص من الحقائق السابقة؟ أن رسولاً مثل محمد عليه السلام سوف يعود مرة أخرى. إنه الاستنتاج الوحيد الذي يتوافق مع الحقائق الموجودة في الإنجيل والقرآن. فلماذا إذاً يكون مجيء رسول على الأقل أو حتى رسل آخرين بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مدعاةً للشك.

إن التشابه لعدد من آيات الإنجيل المقدس والقرآن الكريم جديرٌ بالملاحظة. لنفارق ونأمل في التوافق بين الآيات التالية من الكتابين:

و متى جاء ابن الإنسان في مجده و جميع الملائكة القديسين معه. إنجيل متى، الفصل ٢٥، آية: ٣١

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا. سورة ٧٨، آية: ٣٨

فيميز بعضهم من بعض. إنجيل متى، الفصل ٢٥، آية: ٣٢

إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا. سورة ٧٨، آية: ١٧

و يجتمع أمامه جميع الشعوب. إنجيل متى، الفصل ٢٥، آية: ٣٢

فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا. سورة ٧٨، آية: ١٨

فيرسل ملائكته ببوق عظيم. إنجيل متى، الفصل ٢٤، آية: ٣١

يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ. سورة ٧٨، آية: ١٨

و قوات السماوات تتزعزع. إنجيل متى، الفصل ٢٤، آية: ٢٩

يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا. سورة ٥٢، آية: ٩

جاء ابن الانسان في مجده وجميع الملائكة القديسين. إنجيل متى، الفصل ٢٥، آية: ٣١

وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا. سورة ٧٨، آية: ٣٨

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعْدِهِ رُسُلُهُ. سورة ١٤، آية: ٤٧

هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ...وَلِيَذَكَّرَ أُولُوا الْأَنْبَابِ. سورة ١٤، آية: ٥٢

إِنَّ اللَّهَ وَعْدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ. سورة ١٤، آية: ٢٢

إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ. سورة ٦، آية: ١٣٤

إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعٍ. سورة ٧٧، آية: ٧

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ. سورة ٥١، آية: ٦٠

إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ. وَإِنَّ الدَّيْنَ لَوَاقِعٌ. سورة ٥١، الآيات: ٥-٦

## الفرق بين النبي والرسول

إن عنوان "خاتم النبيين" واستخدامه من قبل العلماء لإثبات أن الوحي الإلهي قد انتهى مع وفاة سيدنا محمد يحتاج قليلاً من التأمل والتدبر. فلغة العربية كلمتان مختلفتان للدلالة على الرسول الذي يبعثه الله لأمة.

**الرسول:** هذه الكلمة تصف أولاً أولي العزم من الرسل، الذين جاءوا برسالة جديدة مثل سيدنا موسى والمسيح عليهم السلام والرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم (سورة ٤٦، آية ٣٥).

**النبي:** هذه الكلمة تصف الأنبياء الذين لم يأتوا برسالة جديدة من عند الله مثل أشعيا ودانيال.

فمن الواضح أن الرسول له منزلة ومقام النبي، ولكن النبي لا يمكن أن يكون رسولا.

على أية حال فالكلمتان أحياناً قابلتان للتبديل أي نادراً ما تحل إحدى الكلمتين محل الأخرى، ومع ذلك كلتا الكلمتين لهما معنى واستخدام جوهري.

الآيات التالية تبين أن العنوانين (الرسول والنبي) غير متطابقين:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ... سورة ٢٢، آية: ٥٢

(وما أرسلنا من قبلك من رسول) هو نبي أمر بالتبليغ (ولا نبي) أي لم يؤمر بالتبليغ (تفسير الجلالين في المصحف الرقمي).

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ  
وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. سورة ٤، آية: ٦٩

فكانوا في صحبة مَنْ أنعم الله تعالى عليهم بالجنة من الأنبياء والصدّيقين الذين كُمل تصديقهم بما جاءت به الرسل (التفسير الميسر في المصحف الرقمي).

وَأِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى... سورة ٣٣، آية: ٧

وأخذنا الميثاق منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم—وهم أولو العزم من الرسل على المشهور (التفسير الميسر في المصحف الرقمي).

هل كانت المهمة الأساسية لسيدنا محمد أنه بُعث رسولاً أم نبياً؟ يُعْتَبَر معرفة الإجابة على هذا السؤال أمراً صعباً وخطيراً لأن كلمة "خاتم" خاص ومقترن بالنبى وليس بالرسول. إذا كان الله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا بأن محمداً هو خاتم الرسل لماذا إذاً ربط بين كلمة خاتم ونبى بدلاً من أن يربطه بكلمة رسول. إن دراسة وجه التباين بين هذين العنوانين سوف يلقي الكثير من الضوء على عقيدة خاتم النبيين، وأفضل طريقة لمعرفة الاختلافات بين العنوانين السابقين هو دراسة القرآن الكريم لمعرفة كيف استعملت الكلمتان.

## رسول الله

لقب الرسول محمد ومهمته الأساسية

وغيره من الرسل أولي العزم

لنتأمل كيف وردت كلمة الرسول في القرآن الكريم ومتى استخدمت كلمة النبي. لقد جاء عنوان الرسول في آيات كثيرة من القرآن للدلالة على أولئك الذين جاءوا بدين جديد ورسالة جديدة من عند الله. إن كلمة الرسول تبيّن الرسالة التي جاؤوا بها هؤلاء للعالم الإنساني وهي عنوان لهم.

الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ... سورة ٣٣، آية: ٣٩

تأملوا الآيات التالية:

سورة ٦٣، آية: ١ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ...

سورة ٧٣، آية: ١٥ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا.

سورة ٧٢، آية: ٢٣ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...

سورة ٧٣، آية: ١٦ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ...

سورة ٥٨، آية: ٤ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...

سورة ٥٨، آية: ٥ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...

سورة ٣٥، آية: ٢٥ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْغَنِيِّر...

سورة ٥٧، آية: ٢٥	لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ...
سورة ٦٤، آية: ٦	كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ...
سورة ٦٤، آية: ٨	فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...
سورة ٦٣، آية: ١	إِنَّكَ لَرَسُولُهُ...
سورة ٦٣، آية: ٥	تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولَ اللَّهِ.
سورة ٦٣، آية: ٧	رَسُولِ اللَّهِ...
سورة ٦٤، آية: ١٢	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.
سورة ٤٨، آية: ٩	لِنُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...
سورة ٤٨، آية: ١٢	الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ...

لكي نعرف الفرق بين الرسول والنبي، نرى بأن الله سبحانه وتعالى أعز الرسل بصفة الثبات والاستقامة. والغاية من اعزاز الرسل بهذه الصفة الفريدة هي للدلالة على الصبر والعزيمة والثبات لدى هؤلاء في مواجهة الكثير من المعاناة والرفض من قبل أقوامهم.

وقد أخبر الله عز وجل الرسول الكريم بقوله تعالى:

سورة ٤٦، آية ٣٥

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ...

## النبي

### المهمة الثانوية

#### للرسل أولي العزم:

يستخدم القرآن الكريم كلمة النبي في شئون و مواقع قليلة ليشير إلى النبي محمد. ولكن فجأة تظهر عبارة "خاتم النبيين" في السورة ٣٣ حيث اللقب خاتم مرتبط بالنبي محمد في هذه السورة أكثر منه في أي سورة أخرى. هل هذه مجرد صدفة أم أن هناك سبباً لذلك؟ وبما أن كلمة خاتم لا تظهر إلا مرة واحدة وفي سورة ٣٣ دعونا ندرس السورة من ثلاث أوجه:

١. ندرس الآيات التي أُطلق فيها لقب "نبي" على سيدنا محمد.

٢. نتأمل كيفية تغيير عنوان الرسول إلى نبي بتغيير موضوع الآية أو السورة.

٣. قراءة آيات أخرى من القرآن والتي يدعو فيها الله سبحانه وتعالى سيدنا محمد بالرسول.

إن سورة ٣٣ وسور أخرى من القرآن الكريم تدعو فيها سيدنا محمد بالنبي وذلك عندما يكون الخطاب موجه مباشرة إلى حضرته أو زوجاته أو المؤمنين، وخاصة فيما يتعلق بالمسائل الشخصية.

- سورة ٣٣، آية: ٦  
الخطاب الشخصي:  
النَّبِيِّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ...
- سورة ٣٣، آية: ٢٨  
خطاب شخصي مباشر:  
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ...
- سورة ٣٣، آية: ٣٠  
خطاب شخصي مباشر:  
يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ...
- سورة ٣٣، آية: ٣٢  
خطاب شخصي مباشر:  
يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ...
- سورة ٣٣، آية: ٣٨  
الخطاب الشخصي:  
مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ...
- سورة ٣٣، آية: ٥٠  
خطاب شخصي مباشر:  
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجِكُمْ...
- سورة ٣٣، آية: ٥٩  
خطاب شخصي مباشر:  
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ...
- سورة ٣٣، آية: ٤٥  
خطاب شخصي:  
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا...

تظهر نفس النماذج في السور الأخرى:

- سورة ٦٠، آية: ١٢  
خطاب شخصي مباشر:  
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ...
- سورة ٦٥، آية: ١  
خطاب شخصي مباشر:  
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ...
- سورة ٦٦، آية: ١  
خطاب شخصي مباشر:  
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ؟
- سورة ٦٦، آية: ٣  
الخطاب الشخصي:  
وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ...
- سورة ٦٦، آية: ٨  
الخطاب الشخصي:  
يَوْمَ لَا يُخْرِي اللَّهُ النَّبِيَّ...
- سورة ٦٦، آية: ٨؛ سورة ٩، آية ٧٣  
الخطاب المباشر:  
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَانَ...
- سورة ٩، آية: ١١٣  
الخطاب الشخصي:  
مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا...



## الانتقال من لقب نبي في سورة ٣٣ إلى رسول حسب المهمة التي فوضها الله إلى سيدنا محمد

تأملوا كيف يغير الله عنوان النبي إلى رسول الله في سورة ٣٣ حسب المهمة المفوضة إلى حضرته. ولنتأمل أيضاً الانسجام والتجانس بين كلمة الرسول ولفظ الجلالة الله والاستخدام المتناسق بين كلمة النبي بدون لفظ الجلالة "الله".

ما يلي هي الآيات من سورة ٣٣ واستخدام لفظ الجلالة وكلمتي الرسول والنبي:

سورة ٣٣، آية: ٢٨	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزْوَاجِكُمْ...
سورة ٣٣، آية: ٢٩	وَإِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْأَخْرَجَ...
سورة ٣٣، آية: ٣٠	يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ!
سورة ٣٣، آية: ٣١	وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ...
سورة ٣٣، آية: ٣٢	يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ...
سورة ٣٣، آية: ٣٣	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ...
سورة ٣٣، آية: ٣٦	إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ...
سورة ٣٣، آية: ٣٦	وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...
سورة ٣٣، آية: ٣٨	مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ...
سورة ٣٣، آية: ٤٥	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً...
سورة ٣٣، آية: ٥٠	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ...
سورة ٣٣، آية: ٥٩	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزْوَاجِكُمْ...
سورة ٣٣، آية: ٧١	وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...

### رسول الله

لقد أعز الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بلقب جوهرى للدلالة على مكانته ومنزلته الجليلة ألا وهو "رسول الله". إن كلمة رسول الله لا تطلق فقط على النبي محمد بل أيضاً على الرسل أولي العزم الذين جاؤوا بدين جديد. دعونا نتأمل الآيات التي ورد فيها لقب رسول الله، مع ملاحظة أنها لا تتضمن الحياة الشخصية لسيدنا محمد كما هو الحال مع لقب نبي والذي ورد في سورة ٣٣ وكانت تتضمن حياته الشخصية.

سورة ٤٨، آية: ١٣. وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...

سورة ٤٨، آية: ٢٦. عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ...

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا.	سورة ٤٨، آية: ٢٧
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ...	سورة ٤٨، آية: ٢٨
وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ...	سورة ٥٨، آية: ٨
وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ...	سورة ٥٨، آية: ٩
إِذَا تَاجِئْتُمُ الرَّسُولَ ...	سورة ٥٨، آية: ١٢
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ...	سورة ٥٨، آية: ١٣
إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...	سورة ٥٨، آية: ٢٠
أَنَا وَرُسُلِي...	سورة ٥٨، آية: ٢١
مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...	سورة ٥٨، آية: ٢٢
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ...	سورة ٥٩، آية: ٤
رَسُولِهِ...	سورة ٥٩، آية: ٦
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ...	سورة ٥٩، آية: ٦
رَسُولِهِ...	سورة ٥٩، آية: ٧
رَسُولِهِ...	سورة ٥٩، آية: ٨
يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ...	سورة ٦٠، آية: ١
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...	سورة ٩، آية: ١٢٨
وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا...	سورة ١٧، آية: ١٥
رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ...	سورة ٦٥، آية: ١١
وَإِذْ قَالَ مُوسَى... أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ...	سورة ٦١، آية: ٥
وَإِذْ قَالَ عِيسَى... إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ... مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي...	سورة ٦١، آية: ٦
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ...	سورة ٦١، آية: ٩
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...	سورة ٦١، آية: ١١
هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا...	سورة ٦٢، آية: ٢
وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا...	سورة ٢٨، آية: ٥٩

وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ...	سورة ٢٩، آية: ١٨
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...	سورة ٣٣، آية: ٢١
فَكَذَّبُوا رَسُولِي...	سورة ٣٤، آية: ٤٥
وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ... لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ...	سورة ٣٦، آية: ٦، ٣-٢
يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ.	سورة ٣٦، آية: ٣٠
إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُولَ...	سورة ٣٨، آية: ١٤
وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ.	سورة ٤٠، آية: ٥
كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا...	سورة ٤٠، آية: ٢٢
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رَسُولَنَا...	سورة ٤٠، آية: ٧٠
وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...	سورة ٤٠، آية: ٧٨
فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ...	سورة ٤٠، آية: ٨٣
مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِن قَبْلِكَ...	سورة ٤١، آية: ٤٣
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...	سورة ٥٧، آية: ١٩
لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...	سورة ٥٧، آية: ٢١

لكي يبين لنا الله أن المهمة الخاصة والرسالة الأولى لسيدنا محمد ليست تلك التي تُفوض للنبي ولكنها مختصة بالرسول، يتفضل بقوله تعالى في سورة ٣٣ أي نفس السورة التي يذكر فيها "خاتم النبيين".

وَأِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا.

سورة ٣٣، آية: ٧

لنتأمل كيف أن الله سبحانه وتعالى يميز بين الأنبياء (من النبيين) والرسول أولي العزم (ومنك ومن...) في الآية السابقة مثل: محمد، نوح، ابراهيم...وعيسى. ما هو هذا الميثاق الذي أخذه الله من هؤلاء الرسل؟ لقد ناقشنا هذا الموضوع في الفصل الثالث (ماذا تعني عقيدة خاتم النبيين). دعونا نرجع لذلك الموضوع مرة أخرى:

إن مجيء الرسل المستمر وفي كل عصر والظهور التدريجي للوحي الإلهي يستند على ميثاقٍ معهود، ولربما هو من أعظم المواثيق الإلهية السماوية. إن الآية التالية من القرآن الكريم (سورة ٣، آية: ٨١) تشرح هذا الميثاق في أسلوب حوار يبين الله سبحانه وتعالى وبين رسوله.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ  
وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ.

سورة ٣، آية: ٨١

إن ذلك الحوار نستطيع أن نفدّه بالصورة التالية:

**وعد الله وتقديره:** آتيتكم من كتابٍ وحكمةٍ. ثم جاءكم رسولٌ مصدِّقٌ لما معكم. يجب أن تؤمنون به  
وتنصرونه. فهل أقررتم واعترفتم بذلك وأخذتم على ذلك عهدي الموثق؟

**ردّ الرسل:** أقررنا بذلك

**قول الله:** فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين.

هناك آيات أخرى توضح وتميِّز الفرق بين الرسول والنبي. الآية التالية تبين أن داوود كان نبياً.

سورة ١٧، آية: ٥٥

وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا.

الآيات التالية تبين لنا أن المهمة الأساسية للأنبياء هي النبوءة وإعطاء لمحة بصورة أمثال عن مستقبل الأمة.

سورة ٥٧، آية: ٢٦

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوءَ وَالْكِتَابَ...

سورة ٤٥، آية: ١٦

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوءَةَ...

لو قرأنا كتب أنبياء بني إسرائيل مثل كتاب داوود وأشعيا ودانيال وتمعناً في الآيات لوجدنا أنها تبشر وتنبيء  
بمجيء الرسل الإلهية مثل عيسى عليه السلام وسيدنا محمد.

إن كلمتي "نبي" و"نبوءة" لهما جذر واحد، ويعرّفهما القاموس بمعانٍ مثل: نبوءة، تنبؤ، تكهن. والكلمتان  
"رسول" و"رسالة" أيضاً لهما جذر واحد والقاموس يعرّفهما القاموس كالاتي: رسالة، رسالة موجزة،  
كتاب. فبالتالي المعنى اللفظي لكلمة "نبي" يشير إلى الإنسان الذي يتنبأ بمجيء أحداث معينة من بينها مجيء  
الرسول الجديد، بينما لفظ "رسول" يشير إلى الإنسان الذي يأتي برسالة دين جديد من عند الله.

الآيات التالية نماذج أخرى على أولئك الذين يحملون لقب النبي:

سورة ١٩، آية: ٥٦

وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا.

سورة ١٩، آية: ٤٩

وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا.

من ثم نرى أن الله سبحانه وتعالى قد خاطب موسى عليه السلام في هذه السورة بالرسول والنبي على حد  
سواء.

سورة ١٩، آية ٥١

وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا.

لقد كان موسى نبياً لأنه تنبأ بظهور رسول مثله ومن بعده وهو سيدنا محمد:\*

فَقَالَ لِي الرَّبُّ: "...سَأَقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ (موسى) وَأَلْقِي كَلَامِي فِي فَمِهِ..."

سفر التثنية، الفصل ١٨، الآيات ١٨-١٧

بعد أن يشير الله سبحانه وتعالى إلى موسى عليه السلام كرسول ونبي، يوجّه الخطاب جلاً وعلا في السورة ذاتها إلى هارون ويخاطبه كنبي.

وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا.

سورة ١٩، آية: ٥٣

إن إحدى سنن الله ومواهبه للبشرية هي إرسال الرسل.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ...

سورة ١٠، آية: ٤٧

إن هذا الوعد وهو إرسال الرسل لكل أمة كما جاء في الآية السابقة لم يقتصر قط بلفظ نبي في القرآن الكريم. أي لا يوجد آية تشير إلى ذلك. بعض الأمم لم يُبعث فيها أي نبي وأمم أخرى مثل الأمة اليهودية قد أرسل الله لها عدداً من الأنبياء.

يستعمل القرآن كلمة المرسلين للدلالة على الرسول والنبي كما جاء في الآية التالية:

وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ.

سورة ٤٧، آية: ٣؛ أنظروا أيضاً سورة ٣٧، آية: ١٢٣

## رسول الله وخاتم النبيين

سورة ٣٣، آية: ٤٠

لنتأمل وندرس الآية التي وردت فيها عبارة "خاتم" في سياق الآيات التي تعقبها.

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا. الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا. مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا... يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَذَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.

سورة ٣٣، الآيات: ٤٦-٣٨

عن ماذا تصرّح الآيات السابقة؟ لنتأمل الأفكار الرئيسية في الآيات:

- ما كان على النبي محمد صلى الله عليه وسلم من ذنب فيما أحلّ الله له من زواج امرأة من تنبأه بعد طلاقها... وكان أمر الله قدراً مقدوراً لا بد من وقوعه. كما جاء في التفسير الميسر في المصحف الرقمي.

\* يعتقد المسيحيون أن الآية تشير إلى عيسى عليه السلام. وقد تشير إلى سيدنا محمد وعيسى على حد سواء.

- أباح الله سبحانه وتعالى ذلك للأنبياء قبله، سنة الله في الذين خَلَوْا من قبل. أيضاً التفسير الميسر في المصحف الرقمي.
  - ما كان محمد أباً أحد من رجالكم، أي فليس أباً زيد أي والده فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب (ولكن) كان (رسول الله وخاتم النبيين) فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبياً، تفسير الجلالين في المصحف الرقمي.
  - دور الرسول الكريم هو إيصال الكلمة والرسالة الإلهية إلى الناس.
- ومن ثمَّ بيَّنَّ الله سبحانه وتعالى أمور أخرى فَوَضَّها إلى سيدنا محمد فقد طلب منه أن:
- يكون شاهداً على أمته فيبلغهم رسالته ويرى مدى التزامهم بواجباتهم.
  - يكون مبشراً للمؤمنين الذين يسلكون سبيل القرآن الكريم.
  - يكون نذيراً للمؤمنين الذين يكفون عن أداء وظائفهم الدينية التي يعتقدون بها وأولئك الذين ينكرون الإسلام.

إن الآيات التي ورد ذكرها في هذه السورة تبين أن كلمتي الرسول والنبي تشيران إلى الأمور المختلفة التي فَوَضَّتْ إلى سيدنا محمد. فليس هناك أدنى شك بأن المهمة الرئيسية المفوَّضة للرسول الكريم لا تنحصر على مهمة نبي فقط بل إنما هي تبليغ الرسالة التي تفوَّض إلى الرسول. ثم لماذا لفظ "خاتم" متعلق ومرتبطة بكلمة "نبي" وليس "بالرسول". إنه أمر مهم للغاية؟ فعندما ننظر إلى الآيات التي تتبع الآية: ٤٠ من سورة الأحزاب (٣٣) نرى أن الله سبحانه وتعالى قد وصف الأدوار المختلفة المفوَّضة والرسالة التي وهبها الله إلى سيدنا محمد. يبين القرآن وبوضوح أن جميع الرسل الذين جاؤوا قبل الرسول الكريم كانت لهم نفس الرسالة والمهام.

إذا تأملنا الآيات ٣٨ و ٣٩ من سورة الأحزاب (٣٣) نجد أن الكلمات الأخيرة من آية: ٣٨ لها دلالات تبينها الكلمات في الآية ٣٩:

سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ... [و] سُنَّةَ اللَّهِ فِي... [الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ. سورة ٣٣، الآيات: ٣٨، ٣٩]

كما نرى أن الآيتين تشيران إلى سنتين لا تتغيران وهما:

- سنة الله فيما يتعلق بالحياة الزوجية لرسوله.
- سنة الله فيما يتعلق بإرسال رسالاته.

إن المعنى المتضمن في الآيتين واضح وذلك بأن سنة الله في كلا الأمرين بخصوص رسل الله لن تتغير.

إن الآية: ٤٠ من سورة الأحزاب تشير تماماً إلى عكس ما يعتقد المسلمون، إنها تؤكد بأن: سنة الله في طريقة إيصال كلمته إلى العالم الإنساني لن تتغير أبداً.

مرة أخرى دعونا نراجع المهمات التي فوّضها الله إلى رسوله الكريم بأنه:

١. رسول الله.
٢. خاتم للأنبياء الذين سبقوه.
٣. شاهداً على أمته لكي يرى مدى التزامهم بواجباتهم التي تشير إليها آيات القرآن.
٤. مبشراً لمؤمنيه المخلصين.
٥. نذيراً لأولئك الذين ينكرون ما أتى به الله ولغير المؤمنين.
٦. داعياً للناس إلى الله ولكنه غير مسئول عن استجاباتهم.
٧. هو نور الهداية للبشر.

لا يمكن أن نجد سورة من سور القرآن تعيّن أموراً ومهاماً مفوّضة إلى الرسول الكريم كما هو مخصّص في سورة الأحزاب وقد أُطلق لقب خاتم النبيين على سيدنا محمد. إن آيات هذه السورة ترشدنا إلى هذه الاستنتاجات.

- سياق الآيات التي تحكي عن "خاتم النبيين" يثبت عكس ما يعتقد معظم المسلمين.
- إن أكثر الآيات القرآنية التي وردت سابقاً تبيّن بوضوح أن المهمة الرئيسية المفوّضة للرسول الكريم لا تنحصر على مهمة نبي فقط بل إنما هي تبليغ الرسالة التي تفوّض إلى الرسول. وإذا كان الله سبحانه وتعالى يريد أن يبيّن لنا أن الإسلام هو آخر الرسالات التي سوف ينزلها سبحانه لِمَاذَا قال "خاتم النبيين" ولم يقل "خاتم المرسلين"؟





## الغاية الأولى لرسل الله أومهمتهم

يبين القرآن الكريم أن غاية الله سبحانه وتعالى من إرسال الرسل هي:

- أن يحذرننا من عاقبة أعمالنا وينذرننا من إنكار الرسل الإلهية والسلوك في طريق الضلال.
- أن يبشر المؤمنين المصدقين برسله بعيشة راضية.

إن النصوص التالية قد تكررت تقريباً في كل سور القرآن:

إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ. إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ. وَإِنْ يَكذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ  
سورة ٣٥، الآيات: ٢٣-٢٥  
مِنْ قَبْلِهِمْ...

إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ.

سورة ٢٦، آية: ١١٥

رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ...

سورة ٤، آية: ١٦٥

وَمَا تُرْسِلِ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...

سورة ٦، آية: ٤٨

لماذا البشر بحاجة إلى نذير؟ بسبب إنكارهم للرسول الجديد وإعراضهم عنه حتى من بعد ما تأتيهم البيّنة وأيضاً نتيجة الرغبات الذاتية والميول الشخصية وحب الذات. فهذه شريعة النصح من لدى الله لأولئك الذين يسلكون سبل الآمال لكي يتحلّصوا من زخارف الدنيا. فهل قلّت هذه الآمال والرغبات منذ ظهور الإسلام؟ الآية التالية ترد على هذا السؤال:

فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ...

سورة ٣٠، آية: ٣٠

ولماذا نحتاج إلى البشارت؟ ليشملنا الفيض الرباني فنتغلب على الأنانية ونستبشر في أنفسنا بأن الله سبحانه وتعالى قد قدر لنا من نعيم فيضه وأطافه ذلك إذا لببنا ندائه حيث وعد المؤمنين المتقين رضوان قدس عليا.

هَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ. سورة ٤٦، آية: ١٢  
وأيضاً سورة ١٨، آية: ٢؛ وسورة ٤٨، آية: ٩

هل وضع العالم والبشر يوحى بأنه لم يعد بحاجة إلى من يحييه ويأتيه بالبشارات التي تهبه الاطمئنان بعناية ربه كما تحذره من مغبة ما قد يحل به إذا جحد وأنكر ما جاء في الكتاب من أمور يجب أن يتدبر في معانيها. ينبغي لنا ملاحظة أن الآيات السابقة لا تتحدث عن الماضي ولا تذكر بأن الله قد بعث الرسل لغرض معين. بل تبين أن الله أرسل الرسل لغاية أبدية وباقية، وتبين أيضاً سنة الله وأسلوبه ونهجه في هداية البشر إلى قدره ومصيره الذي يسلك به إلى سواء السبيل ويرشده إلى الصراط المستقيم.

كذلك فإن الآيات لا تشير إلى أن ديناً معيناً هو كامل وصالح لكل زمان ومكان وأبدي. فقد أتى الله موسى التوراة تماماً وتفصيلاً لكل شيء من أمور دين ملته وذلك كما جاء في القرآن الكريم سورة الأنعام، آية: ١٥٤. وإنما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لتذكير العباد بعواقب الأعمال وتطهير النفوس والدعوة إلى صالح الأعمال. وحيث أن البشرية تحتاج لهذه الهداية دائماً فإن سنة الله لاستمرار تلك الهداية لن تتغير. إن المسلمين الذين ينكرون استمرارية مجيء الرسل إنهم يسرون على خطى أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. سورة ٥، آية: ١٩

لو تأملنا الآية السابقة نرى أن لها رسالة هامة. ماذا أراد الله أن يوضحه لليهود والنصارى. لقد ذكر لهم بأنه أرسل الرسول الكريم لكي يبين لهم ما جاء في كتبهم.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ... سورة ٥، آية: ١٩

هل اليهود والنصارى يعلمون ما جاء في كتبهم؟ بالطبع لا. هل يمكن للعلماء المسلمين الادعاء بأنهم مستنون وعلى عكس اليهود والنصارى فهم يعرفون معاني القرآن الكريم؟ هل عليهم أن يصدوا الباب لظهور رسول جديد لأنهم يعلمون علم اليقين معنى كلمة "خاتم"؟ بفعلهم ذلك ألا يلمحون بأن الله لا يملك السلطة على كل شيء؟

تأملوا هذه الآية:

فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ. سورة ١٠، آية: ١٠٢

الآية السابقة توحى لنا هذه المقولة: الماضي مرآة المستقبل. إن النمط الأساسي لحياة الإنسان لن يتغير، فالناس سوف ينسون مرة أخرى ما أنذرهم النذير. إن عالمنا الآن بحاجة ماسة إلى نذير مثل سيدنا محمد وعيسى وموسى عليهم السلام لكي يعود إلى سبيل الرشد والهداية. هل يستطيع أحد أن يتجاهل هذا الاحتياج؟ لماذا إذاً تتغير سنة الله بإرسال الرسل بعد سيدنا محمد؟ ولماذا يجب أن نتوقف فجأة سنته فلا يبعث نذيراً لينذرنا من عواقب أعمالنا وبشيراً ليبشرنا بالبشارات التي هي من عطايا الله ومواهبه. لماذا ينبغي لمثل هذه الآية التالية أن تلغى وتعود فاقدة الصلاحية للمستقبل:

وَمَا تُرْسِلِ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...

سورة ٦، آية: ٤٨

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا.

سورة ٢٥، آية: ٥٦

تبرهن الآيات السابقة بأن رسالة الرسول محمد كانت كالرسالات السابقة التي بعثها الله عن طريق رسله. فلا توجد أي آية في القرآن الكريم تمنح الرسول الكريم مهمة خاصة لم يفوضها إلى غيره من الرسل. بل يكرر مراراً أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بشيراً ونذيراً. هل توجد آية تذكر بأن مهمة الرسول هو أن يختم الوحي الإلهي للبشرية؟ لم تأت أبداً آية تصرح بذلك. وهل توجد آية تخبر الأمة الإسلامية بأن القرآن الكريم هو آخر كتاب أرسله الله للعالم الإنساني؟ هل يمكن لأي إنسان أن يتخيل بأن السنة الإلهية الثابتة الراسخة وهي إرسال الرسل قد انتهت ولن يقوم الله بعد اليوم بإرسال رسول ليهدي البشر ويدلهم إلى طريق ينجيهم من الضلال والذي شهده العالم بين الحين والآخر وفي الأزمنة الحرجة من التاريخ فيبعث فيهم الأمل ويبيّن لهم سواء السبيل. ألم يُصرِّح القرآن الكريم بذلك؟

مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ... إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى.

سورة ٢٠، الآيات: ٣-٢

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا... لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ...

سورة ١٨، الآيات: ٢-١

كِتَابٍ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ.

سورة ٤١، الآيات: ٤-٣

كما نلاحظ في الآيات السابقة أن الله سبحانه وتعالى قد فوّض للرسول الكريم وللقرآن الشريف المهمة نفسها وهي تذكرة الناس وموعظتهم ليتخذوا الطاعة والتقوى طريقاً توصلهم إلى رضوان الله، لنقارن الجملتين التاليتين:

١. إن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام هي كما جاء في القرآن الكريم هي أن يبشر الناس وينذرهم (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا).

٢. إن رسالة الرسول الكريم هي إنهاء سنة إرسال الرسل.

أي من البيانات السابقة تدلي بشيء هام؟ بالطبع الثانية. لماذا؟ لأن مفهوم أن يكون الرسول مبشراً ونذيراً ليس بجديد. إننا نعلم مسبقاً أن الله أرسل الرسول الكريم مبشراً بالجنة لمن يصدقّه ويعمل بهديه، ومحذراً لمن يكذبه ويعصيه. هذا المفهوم نجده في كل الكتب المقدسة. حتى أن لفظ "الإنجيل" يعني البشارة، فجميع الأنبياء صرّحوا مراراً بأن مصيرنا إما الجنة أو النار كنتيجة لأعمالنا في الحياة الدنيا. إن الله يحكم بما أنزله في الكتب السماوية بهذين المعيارين:

- مدى استجابتنا للرسول الجديد الذي يبعثه الله.
- مدى امتثالنا لأوامر الله وطاعتنا لما جاء في كتابه.

لكن لماذا يجب أن تتوقف وتنتهي سنة الله القديمة الراسخة أي سنته في التواصل بينه وبين خلقه بإرسال الرسل المنذرين. إن مفهوم سنة الله في إرسال الرسل المنذرين للناس لا يتبدل لأنه في غاية الأهمية وبصورة نجده يتكرر بلغة لا لبس فيها مراراً وبطرق مختلفة في سور القرآن الكريم. وكذلك نرى عبارة نذير ومنذر قد تكررت في القرآن أكثر بكثير من مفهوم أن الرسول محمد أرسله الله بشيراً ونذيراً. لتأمل الآيات التالية وكيف تبين ضرورة إرسال المنذر أو النذير وتكرارها في آيات عديدة: ٧٠، ٦٥: ٣٨؛ ٩: ٤٦؛ ٨: ٤٨؛ ٢: ١٨؛ ١٠٥: ١٧؛ ٥٦: ١٨؛ ٤٩: ٢٢؛ ٢٦: ٦٧؛ ٢: ٧١؛ ٧: ٤٢؛ ٢٤: ٣٥؛ ٤٥: ٧٩؛ ٢٨، ٤٦: ٣٤؛ ٥٦، ١: ٢٥؛ ٥٠: ٢٩.

إن المواضيع الأخرى كقصص الأنبياء قد تكررت عدة مرات أيضاً في القرآن الكريم. وقد جاء ذكر الجنة والنار تقريباً في كل سورة أوروباً في كل صفحة من صفحاته. بعد كل هذه الآيات التي تتكررت مرات عدة للمواضيع السابقة لماذا لم يبعث الله حتى بآية يقول فيها وما أرسلناك مبشراً ونذيراً بل لتتم وتختتم سنة الله العريضة وهي إرسال المنذرين؟ إننا لا نجد لهذا الأمر الهام والمترتب عليه عاقبة العباد وهو عدم استمرارية إرسال المنذرين أي آية في القرآن الكريم. لماذا هذا السفر الكريم يصمت أمام هذه القضية الهامة وفيه تفصيل كل شيء؟

وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ...

سورة ١٢، آية: ١١١

مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...

سورة ٦، آية: ٣٨

هكذا نستطيع أن نعرف الإجابة على تلك الأسئلة السابقة — والتي هي في غاية الأهمية ولها شأن عظيم — بأنه ولضرورة التكامل البشري فإن استمرارية الوحي الإلهي يعتبر من مستلزمات هذا التكامل.

### سنة إرسال رسل منذرين

خلافاً لما يعتقد الكثير من المؤمنين، فإن القرآن والسنة يصرحان بأن إرسال رسل منذرين سوف يستمر إلى أجل غير مسمى، لتأمل هذه الآيات:

وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنُنْزِلَنَّ لَهُمْ نَذِيرًا لِيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِمَّنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا. اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولَىٰ فَلَئِنْ تَجَدَّدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا.

سورة ٣٥، الآيات: ٤٣-٤٢

ماذا تبين لنا الآيات السابقة؟ إنها تخبرنا:

- بأن الناس عاشوا في جميع العصور في ظل هذا الوهم أي أنهم مختلفون عن أسلافهم. فيقسمون بهتاناً بأنهم إذا عاشوا زمن مجيء الرسل السابقين وبعث الله فيهم رسولاً من عنده يخوفهم عقابه ليكونن أكثر استقامة واتباعاً للحق. ولكن لم يكن ذلك إلا ضرب من الوهم واحتجاج خاطئ، لأنه عندما جاءهم رسول من عند الله ينذرهم، إتبعوا خطوات أسلافهم.

- إنهم فعلوا ذلك من باب التكبر والغطرسة.
- إنهم تأمروا ضد الرسول النذير الذي بعثه الله، ولكنهم واجهوا عاقبة خداعهم الباطل.
- هل يمكن لأولئك الذين يعيشون في المستقبل بعد ظهور الإسلام أن يكون لهم استجابة مختلفة للمنذرين المبعوثين من عند الله؟ هل نتوقع منهم أي معاملة أخرى غير الرفض؟ هل يمكن أن تتغير سنة الناس في معاملتهم للرسول المنذرين.

لا، لن تتغير سنة الله في إرسال الرسول المنذرين، إن الرسل سيأتون في المستقبل كما جاءوا في الماضي. إن سنة إرسال رسل منذرين إلى كل أمة وعدّ قد تكرر في القرآن:

إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ. إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ. سورة ٣٥، الآيات: ٢٤-٢٣

لماذا أرسل سيدنا محمد؟ هل كان لإكمال الوحي الإلهي أم لتحذير قومه الذين لم يبعث الله فيهم نذيراً؟

إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ... لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ. سورة ٣٦، آية ٣، ٦

رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. سورة ٢٨، آية: ٤٦

إذا كان الله لا يمكن أن يترك أمة بدون أن يرسل لها نذيراً، فلماذا يغيّر طريقته فجأة ويفشل في إرسال حتى نذير واحد للعالم للسنوات القادمة؟ وكما تعلمنا القرآن إن الرسالة الرئيسية لسيدنا محمد هي إبلاغ الكلمة الإلهية لقوم لم يُرسل إليهم أي نذير، وهذا في حد ذاته يعارض الخاتمة المفاجئة لهذه السنة. فلماذا يجب أن نتوقف الحاجة لإرسال النذير فجأة؟ تبين الآية التالية أن إرسال رسل منذرين ليس مجرد حدث وقع في الماضي، بل بالأحرى هو سنة سوف تستمر أيضاً في المستقبل.

وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا. سورة ١٨، آية: ٥٦

ألا يمكن أن يكون أولئك الذين يجادلون بالباطل هم الذين ينكرون أو يجادلون بهذه الحقيقة البديهية وهو أن التواصل بين الله والبشر لن يتوقف وأن العالم الإنساني بحاجة إلى نذير دائماً؟

### نَبَأٌ عَظِيمٌ

سورة ٣٨، آية ٦٧

إن خبر مجيء الرسول الجديد من عند الله هو من أعظم الأنباء وأجلّها. فلماذا يبتعد الإنسان عن مثل هذه الأخبار؟ إن مجيء المُنذِرِ والمبشِّرِ مدعاة للسرور والبهجة فلماذا يحاول المرء أن ينكر مجيئه؟

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ. فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. سورة ٢٦، الآيات: ٦-٥

الآيات السابقة تبين:

إن سنة الناس وما اعتادوا عليه في حياتهم هو إنكار الرسل المنذرين الذين يبعثهم الله من عنده ليذكروا أمتهم بعاقبة أعمالهم ومصير رفضهم لما اختاره الله لهم.

ماهي الأنبياء التي سوف يستهزئون بها ويعرضون؟

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ... قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ. أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ... أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ. سورة ٣٨، الآيات: ٧٠-٦٥

ما الذي هم عنه معرضون؟ إنهم معرضون عن النبا العظيم وعن الذي سيأتي به. ولكن للأسف إن أغلب المسلمين مقتنعون كما جاء في أقوال علماء الدين بأن النبا العظيم قد انتهى بظهور سيدنا محمد وأن البشرية سوف لن تأتيها أي نبا من الله سبحانه وتعالى وهو الرحيم بنا والأقرب إلينا من حبل الوريد.

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ. الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ. كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. سورة ٧٨، الآيات: ٥-١

على ماذا تدل كلمة هم فيه مختلفون؟ إنها تدل على أن بعض المسلمين سوف يرحبون بهذا النبا العظيم والبعض الآخر ينكرونه.

لنتأمل سوياً مرة أخرى التحذير التالي من القرآن الكريم عن النبا:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ. سورة ٤٩، آية: ٦

تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ. قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ. وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ. سورة ٦٧، الآيات: ١٠-٨

تعلّمنا الآيات السابقة التالي:

- إذا ادّعى شخص ما أنه نذير من عند الله علينا بالتحقيق في ادعائه، كما يجب علينا أن نسمع أقواله ونتأمل بعناية ما يقدمه من أدلة وشواهد لصدق ادعائه.
- وعلينا بعد ذلك أن نستخدم قدراتنا المنطقية والعقلية والتي هي المعيار الوحيد لمعرفة الحقيقة فيما إذا كان الرسول الذي بعثه الله وحذر قومه فكذبوه هل هو صادق في ادعائه.

يعلّمنا القرآن مراراً بأن دليلنا الوحيد للوصول للحقيقة هو المنطق والعقل اللذان وهبنا إياهما الله. كما تبين الآيات السابقة "لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ." ويجب علينا أيضاً أن لا نسمح أبداً للتقاليد وفقاً لما تملّيه رموز السلطة (زعماء الدين ورؤسائه) أو ما تدّعيه الأغلبية أن تمارس أي تأثير في إختيار مصيرنا الروحاني.

ما الضرر والأذى الذي سيلحق بنا إذا قمنا بالتحقيق في أنباء النذير الذي يبعثه الله عز وجل؟ لا شيء! إذا ما الضرر الذي يمكن أن يلحق بنا من عدم التحقيق؟ إن عدم التحقيق يؤدي بنا إلى إنكار النذير الذي بعثه الله دون أن ندرك سوء تقديرنا الخطير وإمكانية أن نكون والعياذ بالله من أصحاب السعير.

## إمّيازات الكلمة الإلهية وخلقيتها

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ  
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.  
سورة ١٠، آية: ٣٧

لنفترض أن الله بعث رسولاً جديداً. فكيف نستطيع أن نعرفه؟ هل هناك طريقة مؤكدة لمعرفة معرفته والتأكد من صدق ادعائه؟ يمكننا إيجاد إجابة هذا السؤال في السور القرآنية. لنحدد أولاً المعايير والعلامات التي هي من عند الله وتشهد بنبوة سيدنا محمد، ومن ثم نطبق تلك المعايير لأي رسول يأتي بعده. يعلن الله مراراً أن القرآن هو الشاهد والدليل القاطع بأنه من عند الله.

قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتون بمثلهِ ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً.  
سورة ١٧، آية: ٨٨

وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين.  
سورة ٢، آية: ٢٣

قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادقينَ.  
وتاملوا أيضاً الآيات التالية: ٢٩:٥١؛ ٥٢:٣٤؛ ٢٨:٤٩؛ ٤٦:٧؛ ٤٤:٦-٨؛ ٤٥:٤؛ ١٨:٤؛ ٣:١٨٨؛ ١٧:٨٨؛ ٤٩:٤٤؛ ١٥٧:٣٧؛ ٧٨:٤٠

إن المؤمنين الصادقين كما يخبرنا القرآن الكريم يستطيعون معرفة الكلمة الإلهية كمعرفتهم لأبنائهم.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ...  
سورة ٦، آية: ٢٠

"وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا" (سورة ٩، آية: ٤٠)، وقد كانت الكلمة الإلهية دائماً هي الشاهد والدليل بأنها من عند الله.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ.  
سورة ٣، آية: ١٨٤

كيف يمكن إثبات أن القرآن مصدره إلهي أي أنه من عند الله؟ في الحكم على مصداقية الإسلام لدينا خياران فقط. إما علينا أن نفترض بأن الإسلام هو خدعة من صنع الإنسان وقد سمح الله له بأن يسود وينتشر واستحوذ على مصير مئات الملايين من الناس لقرون عديدة، أو أنه أعظم ظهور إلهي ورسالة إلهية. كيف يمكننا معرفة ما هو الاختيار الصحيح؟ هناك طريقة واحدة وهي أن نقرر ما إذا كان القرآن الكريم ثمرة الثقافة العربية أو أي ثقافة أخرى. ولكن هذا الموضوع واسع وشامل يتطلب مجلد كامل. وبما أن هذا ليس هدفنا فعلياً أن نعالج الموضوع بصورة موجزة.

إذا كان القرآن منزلاً من عند الله فبالأكيد هناك دلالات وعلامات واضحة وجليّة تميّز القرآن عن غيره من الكتب وتثبت بأنه سماويّ. لقد كُتبت ملايين الكتب منذ عهد سيدنا محمد، فماهي المميّزات الخاصة التي تجعل القرآن يتفوق على تلك الكتب فيبقى فريداً من نوعه؟ تأملوا فيما يلي الخصائص الثمانية عشرة أو مميزات القرآن الكريم. والتي كلٌ منها تميّز القرآن وتحدد تفوقه على جميع الكتب المذكورة سابقاً.

■ لقد كان الرسول "النبي الأمي" (سورة ٧، آية: ١٥٧)، ومع ذلك قدّم كتاباً هداية للبشرية استمر ودام أكثر من ألف سنة. فكيف يمكن لرجل غير متعلم يعيش في بيئة ذات ثقافة بدائية أن يؤلف كتاباً عادياً ناهيك عن كتاب مثل القرآن الكريم.

■ كيف يمكن لكاتب عادي أن يؤلف كتاباً استطاع أن يُبدّل حياة البلايين من المؤمنين ويهديهم إلى سواء السبيل على مدى قرون؟ من أين أتت قوة التغيير تلك؟ هل نستطيع أن نجد في تاريخ البشرية كله حتى ولو مثلاً واحداً لإنسان باستثناء أولى العزم من الرسل كموسى وعيسى عليهما السلام اللذين استطاعا أن يُحدثا فارقاً كبيراً في جوانب عديدة من حياة الكثيرين ولفترة طويلة؟

لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

سورة ٨، آية: ٦٣

■ كيف يمكن لكاتب أمي أن يصدر منه كتاباً رائعاً ومختاراً بعناية جميلة مثل القرآن الكريم وبصورة متواصلة دون توقف أو تصحيح؟ إننا لا نجد في تاريخ البشرية حتى مثلاً واحداً يشبه تنزيل القرآن الكريم. (ومن المعروف أن المؤلفين العظام يراجعون أعمالهم باستمرار).

■ كيف نستطيع تفسير معجزة قيام رجل غير متعلم وعلى ما يبدو إنسان عادي ودون حماية ودعم من أحد ويأتي بعقيدة مخالفة لعقيدة راسخة عميقة ألا وهي الوثنية السائدة بين قوم كانوا الأكثر قساوة وعنفاً في تلك الحقبة من الزمن حيث لم يشهد العالم مثلهم، ومن ثم ينجح في إستئصال تلك العقيدة من جذورها و في فترة حياته؟ فمن أعطى القدرة لهذا الرجل الأمي أن ينجز هذه المعجزة؟

■ ما هي الدوافع التي حثت سيدنا محمد على أن يتعهد ويتخذ مهمة بهذه الدرجة من الخطورة دون حماية ودعم. فمن الذي ألهمه و وهبه هذه المقدرة العظيمة؟ ومن الذي يقبل أن يعرض نفسه وعائلته في خطر مهلك لكي يُعلّم الناس أنه لا يوجد إلا إله واحد لا يُرى.



■ كيف يمكن لإنسان لم يدخل المدارس كسيدنا محمد أن يلاحظ فيعرف حقائق علمية معينة وخاطئة ومن ثم يتحداها كنظرية حركة الشمس حول الأرض السائدة في ذلك الوقت؟ تأمل هذه الآيات:

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.  
سورة ٣٦، آية: ٣٨  
تأمل الآيات التالية: سورة ١٣، آية: ٢؛ سورة ٣٩، آية: ٥

الآيات السابقة توضّح مسألتين غامضتين:

● إنها تعلن بأن الشمس كتلة مستقرة ولكنها تدور حول نفسها. وكما نعلم لم يكن في مقدور أحد في زمن سيدنا محمد أن يتخيّل هذه الحقيقة. ففي الآونة الأخيرة وبواسطة التليسكوبات القوية تمكن العلماء من كشف حقيقة هذه الظاهرة العلمية.

● توضح الآية القرآنية أيضاً أن الأرض تدور حول الشمس على عكس ما كان يُعتقد سابقاً بأن الشمس تدور حول الأرض. وقد كان الرأي السائد والمسيطر في ذلك الوقت على عكس ما أعلنه القرآن الكريم. لذلك كان التصريح بهذا المدلول يبدو غير معقول للمؤمنين زمن الرسول الكريم وحتى لعدة قرون بعد الرسالة النبوية مما دعاهم أن يحاولوا إيجاد تفاسير أخرى لذلك المفهوم.

القرآن الكريم أيضاً يكشف عن هذا السر العظيم:

وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ.  
سورة ٣٦، آية: ٤٠

لقد اكتشف العلماء مرة أخرى وفي الآونة الأخيرة بأن الكون أخذ في الاتساع، وأن الشمس نجم ثابت لا يتحرك حول محوره فحسب بل يسبح في هذا الكون. فكيف يكتشف سيدنا محمد وهو رجل غير متعلم ومن بيئة ثقافية بدائية هذه الحقائق والأسرار؟ إن كشف وإظهار تلك الحقائق يدل ويشير إلى وجود مصدر إلهي وراء المعرفة البشرية.

■ كيف يستطيع رجل غير متعلم وقد نشأ في بيئة وثنية لا تعبد الله أن يصل إلى معرفة التصور الخاطيء لاعتقادات أتباع أديان أخرى كعقيدة الثالوث، أنظر الآيات التالية من القرآن الكريم: سورة ٤، آية: ١٧١؛ سورة ٥، آية: ٧٢-٧٣. وما زال المسيحيون حتى هذا العصر وهو عصر العقل والمنطق متمسكين بهذه العقيدة التي لا أساس لها من الصحة وغير عقلانية وهي في الحقيقة عدم احترام للذات الإلهية.

■ كيف يمكن لشخص عاش في بيئة ثقافتها بدائية وتدعو إلى العنف حيث كان الناس يقتل بعضهم بعضا لأسباب تافهة، ويبدون بناتهم، فيظهر الاحترام للأقلية الدينية مثل اليهود والمسيحيين ويدرك حريتهم لممارسة شعائرهم الدينية؟ ولا يخفى على أحد بأنه حتى يومنا هذا لا تتمتع الأقلية الدينية في كثير من الدول الإسلامية بالحرية التي وهبهم إياها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. تأمل الآية التالية:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَانُوا وَالصَّابِرُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.  
سورة ٥، آية: ٦٩

■ كيف يمكن لإنسان عادي أن يكون متحرراً في أفكاره، ورؤوفاً وكرامياً فيصرح بهذه الآية عن أقلية دينية ألا وهم اليهود الذين نقضوا العهد معه و وجد منهم الخيانة والغدر في أصعب الأوقات أثناء إعلان دعوته.

فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَانَهُمْ... فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. سورة ٥، آية: ١٣

تأمل أيضاً الآيات التالية: سورة ٥، الآيات: ٨٢-٤١؛ سورة ١٠، آية: ٣٧

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. سورة ٢، آية: ٤٧

تأمل أيضاً هذه الآيات: سورة ٢، آية: ١٢٢؛ سورة ٧، آية: ١٤٠؛ سورة ٤٤، آية: ٣٢؛ سورة ٤٥، آية: ١٦

■ كيف يمكن لإنسان عاش في بيئة يسود فيها الجهل والتعصب والظلم فيصرح وينادي بأنه لا فرق بين رسل الله ويرفع التمييز فيما بينهم.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً.

سورة ٤، آية: ١٥٢

تأملوا الآيات الآتية: سورة ٢، الآيات: ٢٨٥، ١٣٦؛ سورة ٣، آية: ٨٤

في حين نرى أن أتباع كثير من الأديان وفي هذا العصر المتحضر ومنهم المسيحيون بكل فخر يعلنون ويروجون مبدأ الفرق بين رسل الله. فهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى قد وضع مقام المسيح فوق مرتبة جميع الأنبياء. لأنه أعطي لقباً فريداً من نوعه ألا وهو: "ابن الله".\* إن هذا التعليم المهم أي كون الأنبياء كلهم في صقع واحد له معنى عميق نوجزه كالاتي: لم يأت القرآن بهذه الحقيقة من الاعتقادات السائدة لدى عرب الجاهلية، بل من الحقيقة القائلة بأن الرسل جميعهم يقومون على أمر إلهي واحد فكلهم يدعون إلى توحيد الله ويبشرون بكوثر الفضل الإلهي وهم مخازن العلوم الإلهية.

تأملوا كيف يتنافس علماء الدين في زمننا مع علماء الدين الآخر: المسيحيون يتنافسون ضد المسلمين والمسلمون ضد المسيحيين والتنافس جارٍ بين هؤلاء واليهود. تأملوا أيضاً كيف ينظرون باحتقار لمن دونهم ويحاولون إيجاد أي ضعف في منافسهم ومعتقداتهم وتضخيمه. قارنوا الآن تصرفات هؤلاء العلماء ورؤساء الدين وما تفضل به الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء السابقين وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم وقد رفع مقامهم وأجلهم، فكيف يمكن لنبي عاش بين أقوام ذي ثقافة بدائية و بربرية أن يُظهرَ هذه الدرجة من النبل تجاه الأنبياء فيذكرهم بكل لطف ويكرمهم فيصبح أتباع هؤلاء الأنبياء بعد ذلك من معارضي سيدنا محمد؟

لقد قام يوسف سميث مؤسس الطائفة المورمونية والذي ترعرع في عائلة ومجتمع مسيحي في القرن التاسع عشر في أمريكا بوصف جميع الكنائس ما عدا كنيسته بأنها "فاسدة"، فهذه كانت نظرتة لإخوانه المسيحيين.

\* إن لقب "ابن الله" ليس بالضرورة عنواناً فريداً من نوعه، حيث يشير الإنجيل إلى جميع البشر كـ "أبناء الله".

يواصل رؤساء الدين المسيحي وعلماؤهم بإنكار الرسول الكريم ولا يعترفون برسالته ويعتبرون أتباعه نفوساً ضالة. ولكن في المقابل نجد سيدنا محمد يُظهر منتهى التواضع لسيدنا عيسى ولم يمنح أي لقب لنفسه ليشرّفها. فلم يلقّب نفسه إلا بالرسول الذي يوحى إليه (سورة ٤١، آية: ٦؛ سورة ١٧، آية: ٩٣) ولكن منح عيسى عليه السلام لقباً أعظم من "ابن الله"، فقد أطلق عليه لقب "روح الله". هل بإمكانك أن تحدّد لقباً يمنح شرفاً أعظم من "روح الله".

بهذا تعرفون روح الله: كل روح يعترف بأن يسوع المسيح قد أتى في الجسد فهو من الله. ١ يوحنا ٢: ٤

مرةً أخرى فإن هذه اللفتة النبيلة وحدها من سيدنا محمد تُظهر إن ما يتفضل به حضرته إنما هو من الوحي الإلهي.

أشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته. محمد

فَنَقَّحْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ. سورة ٢١، آية: ٩١

لنواصل ذكر العلامات الأخرى التي تبيّن وتميّز سيدنا محمد بأنه رسول من عند الله وهي من القرآن الكريم:

■ كيف يمكن لإنسان عادي أن يكون بهذه الدرجة من الكرم والشفقة فينسب المعجزات لشخص غريب وهو رسول سبقه بمئات السنين أي سيدنا عيسى عليه السلام أوحى لأولئك الذين لم يكونوا أولى العزم من الأنبياء مثل سليمان ودانيال ومع ذلك لم يدّع أي معجزة لنفسه؟ أنظر الآيات القرآنية التالية: سورة ٥، الآيات: ١١١-١١٠؛ سورة ١٩، الآيات: ٣٠-٢٩؛ سورة ١٧، آية: ٩٣؛ سورة ٢١، الآيات: ٨١-٧٩.

■ كيف يمكن لإنسان عادي أن يكون بهذه الدرجة من الشفقة والمحبة ويجعل مقام امرأة وُلدت قبله بعدة قرون فوق مقام زوجته وإبنته العزيزة؟ لتتأمل كيف يوصف القرآن الكريم السيدة مريم والدة عيسى عليه السلام. إن المسيحيين الذين ينكرون الإسلام يخجلون من الاعتراف للإجلال والاحترام الذي يذكره القرآن الكريم بحق مريم عليها السلام. فهم لا يستطيعون أن يجدوا أي عبارة في الإنجيل قريبة مما يذكره القرآن كآلية التالية:

وَأُذِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. سورة ٣: آية ٤٢

كما نرى القرآن يصطفي السيدة مريم على نساء العالمين. ومع أن أصحاب الفرقة البروتستانتية يعتبرونها امرأة مثل سائر النساء لأن العهد الجديد لا يضيف أي تكريم خاص لها.

■ كيف يمكن لإنسان عاش في بيئة لها ثقافة بدائية يُظهر بوضوح هذه الدرجة من التسامح تجاه أتباع الديانات الأخرى؟

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. سورة ٥، آية: ٦٩؛ تأملوا أيضاً سورة ٢، آية: ٦٢

■ كيف يمكن لإنسان نشأ في بيئة ثقافتها هي العنف والقسوة فيبحث على الفضائل ويعلمها؟

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ  
السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ.  
سورة ١٣، آية: ٢٢

وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِهِ فحَبِّئُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً.  
سورة ٤، آية: ٨٦

لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا...  
سورة ٥، آية: ٨

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ...وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ...  
سورة ٤، آية: ١٣٥

وَلْيُغْفِرُوا وَلْيُصْفَحُوا أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ...  
سورة ٢٤، آية: ٢٢

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ.  
سورة ٢٣، آية: ٩٦

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ.  
سورة ٤١، آية: ٣٤

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...  
سورة ٤٩، آية: ١٣

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ...وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...  
سورة ٥٩، آية: ٨-٩

وهناك أيضاً آية في القرآن تحت المؤمنين على أن يجتنبوا الظن ولا يفتشوا عن عيوب الآخرين ولا يتجسسوا عليهم ولا يغتابوا. وأخرى تشجع المؤمنين أن يتشاوروا مع بعضهم البعض. فكيف يمكن لإنسان نشأ في بيئة تنادي ثقافتها بالاستبدادية أن يشجع التشاور؟

تَأْمُرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ...  
سورة ٦٥، آية: ٦

■ كيف يمكن لإنسان عاش في الجزيرة العربية في القرن السابع أن يدرك مضر مساوى شرب الكحول؟

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.  
سورة ٥، آية: ٩٠

إن مساوى الكحول التي قد تنبأ بها الرسول الكريم إنما مصدرها الوحي الإلهي. وفي تلك الحقبة من التاريخ التي انعدمت فيها العلوم الطبية والتي تبين أضرار شرب المسكرات لهو أمر يدعو إلى التأمل لأننا نلاحظ اليوم مثلا في الولايات المتحدة فقط يموت سنوياً حوالي ١٧,٠٠٠ سائق مسكر. فكم من ملايين الأرواح التي لقت حتفها جراء شربها للكحول؟ إن العواقب المترتبة على شرب الكحول مروعة بدرجة تتجاوز بكثير تلك التي تسببها المخدرات.

■ لقد إتهم الرسول الكريم بأنه كان يشن الحروب لتعزيز الإسلام. فبيّن القرآن الكريم عدم مصداقية ذلك. وإذا تأملنا الآيات القرآنية التي تحكي عن تلك الحروب لنجد أن محمداً عليه السلام قاتل فقط حروباً

دفاعية. فأولئك الذين يتهمون محمداً بالعدوان إنهم يركّزون على آيات محددة. إذا تعاملنا مع الإنجيل بنفس الطريقة فيمكننا أن نتهم السيد المسيح بالعدائية. ألم يقل عليه السلام:

لا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَحْمِلَ السَّلَامَ إِلَى الْأَرْضِ، مَا جِئْتُ لِأَحْمِلَ سَلَاماً بَلْ سَيْفًا. إنجيل متى، الفصل ١٠، آية: ٣٤

كل الآيات القرآنية التي تحت على القتال والحرب يجب أن يُنظر إليها في ضوء الآيات الأخرى ذات الصلة بموضوع القتال. تأملوا الآية التالية:

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. سورة ٢، آية: ١٩٠

إن الآيتين السابقتين تحثان على مبدئين إثنين:

- ينبغي على المسلمين أن يقاتلوا الذين يقاتلونهم. فلم يدعُ القرآن المسلمين أن ينشروا دينهم بالقوة.
- ينبغي على المؤمنين أن لا يتعدوا الحدود التي فرضها الله عليهم.

الآية التالية توضح هذه الحدود:

وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. سورة ٤٢، آية: ٤٠

ما هي الآثار المترتبة على القانون السابق؟ لنفترض أن رجلاً قتل ابن رجلٍ آخر. بإمكان والديّ الطفل فرض عقوبة الإعدام على القاتل. هذه هي العدالة. ولكن إذا اختاروا العفو فأجر ذلك عند الله. وإن هذا ما تؤكد الآيات السابقة فالأجدى لهم أن يسامحوا الجناة ويصفحوا عنهم بدلاً من الأخذ بالثأر الذي كان منتشرًا حينها في الجاهلية وقبل ظهور سيدنا محمد. فتدل الآية السابقة أن دين الإسلام ليس دين عدوان وقمع بل هو دين عدل وتسامح. كذلك إن مفهوم الآية يتعارض تماماً مع الاتهام القائل بأن "الإسلام هو دين سيف".

لقد كان العرب البدائيون في شبه الجزيرة العربية عدائين للغاية. فأرادوا أن يمنعوا انتشار الإسلام ولم يترددوا بقتل النفوس التي آمنت بالدين الجديد. أما المسلمون فطلب منهم أن يُخضعوا أولئك العرب الذين اشتبهوا بعنفهم وأن يقهروهم، وإلا فلن يستطيعوا البقاء على قيد الحياة ناهيك عن تبليغ دينهم.

كيف أخبر الله المسلمين أن يقوموا بنشر دينهم؟ إن الآيات القرآنية تبين بأن الله لم يجبر أحداً على الإيمان به. بل على العكس فإنه سبحانه وتعالى يناشد أذهاننا وقلوبنا لتلهمنا بأن نرجع إليه في جميع أمورنا ويكون هو الأول في حياتنا. إنه من المدهش حقاً أن نرى إنساناً عاش في بيئة ثقافتها العنف ولا تؤمن بالإنسانية فيعلم أتباعه نشر الإسلام من خلال كلمات تحمل معاني الشفقة والرأفة والرفقة.

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... سورة ١٦، آية: ١٢٥

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... سورة ٢٩، آية: ٤٦

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...

سورة ٢، آية: ٢٥٦

كيف ينبغي للمسلمين أن يكون حديثهم مع اليهود والمسيحيين؟ لقد وضّحت الآية السابقة آية ٤٦ من سورة ٢٩ ذلك. ونجد بأن سيدنا محمد يشجع أتباعه إظهار نقاط التقارب بين الإسلام والمسيحية واليهودية حيث أنهم جميعاً يؤمنون بإله واحد. ولكن نجد أن علماء اللاهوت المسيحيين يكتبون كتباً تثبت أن الله (عند المسلمين) ليس هو إله المسيحيين واليهود. وكذلك عزز سيدنا محمد الاتحاد بين أتباع الأديان بينما نجد رؤساء الدين المسيحي الذين يبلّغون الكلمة الإلهية يعززون الفرقة والتعصب.

إذاً كيف يمكن لرجل نشأ في بيئة ثقافتها التعصب ويسود فيها الجهل يُظهر هذه الدرجة من التسامح والحكمة والرفقة؟

يمكننا أن نتأمل في القرآن الكريم ونسأل مئات الأسئلة والتي تشير إلى مصدر تلك الفضائل وهو بعيد كل البعد عن الثقافة العربية في ذلك الوقت. لنفترض إنك كنت تسير عبر صحراء شبه الجزيرة العربية فإنك لن ترى شيئاً سوى الرمال والأشواك والحرارة الهائجة. ولكن ماذا لو رأيت فجأة حديقة رائعة الجمال قد زُيّنت بأروع الزهور وأشجار الفاكهة. ماهو تفسيرك لذلك المشهد؟ هكذا يكون إدراك شاهد ومتأمل محايد للقرآن. إن القيام بتأليف كتاب يضاها عظمة وفخامة وعمق معاني القرآن الكريم من قبل أصحاب عقول لامعة تسكن شبه الجزيرة العربية أو أي بلد آخر لهو من الأمور الصعبة جداً بل المستحيلة. فبالرغم من رفعة شأن القرآن وتمييزه بهذه الدرجة العظيمة لم يقرّ أتباع الديانات الأخرى مثل اليهود والنصارى أو يعترفوا به. وقد فشل أصحاب العقول اللامعة أن يجدوا تلك المميزات في القرآن الكريم. فبدلاً من رؤية جماله والتعمق في معجزاته، إنهم لم يروا إلا صحراء مغطاة بالأشواك والنباتات البرية؟

ومرة أخرى يحل القرآن هذا التناقض. فهو يعلن كما أعلن الإنجيل سابقاً أن شرف الوصول إلى الكنوز الإلهية الجليلة والعظيمة المستورة في كلماته هي من نصيب النفوس التي مُنحت الروحانية اللازمة والمطلوبة لذلك المقام الرفيع وليست الدرجات العلمية والأكاديمية المكتسبة.

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ.

سورة ٥٦، الآيات: ٨٠-٧٧

إن الله سبحانه وتعالى يخفي جلاله وبهاؤه وراء حجاب من الأسرار الإلهية ولا يمكن إلا للقلب المقدس والظاهر أن يدخل رضوان معرفة رب العزة. فالوصول إلى عرفان الله ليس بالأمر اليسير.

انجيل متى، الفصل ٥، آية: ٨

طُوبَى لِلْأَنْقِيَاءِ الْقُلُوبِ، لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ.

بالرغم من أن الحواريين كانوا يملكون القلب الطاهر إلا أنهم كانوا بحاجة إلى من يدلهم لمعرفة السيد المسيح.

وإِذْ أُوحِيَ إِلَيَّ الْخَوَارِجِيُّ أَنَّ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. سورة ٥، آية: ١١١

إن السيد المسيح يشهد بنفسه أنه اختار تلاميذه. واستطاع وبفضل الله أن يكشف لهم مجده. وهكذا فإن معرفة الحقيقة تعتمد على مدى روحانية الفرد وليست على قدرته العقلية.

إن منزلتنا وقدرنا عند الله لا علاقة لها بدراساتنا وانجازاتنا الأكاديمية. وإن التدريس في جامعة ذائعة الصيت أو تدوين كتاب عن الدين الإسلامي هو شرف دنيوي. من هم الذين يستحقون دخول الملكوت الإلهي هل هم خريجو وأساتذة الجامعات الدينية أو أئمة المساجد أو أصحاب العمائم؟ الحقيقة إن الملكوت يدخله من له قلب يتصف بالتقوى وروح متواضعة ومن يُظهر الحكمة الروحانية في اختيار مصيره. ومن الذي يحصل على نصيب أكبر من النعمة الإلهية؟ ربما يكون الجواب في الآية التالية من القرآن الكريم:

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. سورة ٢٨، آية: ٥

وحيث أن هناك معايير للإنجازات الأكاديمية فهل يوجد معايير لمستوى روحانية الأفراد؟ وهل إذا كنت من أصحاب السلطة ستقدم درجة الدكتوراة لمن يطلبه منك ويريده؟ إذا كانت الإجابة بالنفي، فلماذا نعتقد بأن الله سوف يمنح الشرف العظيم لأولئك الناس الذين يعرفون الإنجيل والقرآن الكريم معرفة كاملة ولكنهم ساذجون روحانياً ويقيسون الكتاب بأهوائهم فيصفهم الله سبحانه وتعالى:

لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ. سورة ٧، آية: ١٧٩

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ. سورة ١٣، آية: ١٩

ونزلت هذه الآية في حمزة وأبي جهل (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق) فأمن (كمن هو أعمى) لا يعلمه ولا يؤمن به لا (إنما يتذكر) يتعظ (أولوا الألباب) أصحاب العقول. تفسير الجلالين في المصحف الرقمي.

إن أعظم شرف للإنسان أن يكون مؤمناً حقيقياً وهذا لن يتحقق إلا ببذل الجهد والتحلي بكل الفضائل الإنسانية التي جاء بها القرآن، لنستعرض الفضائل التي ذكرها الله في القرآن الكريم.

## الفضائل التي يتحلى بها

### قلب الإنسان

■ **التواضع والخضوع**— أي التنزيه من الاعتزاز بالنفس. عندما نعتقد بأننا نعلم ثم نصل إلى قناعة بأننا نعلم فبهذا التفكير نوصد باب المعرفة على قلوبنا. إن المعرفة هدية ثمينة من عند الله فإذا لم تُتَّوَّج بالتواضع فإنها تؤدي إلى الغرور. وتقوم بخدمة مناقضة للغرض المنشود منها. قد يتحول جسر المعرفة إلى جدار يصد المرء عن الوصول للحقيقة. وكما تعلمون فقد تم الإعراض عن رسالة سيدنا محمد والسيد المسيح عليهما السلام من قبل بعض أعظم القادة الدينيين والعلماء في عصرهم.

■ **عطش المعرفة**— أي الرغبة في التطور والتعلم والبحث عن المعرفة الجديدة. فهل سيهدي الله من يقيد نفسه بطوق الجهل والتمسك بالتقاليد.

■ **طهارة القلب**— من التعصب والرغبات النفسية والأمور الدنيوية والملذات والظلم والجشع وغيرها من الصفات التي تمس بطهارتها. فلا يسكن الله قلباً وروحاً دنسهم اللوث والفساد.

■ **الحرية الروحانية**— الانقطاع من العلوم السابقة والتحرر من الاعتماد على "المعتقدات الموروثة" وتأثير أصحاب السلطة من الكهنة والحاخامات والمجتهدين والأئمة فضلاً عن الوالدين. إن القرآن يدين مراراً أولئك المؤمنين من أتباع أي ديانة من الديانات الذين يتبعون طريقاً معيناً لأنه سبيل آباءهم ومسلكتهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْا كَانِ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ.

سورة ٢، آية: ١٧٠

قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ؟

سورة ١٠، آية: ٧٨

انظر أيضاً سورة ٥، آية: ١٠٤ والآيات ١١، ٦٢، ٨٧

فهل يمكن للمرء أن يقول لقادة دينه في يوم الحساب: إننا كنا لكم في الدنيا أتباعاً، نأتمر بأمركم، فهل أنتم—اليوم—دافعون عنا من عذاب الله شيئاً كما كنتم تعدوننا؟ أو ربما يلتمس حجة متابعتة لدين وعقيدة آباءه. لنقرأ سوياً الآيات التالية من القرآن الكريم:

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ. وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلِ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

سورة ١٤، الآيات: ٢١، ٢٢؛ انظروا أيضاً سورة ٢٨، آية: ٦٣

لماذا أخفق الكثير من اليهود والنصارى من معرفة جوهر المصدر الرباني عندما أتى به سيدنا محمد؟ إن الخطأ الذي وقعوا فيه نتيجة أتباعهم لعلمائهم الذين أضلوهم السبيل قد يحدث لأي فرد، فعلى المرء أن يتعقل ويتدبر لكي يصل إلى الحقيقة باتباع ما يلي:

■ **الاعتماد على الله والاستمرار في الدعاء طلباً لهديته**— تُصرِّح كثير من الآيات القرآنية بأنه ما كان لنفس أن تؤمن بالله إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون:

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ.

سورة ١٠، آية: ١٠٠

وإن المقصود من الدعاء هو أن نسأل الله بأن نكون لائقين لمعرفته والحضور أمامه.

■ **جهاد النفس بالتأمل في آيات الله والدعاء**— يبيِّن القرآن الكريم كيف يهدي الله المرء إلى سبيل الخير.



سورة ٢٩، آية: ٦٩

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ.

## فضائل العقل

يطلب منا القرآن مراراً أن نفكر ونتدبر ونتمعن ونتأمل لكي نصل إلى الحقيقة قبل اتخاذ أي قرار. تأمل الكلمات التالية:

سورة ١٦، الآيات: ١١-١٣

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ... لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ... لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ.

ماذا توحى الفضائل السابقة؟

- **التفكير و يتطلب:** التحليل والتعمق والتأمل.
- **المعرفة و تتطلب:** المنطق والاعتماد على الأدلة وعدم تشويه الحقائق.
- **الوعي:** أي أن نتذكر بأن الطريق إلى حسن الخاتمة يعتمد على كيفية تدبرنا فيما نفكر فيه ومن ثم القرارات التي نتخذها حيال ذلك في حياتنا. وكذلك على مقدار ما نملك من رؤية وبصيرة لعواقب الأمور. أولئك الذين يجعلون النور الإلهي يدهم إلى الصراط المستقيم هم ممن يتميزون بالوعي والإدراك السليم. وبذلك يستطيعون أن يروا الحقيقة:

سورة ١٣، آية: ١٩

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ.

إن القرآن الكريم يشير مراراً إلى أولئك الذين يتبعون "الفرضيات" و "الأوهام" و "الظنون" و "الإدعاءات" دون علم أو معرفة. فبيّن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى:

سورة ١٠، آية: ٣٦

وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ.

انظر أيضاً آية سورة ١٠، آية: ٦٦

على ضوء القرآن الكريم نستطيع أن نعرّف كلمة ظن بأنه اعتقاد قلما يكون أو حتى أنه غير مبني على حقيقة أو واقع، ولكن الناس يقبلونه ويعيشون معه لانه أصبح مألوفاً لديهم. هناك أمثلة على الأوهام والظنون والتخيلات عند المسيحيين كالاتي:

- السيد المسيح هو المخلص الوحيد.
- السيد المسيح هو الله والرسول معاً.
- الله هو الواحد الأحد ولكنه مجسد بالثالوث.
- المسيحيون هم الذين يدخلون الجنة فقط.

هناك أمثلة أخرى على الظنون والأوهام الشائعة بين المسيحيين حول الدين الإسلامي:

- الإسلام ليس دين السلام بل هو دين حرب.
- المسلمون عامة يتصفون بالعنف.
- إن الله ليس هو الإله الذي يعبده المسيحيون واليهود.

ماذا عن المسلمين؟ هل يحملون في أذهانهم أو هاماً عن معتقدات الأديان الأخرى؟ إن القرآن الكريم يوضّح ويزيل سوء الفهم عن تلك الأديان. ولكن هناك أسئلة جديدة تتضمنها آياته مما تحتاج إلى تبيين وتفسير لا يمكن حلها إلا عن طريق رسل الله في المستقبل. لقد تخيّل المسلمون كأتباع سائر الديانات وقبّلوا معتقدات معينة كحقائق تتنافى مع التعاليم الواضحة في القرآن الكريم. نناقش الآن إثنين من تلك الأوهام التي يعتقد بها المسلمون:

- حين يتخذ الشخص قراره في اختيار الدين الذي يرغب في اعتناقه عليه الامتثال لآراء ومعتقدات رموز السلطة الدينية بدلاً من استخدام ما وهبه الله سبحانه وتعالى من مواهب عديدة للتفكير والتعمّن والتدبّر. وقد أشار هذا الكتاب مراراً لهذا الوهم والانخداع وبيّن وكشف منطق غير السليم.
- إن المسلمين يعتبرون الإسلام هو آخر الأديان—وهذا المفهوم هو في منتهى الخطورة وله عواقب جسيمة. فالآيات الكريمة التي اقتنّست تبين أن القرآن وهو موسوعة لمعرفة الروحانيات لم يظل صامتاً بشأن هذه المسألة. ولكن كما هو واضح وجلي فقد لجأ المسلمون إلى كل تدبير أو استراتيجية بارعة يمكن تصورها لإخفاء المعاني الحقيقية للقرآن الكريم وتغييرها. وتخيّلوا بأن الله بعد ارتقاء روح سيدنا محمد إلى الرفيق الأعلى قد بقى صامتاً وترك البشرية تقرر مصيرها بنفسها دون هداية إلهية.

من الذي قام بزرع بذرة الوهم والظن وهي أن كلمة خاتم تعني آخر ثم غداها وترعرعت في نفوس المسلمين. إنهم العلماء ورموز السلطة الدينية لأنهم بهذا الادعاء أعطوا مكانة مميزة لدين الإسلام أمام الأديان الأخرى. وبالطبع أعجب بهذه الفكرة أتباع الدين فانتشرت هذه العقيدة (أن محمداً هو خاتم النبيين) بدرجة كبيرة مما أدى إلى هدم كل شاهد يثبت عدم مصداقيتها. فتوقف الناس من التأمل والتفكير وإذا تجرأ أحد وطرح سؤالاً فلن يجد رداً ويطلب منه السكوت. لأن العلماء قد فسّروا الكلمة بأهوائهم فكيف يتجرأ المسلم أن يستخدم المنطق والعقل في فهم الآيات ويخالف كبار العلماء في هذا المعتقد؟

ولكن بتقدم التكنولوجيا في هذا العصر لم تعد هناك أي قيود تمنع تواصل الإنسان مع ما يدور من حوله. فبالإنترنت يمكن أن يصل إلى هيكل المعلومات دون قيد أو شرط. ولم يعد على المرء الخضوع للأجيال الماضية الذين قبلوا كل ما قيل لهم من قبل الشيوخ على المنبر. فأصبح يستطيع أن يبحث ويتأمل ويصل إلى الحقيقة بفكره والمنطق السليم.

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ.

سورة ٣٩، آية: ١٧-١٨

لكي ننهي هذا الفصل دعونا نقوم بطرح بعض الأسئلة:

- كيف تلبى دعوة رسول جديد نزلت عليه الآيات الإلهية في مجلدات عديدة بعظمة القرآن وجلاله؟
- كيف تستجيب لرسول عظيم كعظمة موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وتلبى دعوته؟ هل تنكره لأن العالم الديني—المجتهد أو الإمام أو الشيخ قال بأنه لا رسول بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم. لنقرأ العبارة التالية من الأستاذ محمد أسعد أحد أبرز فقهاء القرآن. فهو يصرح التالي:

[كان محمد] آخر الرسل تماماً كما يعين الختم نهاية الرسالة.<sup>٢</sup>

افترض الآن أنك قبلت هذه الفكرة التي جاء بها الأستاذ محمد أسعد ورفضت الرسول الجديد والذي أتى بكل الشواهد التي تدل على صدق دعوته وهو الكتاب كما كان حجة سيدنا محمد لقومه. ثم يأتي يوم الحساب فيسألك الله تعالى لماذا أنكرت الرسول الجديد ورفضت الحجج والعلامات التي دلت على عظمته كما ظهرت في الرسول محمد وباقي الرسل؟ هل ستكون إجابتك: كنت اعتقد بأن رؤساء الدين عرفوا الحقيقة وسوف يرشدونني إليها. وإذا قيل لك لماذا لم تسمع وتفكر كما أخبرك القرآن الكريم حتى لا تكون من أصحاب السعير—سورة الملك آية ١٠—وأن لا تعتمد على غيرك، فماذا ستكون إجابتك؟

فكر في هذه الآية وتأمل في من يأتي نبياً وتبين الحقيقة:

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ فَلَآ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ.

سورة ١١ آية: ١٧؛ انظر أيضاً سورة ٢٢، آية: ٨



## كيف تم تقسيم العالم بواسطة الدين ولماذا؟

يطلب منا القرآن مراراً أن نستخدم الدين كوسيلة للوحدة وبيدين الذين يستخدمونه لأغراض غير ذلك.

سورة ٢١، الآيات: ٩٣-٩٢ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ. وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ...**

سورة ٤٢، آية: ١٣ **أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...**

إن الهدف الرئيسي من الأديان هو استقرار المحبة والوحدة والاتحاد. لماذا إذاً انقسم العالم؟ إن الإيمان بالله يجب أن يؤدي إلى السلام والأخوة والسعادة، فلماذا يُنتج الحرب والعنف؟ إن السبب الجذري لتلك القوى السلبية هو التعصب، والذي يأتي غالباً جراء الافتقار للمعرفة والإدراك الصحيح. كيف استطاع التعصب أن يستولى على قلوب البشر ويستعبدها وكيف يمكن القضاء عليه؟ إن هذا الفصل يضم الأجزاء الرئيسية للتعصب الديني.

سورة ٣، آية: ١٠٥ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.**

سورة ٤٣، آية: ٦٥ **فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا...**

سورة ١٩، الآيات: ٣٧-٣٦ **وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ.**

سورة ٣٠، الآيات: ٣٢-٣١ **وَلَا تَكُونُوا... مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ.**

لكي نصل إلى غايتنا وهو استقرار الألفة والوداد بين أتباع الأديان علينا في البداية أن نزيل العوائق ومن ثم نمهّد الطريق وأخيراً نبني حضارة جديدة على أساس تعاون مطلق وغير مشروط بين جميع الشعوب والأديان والأعراق. إن العالم سوف يعيش في الظلام الروحاني حتى يدرك أتباع الأديان لماذا وكيف أصبحوا متفرقين. دعونا نسلط الضوء على الاستراتيجيات التي استخدمتها قوى التفرقة لتُحدث الاختلاف

فيما بيننا. وندرس كيف زرعو بذور التعصب والشعور بالترفع والتعالي على الآخرين في قلوب وعقول أفراد البشر على مر العصور وكيف انتقلت جينات تلك البذور من جيل إلى آخر. فعلينا إزالة التعصبات بجميع أنواعها، الدينية والعرقية والجنسية.

إن قوة الدين يجب أن تكون إيجابية تجمع الناس وتوحدهم في هذا العالم. ولكن نرى بأنها استُخدمت كوسيلة لإشعال الحروب ونشر العنف. كوني أحمل فكرة أنني أحسن من الآخرين سواء كان حق التسمية هذا دينياً أو عرقياً أو جنسياً أو لثراء أو لعضوية في حزب مرموز لا يجعلني أعاشر أو أصحاب الآخرين لكي أعيش مع أبناء جنسي بروح من الاحترام والمساواة والمحبة.

إن الشعور بالتفوق والخوف هو البذرة التي ينمو وينتشر منها كل أشكال التعصب. فبذرة التعصب لا تحتاج إلى أي مجهود لكي تنمو بل إنها كالتفيليات تحافظ على نفسها على حساب الآخرين. إن الإحساس الشائع لدى الأغلبية بأفضلية أنفسهم ليس هو الحقيقة المطلقة بالأفضلية بل هو شعور بدنو الآخرين. ويكمن هذا الوهم الشائع في جذور المعتقدات التي أدت إلى نشوب كثيرٍ من الحروب، والتي سببت الآلام والمحن للبشرية. وقد أدى الشعور بالترفع والاستعلاء إلى رفض وإنكار الرسل الإلهية.

لنرى كيف أحدثت وساند رؤساء الأديان لدى أتباعهم فكرة التفوق والتعالي على الآخرين وتجاهلهم. فمثلاً رؤساء الديانة اليهودية أكدوا فكرة أنهم شعب الله المختار. ألا يكون شرف الإنسان بقبوله النداء الإلهي والإيمان برسوله المختار؟ ألسنا أبناء العالم الإنساني وقد خَلَقْنَا إِلَهَ واحدٌ يحبنا جميعاً؟ قال عيسى عليه السلام: "هَكَذَا يَكُونُ الْآخِرُونَ أَوْلِيَيْنَ وَالْأَوَّلُونَ آخِرِينَ، لِأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ" (إنجيل متى، الفصل ٢٠، آية: ١٦). إن الروح الطاهرة التي تمشي بخضوع مع الله هي المختارة مهما كان جنسها أو دينها.

ويتفضل عيسى أيضاً: أو يكون الله إله اليهود وحدهم؟ أما هو إله الأمم أيضاً؟ إنجيل روما، الفصل ٣، آية: ٢٩

...إن الله لا يفضل أحداً على أحد، بل يقبل من يتقيه ويعمل الصلاح مهما كانت جنسيته.

أعمال الرسل، الفصل ١٠، الآيات: ٣٥-٣٤

كما لاحظنا أن العلماء المسلمين قاموا ببناء فكرة التفوق وتجاهل الآخرين ورفضهم وإيجاد الفرقة بالاستناد على كلمة واحدة. لقد اختاروا كلمة من القرآن الكريم ذات معانٍ متعددة وفسروها بطريقة تظهر أن رسالة سيدنا محمد كاملة و تامة وأن الله سبحانه وتعالى لن يرسل كتاباً آخر بعد القرآن أو رسولاً بعد محمد عليه السلام. وقد كان تفسيرهم لآيات القرآن مغايراً لتتابع الرسالات الإلهية.

أما العلماء المسيحيون فقد اتبعوا نفس المنهج ولكن بصورة أكثر تفصيلاً وإحكاماً. إحدى أوجه هذا المنهج هو اختيار وإشاعة ألقاب لعيسى عليه السلام وتجنب باقي الألقاب باستمرار. الألقاب المختارة هي: المخلص والمنقذ والرب وابن الله. والألقاب التي تجنبها هي: الرسول والنبي. إن العهد القديم والعهد الجديد (الإنجيل)، يشيرون إلى عيسى بأنه نبي كموسى عليهما السلام.

قال لي الرب... أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به.

سفر التثنية، الفصل ٢٨، الآيات: ١٧-١٨

وقد قال موسى: "سبيعت الله فيكم من بين إخوتكم نبياً مثلي... وجميع الأنبياء أيضاً أنبأوا بهذه الأيام."

أعمال الرسل، الفصل ٣، الآيات: ٢٢-٢٤

ما معنى أن يكون المرء مثل إنسان آخر؟ يتفضل حضرة موسى بأن الله سبيعت نبياً مثله. ولكن نجد أن بعض علماء المسيحيين يضعون عيسى في منزلة أعلى من موسى وبذلك يبررون تفوق المسيحيين على اليهود. وهناك من العلماء من يقارن موسى ببطرس أو بولس وبعضهم قد يضع موسى في مرتبة أعلى بقليل من هؤلاء. فإذا شَبَّهنا عيسى بالشمس فسوف يقولون أن مثل موسى كممثل مصباح كهربائي أو ثريا. فكيف يجوز لنا أن نقوم بهذا التشبيه والآية تبين أن الله سبحانه وتعالى سوف يبعث رسولاً مثل موسى عليه السلام.

إن عيسى عليه السلام لم يذكر بأنه أعلى مقاماً من موسى كما تُبَيَّن الآية التالية بل يرى أنه كموسى:

لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني. إنجيل يوحنا، الفصل ٥، آية: ٤٦

إذا كانت هناك صفات جليلة يَتميّز بها السيد المسيح فإنه حسب الآية السابقة قد تميّز بها أيضاً موسى عليه السلام. فمثلاً الصانع الذي يعرف كل خصائص الذهب فإن لديه المقدرة أن يميّزه متى ما وُجد أمامه. فلو كان عيسى عليه السلام ذهباً وقلنا بأن موسى (بلا تشبيه) نحاساً فالآية السابقة لا تعود مفاهيمها صحيحة. وحيث أن الله سبحانه وتعالى قد أقر بأنه لا فرق بين أحد من رسله (سورة ٢، آية ٢٨٥) فلن يبقى هناك مجال لسوء التقدير أو عذر لأي إنسان من أن يقلل من شأن الرسولين العظيمين (موسى وعيسى). كذلك أيد الله جميع الرسل بروح القدس فيبقى الفرق بين الرسل في مقدار الإفاضة من تلك الروح حسب مقتضيات العصر الذي يعيش فيه ذلك الرسول وقدرات قوم ذلك الزمان.

إن الكلمات عادة ما تصبح لها قوة وقدرة كبيرة وتكتسب معانٍ ومميزات خاصة فقط حسب استعمالها. وبعد فترة من الزمن تصبح المعاني المكتسبة للكلمات حقائق في حد ذاتها. فاكتملت الكلمات مثل المنقذ والمخلص مكانة فريدة واحتلت مرتبة ما فوق رسول ونبي. وكما جاء في قاموس الكتاب المقدس، "فإن الله قد عرّف نفسه في كتاب العهد القديم بأنه هو المخلص الوحيد لبني إسرائيل".<sup>١</sup>

التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأنني أنا الله وليس آخر. أشعيا، الفصل ٤٥، آية: ٢٢

و أنا الرب إلهك... ولا مخلص غيري. هوشع، الفصل ١٣، آية: ٤

ترجّى الله... خلاص وجهي وإلهي. سفر المزمير، الفصل ٤٢، آية: ٥

يا رب، صخرتي ووليّ. سفر المزمير، الفصل ١٩، آية: ١٤

ألم يكن عيسى عليه السلام هو الرسول الذي قام بنشر كلمة الله بين قومه؟ فمن الذي كان المخلص حين تحدّث عيسى؟ فلماذا لا يمكن إطلاق كلمة المنقذ على موسى أيضاً، فهو الذي أتى برسالة جديدة من عند الله

كعيسى تماماً؟ من هو المنقذ حين يتكلم عيسى؟ إنه الله: يتفضل عيسى قائلاً: "انا لا اقدر ان افعل من نفسي شيئاً" (يوحنا، الفصل ٥، آية: ٣٠).

لقد كان عيسى في عصره رسولاً كما توضح الآيات التالية:

ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلةً: "من هذا؟" فقالت الجموع: "هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل." إنجيل متى، الفصل ٢١، الآيات: ١١-١٠

فأخذ الجميع الخوف، ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم. إنجيل لوقا، الفصل ٧، آية: ١٦

يسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدرًا. إنجيل لوقا، الفصل ٢٤، آية: ١٩

إنني لم أجد (الكاتب) أي من القواميس التي قرأتها تذكر أن عيسى نبي الله، الأمثلة التي قُدمت عن النبي هي: إرميا وأشعيا وبولس ومحمد. وكذلك لم أجد كلمة نبي تأتي كمرادفة للكلمات، منقذ ومخلص. فموسوعة وبستر العالمي الجديد تذكر ٤٥ معنى مرادف للمسيح لا تذكر فيها كلمة نبي.

هل سمعت مرةً أحد علماء المسيحيين يلقب المسيح بأنه الرسول عيسى عليه السلام؟ وهل سمعته يقول بأن موسى هو المنقذ؟

إن قاموس الإنجيل لنلسون من تأليف علماء المسيحية يعرف النبي بأنه "الإنسان الذي يقوم بإيصال الرسالة الإلهية إلى شعب الله المختار شعب إسرائيل. فكما نلاحظ بأن علماء المسيحيين قد اختصوا كلمة نبي لأنبياء بني إسرائيل."<sup>٢</sup> ولم يرض علماء المسيحيين أيضاً بالألقاب التي اختصها الله سبحانه وتعالى لأنبيائه. لقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك. فادّعوا بأن المسيح هو الله. والقرآن الكريم يدين هذا الادعاء.

ولقد فضلوا السيد المسيح على سائر مؤسسي الأديان الأخرى مثل موسى ونوح وإبراهيم. وبهذه الاستراتيجية أشاروا إلى أن عصر النعمة الإلهية بدأ بالإنجيل ومن أراد هذه النعمة عليه أن يكون مسيحياً. واختصوا مغفرة الخطايا بعيسى كما لو أن المغفرة لم تكن موجودة من قبل. ألم ينقذ الله الأمة اليهودية بفضل نعمته؟ ألم يقل الله في سفر الخروج أنه مخلصهم؟ "الرب إله رحيم ورؤوف... كثير الاحسان... غافر الإثم والمعصية والخطيئة" (سفر الخروج، الفصل ٣٤، الآيات: ٧-٦).

إذا لم يُنقذ موسى الناس من الخطيئة فما الذي فعله إذن؟ هل كان الله أقل تسامحاً في زمن موسى؟ ألم يسمح لحواريي موسى أن يتقربوا إليه كما سمح لحواريي عيسى؟ فهل كان الله إذن أقل كرمًا في زمن موسى؟ فهل كان حب الله لليهود زمن موسى أقل من حبه لأولئك الذين عاشوا زمن عيسى وأمنوا به؟

إن الانحياز ضد الأديان الأخرى أصبح بدرجة من القوة بحيث نرى العديد من الكتاب المسيحيين البارزين لا يستثنون حتى الديانة اليهودية رغم كونها الركيزة التي تستند عليها المسيحية. تأمل في العبارة التالية من الدكتور بيلي جراهام أحد المبشرين البروتستانت في عصرنا الحاضر والتي اقتبسها من أحد المسيحيين البارزين وهو C.S. لويس للتعبير عن موقفه حول الديانات الأخرى غير المسيحية:



...إن جميع الديانات حقيقةً إما هي عرض مسبق للمسيحية أو انحراف عنه.<sup>٣</sup>

وكذلك تأمل فيما يقوله الدكتور جيمز كنيدي من العلماء المسيحيين المعروفين وديويد هانت الكاتب المسيحي المشهور:

إن تعاليم الديانات الأخرى هي معادية للتعاليم المسيحية في الأمور التي تستحق الاهتمام حقيقةً.<sup>٤</sup>

إن ادعاء المسيح: "أنا هو الطريق والحق والحياة ليس لأحد أن يأتي إلى الرب إلا بي" (إنجيل يوحنا، الفصل ١٤، آية: ٦)، رفضه جميع أتباع الأديان الأخرى على أنه ادعاء زيف وزور.<sup>٥</sup>

كذلك حين نأتي لليهود نرى بأنهم يرفضون السيد المسيح وحتى يرفضون مقارنة موسى بعبسى عليه السلام. وقد قام علماء المسيحيين باختيار الآية السابقة وهو أن المسيح هو الطريق إلى الرب وتكرارها في مواضع عدة لأنها تشير إلى عبسى وتمييزه عن سائر الرسل كما أن اختيار العلماء للآية لم يكن إلا لإثبات نظرية تفوق المسيحيين على سائر أتباع الأديان. بينما لا نجد ذكر الآية التي تشير أن موسى كالمسيح كما أوردناها سابقاً إلا قليلاً، مع أن كلنا الأيتين هي كلمات إلهية ولهما نفس الدرجة من الأهمية.

كما نعلم أن جميع الرسل الإلهية قد صرّحوا بأن طريقهم هو الصراط المستقيم. ونرى أن هؤلاء الرسل قد استخدموا عبارة "أنا هو الطريق" فلماذا لا يعترف علماء الأديان بهذه الحقيقة؟ هل رأيت أي نص لهذه العبارة في أي من الكتب المسيحية مثلاً؟ أليس يُضعف الاعتراف بهذه الحقيقة نظريات التفوق الوضعية:

سفر أشعيا، الفصل ٣٠، آية: ٢١

هذه هي الطريق. اسلكوا فيها.

زردشت

أنا الطريق والحق والنور.<sup>٦</sup>

إنجيل يوحنا، الفصل ١٤، آية: ٦

أنا هو الطريق والحق والحياة.

بودا

هذا الطريق فقط ولا يوجد غيره.

سورة ٤٣، آية: ٦١

وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

إن العلماء المسيحيين يستخدمون الآية التالية كوسيلة للتبشير بالدين:

لَأَنَّ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونَ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ.\*

إنجيل يوحنا، الفصل ٣، آية: ١٦

إن الآية السابقة تؤكد بأن من يؤمن بالسيد المسيح فسوف تكون له الحياة الأبدية. ولكن ماذا عن لقب عبسى وهو أنه ابن الله الوحيد كما جاء في الإنجيل وهذا السفر الجليل أيضاً يطلق على كل البشر لقب أبناء الله. ثم ما الذي يجعل عبسى هو ابن الله الوحيد؟ ولكن هنا نسأل ما الذي يهم أكثر أن يكون الإنسان ابن الله روحانياً أم جسمانياً؟ "الرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلَا يُفِيدُ شَيْئاً" (إنجيل يوحنا، الفصل ٦، آية ٦٣). وحيث أن روح الله لا يتعدد لذلك نستطيع أن نطلق على كل الأنبياء بأنهم أبناء الله.

\* إن العبارة السابقة على الأرجح كتبه يوحنا عن السيد المسيح، فتعبير "الإبن الوحيد" ليوحنا وليس لعبسى عليه السلام.

وكما جاء في يوحنا ٥ آية ١٨ بأن المسيح هو ابن الله، فإذا كان عظمة عيسى عليه السلام لأنه كان من غير أب فيمكن القول بأن آدم وحواء هما أعلى مقاماً لأنهما من غير أب ومن غير أم. ولكن هل هناك منزلة أعلى وأجل من أن: "المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" (سورة النساء، آية ١٧١)، وهذا اللقب (روح الله) منحه الرسول لعيسى ووهبه إياه وهو من أجل الألقاب وأعظمها.

أن الإنسان البشري لا يتقبل أمور روح الله إذ يعتبرها جهالة، ولا يستطيع أن يعرفها لأن تمييزها إنما يحتاج إلى حس روحي.

الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، الفصل ٢، آية: ١٤

مما أوردناه سابقاً تستطيع أن تلاحظ بأن الغرض الأساسي من المناقشة التي شاركناها معكم إنما أردنا منها أن ننقلكم من عالم المادة إلى العالم الروحاني ومن الصدف إلى اللؤلؤ ومن التقليد الموروث إلى روح الحقيقة، ومن آية واحدة منزلة إلى عالم المعرفة الإلهية وبدون ستر وحجاب. فإذا استطعتم أن تخرقوا الحجابات التي تغطي الكلمات فسوف تدخلون في المحيط العميق للمعاني المقصودة بما فيه من لنالي الحكمة والاسرار.

إن هذا التحول من التفسير لظاهر الكلمات إلى تبيين المعنى المقصود بدون ستر وحجاب جعل شأؤول المتعصب والذي صدّ أذنه عن سماع نداء الحق وحجب عينه عن رؤية الحقيقة أن يصبح القديس بولس الحواري العظيم لحضرة المسيح. هكذا يشرح أحد الكتاب المسيحيين كيفية حصول هذا التحول:

عندما استعاد شأؤول بصيرته لم يعد العالم حوله أبيضاً أو أسوداً. بل أصبح شأؤول المتعصب بولس الرسول. لم يجد التعصب بعدها طريقاً إلى قلبه وأصبحت البشرية كلها في نظره كما علمته تعاليم السيد المسيح أبناء جنس واحد. وأدرك واجبه العظيم تجاه حب إخوته من أبناء البشر.<sup>٧</sup>

القصة التالية تشرح وتوضح الفرق بين عالمي دين أحدهما متمسك بظاهر الكلمة والآخر بروحها ودلالاتها.

أتى راهبان إلى ضفاف نهر لأداء الحج. فوجدوا فتاة بكامل حليها وملابسها الفاتنة ويبدو أنها لم تكن تعلم كيف تعبر النهر دون أن يبتل ملابسها. قام أحد الراهبين دون أن يسبب أي إزعاج بحملها على ظهره وعبر بها النهر ووضعها على الجانب الآخر من ضفافه فوق الأرض اليابسة. ومن ثم واصل الراهبان طريقهما ولكن بعد مضي ساعة قام الراهب الآخر بالشكوى قائلاً لا أرى أنه كان جائزاً لك أن تلمس امرأة لأن الاتصال المباشر مع امرأة هو خلاف تعاليمنا فكيف يمكن لك أن تنتهك حرمة هذا الحكم وأنت راهب؟ مضى الراهب الذي كان قد حمل الفتاة صامتاً وفي نهاية المطاف أبدى رأيه قائلاً: "أما أنا لقد أنزلت الفتاة ووضعتها على الطرف الآخر للنهر منذ ساعة ولكن لماذا أنت تحمل ذكراها إلى الآن؟"<sup>٨</sup>

فالتمسك بظاهر الكلمة لا يجلب الاحساس بالتفوق واجتناب الآخر فحسب، بل يؤدي في النهاية إلى رفض الرسول الجديد وذلك بسبب البعد عن المعنى المقصود. ومن هنا نرى مدى نجاح علماء الدين في التأثير على الناس لكي يلتفتوا إلى المعاني الظاهرية المختلفة ويتجاهلوا التشابه في معاني الآيات من حيث دلالاتها. وقد

نجحوا بهذه الطريقة أن يزرعوا في قلوب أتباع الدين حس التفوق والتميز على الآخرين، نظراً لأن هؤلاء الأتباع ميالون للخوف من المجهول والدخيل أو الغريب بحكم الغريزة.

إن أكثر الطرق شيوعاً لبناء روح التفوق ونفي الآخرين هو رفض و تجاهل كل ما لا يمكن أن يتناسب ويتوافق مع الاعتقاد السائد. فكما ذكر سابقاً قام علماء الدين المسلمين ببناء إعتقادٍ محكم أدى إلى الجزم بختمية الرسالة المحمدية وكمال الأمة وخيرها في كل أمور دينها ودنياها، وذلك بالتمسك بكلمة واحدة وهي (خاتم). ومدارس الشريعة مبنية على حروف وكلمات معينة أكثر من أن تكون على أساس روح وحقيقة الكتاب والكلمات الإلهية. قد تكون للكلمة القدرة على تفرقة ملة بكاملها أو حتى شعوب العالم. وقد تسبب في قتل الملايين في الحروب الدينية. جاء في الرسالة الثانية إلى مؤمني كورنثوس، الفصل ٣، آية: ٦ "...فالحرفُ يؤدي إلى الموت؛ أما الروح فيعطي الحياة."

إن الرغبة في إثبات أفضلية واستعلاء أمة على غيرها أو مذهب على آخر أدى إلى تجاهل دور العقل وأثره في الدين. فكثيراً ما نسمع أنه علينا أن نقبل المسيح بالإيمان وقلما نسمع بأنه علينا أن نقبله بالعقل. وبهذه الطريقة ينجح العلماء فيما يرغبون أن يؤمن به الناس أو يعتقدون به.

إن الاعتقاد الذي أدى إلى إنكار كل رسول بُعث من عند الله كان مدعوماً بنفس الاستراتيجية ألا وهو: إختيار وإعادة فقرات معينة من الكتب المنزلة وتجاهل بقية الفقرات وهي الفقرات التي تناقض التقديرات والرؤى التقليدية الموروثة. إسمحوا لي أن أسألكم كم مرة سمعتم من العلماء المسيحيين أن السيد المسيح سيأتي كاللص كما هو مذكور في الإنجيل؟ أنا شخصياً (الكاتب) لم أسمع به قط. لنتساءل لماذا لم نسمع بذلك؟ لماذا تجاهل علماء المسيحية هذه النبوءة؟ هل هذه النبوءة أقل دقة أو شأناً من تلك التي تشير إلى مجيء المسيح من السماء؟ لقد جاء في الرسالة الأولى إلى مؤمني تسالونيكى، الفصل ٥، آية: ٢: "لأنكم تعلمون يقيناً أن يوم الرب سيأتي كما يأتي اللص في الليل." ونتيجة لتجاهل بعض الآيات والتأكيد على آيات أخرى بغرض الرفع من شأن أمة على أخرى وإيجاد التفرقة وتجاهل الآخر أدى ذلك إلى خلق التعصب بين أتباع الأديان وانقسم العالم نتيجة لذلك، بينما نرى أن القرآن والإنجيل يدعوان إلى وحدة الأديان كما قال تعالى في القرآن الكريم:

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ... وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

سورة ٣، آية: ٨٤

ماذا تعلمنا الآية السابقة؟ إن الله لا يفرق بين أحد من رسله وإن حقيقة الأديان كلها واحدة. لأنها من عند الله وكلها تؤكد على الامتثال والخضوع لمشينة الله. مرةً كان يُطلق على المؤمنين بأنهم اليهود، وفي زمن آخر كان المؤمنون مسيحيين ثم لاحقاً مسلمين. وإذا أتى رسولٌ آخر يُطلق على أتباعه المؤمنين المخلصين بأنهم مسلمون حتى لو لم يحملوا ذلك اللقب كما جاء في صريح الآية من سورة القصص، الآيات ٥٣-٥٢. يتفضل بقوله تعالى:

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ.

سورة ٣، الآيات: ٥٣-٥٢

لم يكن إبراهيم فقط مسلماً حنيفاً ولكن جميع المؤمنين المخلصين في كل العصور السابقة والآتية هم مسلمون. إن أساس الوحدة هي من مبادئ آيات القرآن الكريم. وهذا الأساس لا يمكن أن يأتي به إلا الله سبحانه وتعالى. الآية التالية تبين أن جوهر الدين هو الخضوع لمشئته الله:

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ... فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنَ... سورة ٣، الآيات: ٢٠-١٩

إن المسيحي الصادق في إيمانه يقر ويعترف برسالة سيدنا محمد وكذلك اليهودي المؤمن بسيدنا موسى حقاً يستطيع أن يرى المنشأ الإلهي لرسالتنا سيدنا عيسى ومحمد. من يعرف الشمس يستطيع أن يراها حتى لو أشرق من الغرب أو الجنوب. فإذا لم يعترف المؤمنون بأي دين ولم يصدقوا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فبالأحرى أنهم لم يعرفوا حقيقة دينهم ولم يقرؤا به.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ.

سورة ٢٨، الآيات: ٥٣-٥٢

فَلَوْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ... فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

إنجيل يوحنا، الفصل ٥، آية: ٤٦

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا الشُّرُوعَ وَالْإِنجِيلَ.

سورة ٥، آية: ٦٨

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

سورة ٣، آية: ٨٥

إذا قبلنا وصدقنا التعاليم الواضحة في القرآن الكريم وهي أن "لكل أمة أجل" و "لكل أجل كتاب" فإننا نستطيع وبكل سهولة أن ندرك معنى الآية السابقة. وحيث أن لكل أمة أجل فإن الإسلام قد جاء لفترة محددة من الزمن. وكل من سمع برسالة الإسلام فتقع عليه مسؤولية التحقيق والتصديق به. والمسيح عليه السلام أيضاً قد صرح بأية مماثلة والمسيحيون يستشهدون بكلمته ليُظهروا أن الإيمان بعيسى عليه السلام هو الملاذ الوحيد لخلاص الإنسان.

لَا يَأْتِي أَحَدٌ إِلَىٰ أَبِي إِبْرَاهِيمَ... كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا.

إنجيل يوحنا، الفصل ١٤، آية: ٦

إن الدليل الأكثر إقناعاً بأن أصل ومصدر القرآن الكريم إلهي هو محتواه ولغته. فهذا السفر الكريم الذي أنزل على إنسان عادي وتاجر لم يدخل المدارس ولم يتعلم بل نشأ بين أمة من ثقافة أكثرها بداءة—كان هداية بشرية عاشت ألف سنة ونيف وعالج القضايا الأكثر عمقاً بشأن الحياة البشرية. وهو الكتاب الذي كان بمثابة ميثاق أو دستور لملايين المؤمنين منذ قرون. ونرى أنه يؤكد مراراً على وحدانية الأديان ويدل على أن كلمة الإسلام لا تشير إلى دين محدد ولكن إلى كل الأديان. بل إن كل الرسل الإلهية هم مسلمون.

إِبْرَاهِيمُ... كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا.

سورة ٣، آية: ٦٧

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا. سورة ٤، آية: ١٢٥

ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ. سورة ١٦، آية: ١٢٣

إذا نحن من نقوم بوضع حدود التفرقة بين الأديان ونسعى لجلب التفوق والأفضلية لأمتنا وديننا، بينما في نظر الله جميع الأديان حقيقتها واحدة والمؤمنون المخلصون لدينهم يتبعون حقيقة الأديان.

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ. سورة ٢١، آية: ٩٢

وهكذا إذا كان إبراهيم مسلماً فأى رسول يأتي بعد النبي محمد سيكون مسلماً أيضاً. ويستطيع أن يدَّعي بأنه أول الرسل الذي بُعث من قبل الله وآخر الرسل. ولا عجب أن يصرِّح السيد المسيح بأنه هو الأول والآخر.

أنا الألف والياء، البداية والنهاية. سفر الرؤيا، الفصل ٢١، آية: ٦

إن زعماء الدين الذين يتسببون في الخلاف والشقاق هم الذين يستطيعون بفضل قدراتهم الخيالية الواسعة أن يخلقوا الحجابات والسحب الكثيفة ليمنعوا أتباع الأديان من معرفة الرسل الموعودين بهم. هذه السحب تمنع المؤمنين الصادقين من رؤية صورة رسولهم في المرآة التي تعكس صور مؤسسي الأديان العظيمة الأخرى. لأن سحب الأوهام تمنع ضوء المعرفة من الوصول إلى القلوب والعقول.

إن مبدأ "الوحدة في التنوع" يسود الكون بأكمله. فجميع الرسل الإلهية مؤيدون بروح القدس وهم في ذلك سواء. ووجه الاختلاف فيما بينهم يكمن في شدة وقوة ظهور رسالتهم حسب الزمن الذي يظهر فيه الرسول ومدى قابلية الناس لسماح الكلمة الإلهية. ويمكن فهم الفرق بين الرسائل الإلهية العظيمة بالمثل الآتي: إن أشعة الشمس تصل إلينا بدرجات متفاوتة من القوة والشدة من الشروق إلى الظهيرة أو بين الشتاء والصيف. وبالرغم أن إحساسنا بحرارة الشمس يختلف حسب الأوقات المتباينة، إلا أن الشمس يظل بذاته وحرارته. فإحساسنا المتبدل ليس له أي تأثير على الشمس ولا يغير شيئاً من خصائصها.

أنا هو أنا الأول أنا الآخر. سفر أشعيا، الإصحاح ٤٨، آية: ١٢

أنا الألف والياء، هذا يقوله الرب الإله الكائن والذي كان والذي سيأتي، القدير على كل شيء.

سفر الرؤيا، الفصل ١، آية: ٨

أنا الألف والياء، البداية والنهاية. سفر الرؤيا، الفصل ٢١، آية: ٦

لا يوجد مخلص غيري... مترجم سفر أشعيا، الإصحاح ٤٣، آية: ١١

ومما تقدم من الآيات السابقة نستطيع أن نطلق على الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بأنه أول وآخر الرسل الإلهية. لأن حقيقتهم جميعاً واحدة. وكذلك ينطبق هذا القول على الرسل الذين سيأتون بعده. فإذا تفضل سيدنا محمد بأنه هو آخر الرسل الذي بُعث من قبل الله تعالى فهذا لا يدل بأن باب إرسال الرسل قد غُلق من

عند الله. إن السيد المسيح هو موسى ومحمد، والرسول محمد وسيدنا موسى هما عيسى عليه السلام. فإنهم روحاً واحدة تتحدث من نفوس مقدسة عديدة في أوقات مختلفة من التاريخ.

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا... وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...  
سورة ٤٢، آية: ١٣

وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَجُلًا مِمَّنْ بَيْنَكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ.  
سورة ٤٣، الآيات: ٦٥-٦٣

## الحياة فتنة وامتحان

لماذا خلقنا الله؟

- السورة ٦٧، آية: ٢      الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...
- السورة ٢٩، آية: ٢      أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ.

إن دورنا في هذا العالم هو كدور قبطان سفينة بحرية، فلدينا خياران:

- إما أن نتخلى عن دورنا ونعطي الرياح فرصة لكي تقودنا في اتجاهات عشوائية دون هدف واتجاه.
- أو أن نأخذ بعين الاعتبار مسؤوليتنا عن مصيرنا الروحاني بتحكيم العقل.

فإن الأخذ بالمسؤولية الخطيرة لمصيرنا والذي يحدد مسار حياتنا أو ترك مرحلة قدرنا بقرار الآخرين كالوالدين أو زعماء الدين أو الأقارب والأصدقاء إنما هو الامتحان الجوهري في حياتنا.

فحين يواجه المرء الامتحانات فإنه يقع في عقبة حرية الاختيار. ولهذا الكتاب غرضان:

- غرضه الأول وقبل كل شيء هو تشجيعك لكي تصغي للنداء الإلهي وتفكر في الدعوة التي أتى بها الرسول الجديد فيذكرك بالآية التالية:

السورة ٤٩، آية: ٦      يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...

- أما الغرض الثاني فهو مساعدتك لكي تدرك بأن الفرق بين الرسول الصادق الأمين ومن يكذب على الله كبير جداً بدرجة يستطيع المؤمن الذي يملك عقلاً حصيماً وقلباً طاهراً نورانياً أن يميز التفاوت بينهما. كما يعلمنا القرآن الكريم:

السورة ٢٤، آية: ٣٥      اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...

أليست الكلمة الإلهية هي مرآة للنور الإلهي؟ وماذا عن كلام الكاذب والشخص المخادع المضلل؟ هل يوجد أي نور في ذاته أوفيمًا يقوله؟ بالطبع لا، إن ذلك الشخص لا يكون سوى الظلام المطلق. ولذلك إذا لم يكن

بمقدور الإنسان معرفة الفرق بين النور والظلام، أو بين النهار والليل، فبالطبع لن يقدر أن يفرّق بين ما هو إلهي ورباني و ما هو ضلال مبين.

ماذا قد يحدث إذا ختمت على قلبك لسماع أنباء مجيء الرسول الجديد؟ إنك بهذه الطريقة سوف ترفض النور الإلهي دون أن تدركه. فبختمك على قلبك وعقلك للنبي العظيم تكون قد ختمت على حريتك لاختيار قدرك الأبدي. كما جاء في الآية التالية:

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ. سورة ٢١، آية: ٣٥

تفكّر في معنى هذه الآيات:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ. سورة ٥٦، آية: ٨٠-٧٧

طوبى لأطهار القلوب فاتهم يشاهدون الله. إنجيل متى، الفصل ٥، آية: ٨

كما يصرح القرآن الكريم إن الأتقياء هم الذين يصلون إلى أسرار الآيات الإلهية. بينما نرى أن الفقهاء وزعماء الدين والعلماء هم أقل الناس قدرة للوصول إلى الأسرار الإلهية الكامنة في الآيات لأن العلوم المكتسبة تسيطر بل وتهيمن على عقولهم حتى أصبحت تلك المعارف حقيقة مطلقة لا يمكن قبول غيرها.

تَبَارَكَ... الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا. سورة ٦٧، آية: ٢-١



## حوار بين زعماء الدين وأتباعهم

ماذا يأمل الله سبحانه وتعالى وينتظر من هؤلاء الذين هم في مراكز إجتماعية مرموقة أو ذوي نفوذ وقدره؟ هل هم محاسبون كغيرهم أم إنهم أكثر حساباً؟ إن هذه هي إحدى قوانين العدالة: يحاسبنا الله بناءً على قدراتنا وفرصنا.

وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...

سورة ٢٣، آية: ٦٢

فكل من أعطي كثيراً يُطلب منه كثير و من يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر. إنجيل لوقا، الإصحاح ١٢، آية: ٤٨

إن القرآن والإنجيل فضلاً عن كتب التاريخ تشهد جميعها بأن أولئك الذين حازوا على مراكز ونفوذ عالية خاصة زعماء الدين كانوا أول من أنكر الرسول الجديد وعذبه. هل القادة في هذا العصر—العلمانيين منهم أم قادة الدين—مختلفون عن أولئك الذين عاشوا في العصور الماضية؟ هل ستختلف معالجتهم للأمور الدينية؟ هل هناك أي سبب للاعتقاد بأن الناس تتغير من عصر إلى آخر وأنهم في الوقت الحاضر في هذا العصر هم أكثر ودًا ورحمة؟ إن التحذيرات الشديدة الموجهة في القرآن الكريم لأصحاب السلطة تشير إلى أن الناس على حد سواء أي أن الزعماء أو أتباعهم سوف يتصرفون مرة أخرى مثل أسلافهم تماماً.

والزعماء هم إما منصفون أو ممن يتبع أهواءه وميوله الشخصية. وبغض النظر عن الدين الذي يعتنقه فالقرآن يذكّرهم ويحذّرهم بصفة خاصة من العقوبة الشديدة التي سوف تحل بهم إذا قاموا بخداع أتباعهم وضلوهم عن سواء السبيل.

لقد أشار القرآن الكريم عدة مرات إلى الحوار بين أصحاب السلطة والقوة وبين عامة الناس الذين يتطلعون إلى قاداتهم كمرشديهم الروحيين. فالآيات تمثل تحذيراً لهؤلاء الزعماء وأتباعهم. ويدور الحوار بين الفريقين في الحياة الآخرة وعادة ما يكون بهذا الأسلوب: يلوم أتباع الدين شيوخهم الذين وضعوا جُلَّ ثقتهم فيهم لأنهم أضلوهم وخدعواهم. ويرد عليهم رؤساء الدين بطريقتين:

- نحن أيضاً مبتلون . ماذا عسانا نفعل؟ إننا عاجزون عن مساعدة أنفسنا.
- كان يجب أن لا تستمعوا إلينا. إن ما جرى لكم هو نتيجة ضعف في نفوسكم مما دعاكم أن تستمعوا لنا ولم تحكّموا عقولكم.

يمكن أن نعزوا إنكار الحقيقة في جميع العصور إلى شيء واحد:

- إن الأغنياء ومن لهم السلطة والقوة مغتبطون ومرتاحو البال براحتهم وسهولة حياتهم.
- إن عامة الناس—الفقراء والطبقة المتوسطة—ليس لديهم الثقة الكافية لكي يفكروا بأنهم قادرون أن يعرفوا الفرق بين ما هو من عند الله أو ما هو تضليلي. علاوة على ذلك فإن البحث عن الحقيقة بالتفكر والتأمل يحتاج إلى جهدٍ وهمّة. وبالطبع سيكون من الأسهل عليهم أن يتركوا هذا الأمر لمن لهم السلطة والنفوذ لكي يقرروا لهم ما ينبغي عليهم أن يعتقدوا به.
- لم يكن الرسل الإلهية مرحبين بهم من قبل الناس ولم تكن أمتهم مستعدة للإصغاء إليهم بل على قلوبهم أقفالها.
- لقد ذكر القرآن الكريم مراراً أن الجحيم هو مأوى أولئك الذين ينكرون ويرفضون الرسل الإلهية. لتأمل الآن الآيات القرآنية وتندبر حواراً بين عامة الناس وزعماء دينهم حين ينتقلون إلى العالم الآخر ويواجهون العذاب الأبدى:

يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ. وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا.

سورة ٣٤، آية: ٣١-٣٣

• يقول أتباع الدين لزعمائهم:	لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ.
• يرد عليهم الزعماء:	أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ.
• فيرد عليهم أتباع الدين:	بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا.

فيواصل القرآن هكذا:

وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

سورة ٣٤، آية: ٣٣

ومن ثم ينهي بهذه الآية:

سورة ٣٤، آية ٣٤

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ.

إن سورة الصافات والآيات من ٢٧-٣٩ تعطي حواراً مماثلاً يدور بين أتباع الدين وزعمائهم وهم يواجهون العقاب في الجحيم. وهناك حوار آخر في سورة غافر والآيات من ٤٧-٥٢ حيث يحذّر الله في هذه السورة

كلا الفريقين ويصرِّح سبحانه وتعالى بأنه لا ينفع الكافرون ما يقدمونه من عذر (لتكذيبهم رسل الله، التفسير الميسر في المصحف الرقمي).

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ. سورة ٤٠، آية: ٥٢

إن أولئك الذين أضلُّوا سوف يشعرون بالغضب تجاه الذين أضلوهم بعد رحيلهم من دار الفناء، سواء كان هؤلاء قادتهم الروحيين أي قدوتهم من رجال الدين أم عامة الناس. كما جاء في الآية التالية:

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الدِّينَ أَضْلًا نَا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ. سورة ٤١، آية: ٢٩

مرة أخرى نرى أن سورة الزخرف والآيات من ٢٢-٢٥، تدين المؤمنين الذين يتبعون آباءهم متابعي عمياء والذين يرفضون رسل الله المنذرين ويعجزون عن تغيير ما ألفوا عليه.

إن التحذيرات التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ينبغي أن يتنبه إليها جميع المؤمنين، المسلمون منهم والمسيحيون واليهود فيندبرون الآيات التي تضرب الأمثال وقصص الأمم الماضية كما جاء في القرآن "العلم يتفكرون" وكذلك عليهم أن يتفكروا فيما يعتقد غالبية الناس. فالجميع مسؤول أمام الله بأن يستخدم عقله ليفكر ويحكم إستناداً على أدلة وشواهد بعيدة عن التعصب والتقليد الموروث.



## الملحقات



## الملحق ١

### لمحة سريعة ثانية لمعنى كلمة "أمة"

سورة ٢٣، آية: ٤٣

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ.

نظراً لأهمية موضوع خاتم النبيين والذي كان السبب لرفض أي نقاش أو تأمل في حقيقة المعنى المقصود بتلك العبارة، فإننا سوف نواصل دراستنا لهذا الموضوع لنرى هل يمكن أن يساند بحثنا إدعاءات ختم النبوة والتي تعتمد على التقاليد المأخوذة بشأنها.

لماذا يكرر القرآن الكريم موت أو أجل كل أمة مرات عديدة. ما أهمية هذه الرسالة التي يوجهها الله سبحانه وتعالى؟ هل هذه الآيات تشير إلى موت كل أمة أم الموت الروحاني لأتباع كل دين في زمن معين؟ هل تشير إلى اختفاء أمم ومجتمعات علمانية أم إلى انتهاء دورة حياة الأديان السابقة أي انتهاء عصرها نتيجة بزوغ فجر دين جديد؟ أي من المعاني هي أقرب للواقع؟

لنقارن العالم المادي بالروحاني. ألا تشرق الشمس فجر كل يوم وفي ساعة محددة لتوقظ النائمين وتبشرهم بقدوم يوم جديد؟ وبنفس الطريقة عندما يحل الظلام الروحاني على أهل العالم يرسل الله نوره أي ضياء المعرفة لكي يوقظ النائمين. فبدون ذلك النور سوف نعيش في الظلام ونكون ميتين روحانياً. كيف كانت الحالة الروحانية لليهود في زمن السيد المسيح؟ ولماذا أتى عيسى عليه السلام؟ ألم يسمى غير المؤمنين أمواتاً؟

وقال له آخر من التلاميذ: "يا رب، إيدن لي أن أمضي أولاً فأدفن أبي." فقال له يسوع: "إتبغني ودع الموتى يدفنون موتاهم."

إنجيل متى، الفصل ٨، الآيات: ٢٢-٢١

لماذا أرسل الله سبحانه وتعالى السيد المسيح؟

إنجيل يوحنا، الفصل ١٠، آية: ١٠

و أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة و ليكون لهم فياضة.

الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي و يؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية و لا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة.

إنجيل يوحنا، الفصل ٥، آية: ٢٤

فلماذا إذاً أرسل الله عيسى عليه السلام؟ لأن حياتنا الروحانية مرهونة برسول الله وتعتمد عليهم، مثلما تعتمد حياتنا الجسمانية على الشمس.

لأني أنا حي فأنتم ستحيون.

إنجيل يوحنا، الفصل ١٤، آية: ١٩

من آمن بي و لو مات فسيحيا.

إنجيل يوحنا، الفصل ١١، آية: ٢٥

الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد.

إنجيل يوحنا، الفصل ٨، آية: ٥١

أنظر أيضاً، إنجيل يوحنا، الفصل ٦، الآيات: ٣٣، ٥١-٤٧

وبالمثل ألم يكن اليهود والمسيحيون والوثنيون أمواتاً روحانيين حين بُعث سيدنا محمد؟

...وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ...

سورة ٢، آية: ٢٨

حين يعلن رسل الله عن رسالتهم ويُبعثون في الساعة التي حددها سبحانه وتعالى، يتحتم على الناس الاستجابة إلى دعوتهم، عدا ذلك سوف يُحرّمون من نعمة الله وفضله ويُعدّون من الأموات بسبب عدم إيمانهم. ولهذا السبب يحذرنا الله ويكرر:

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ...

سورة ٧، آية: ٣٤

هل يمكن أن يدعي اليهود بأنهم مستثنون عن هذه القاعدة؟ ماذا عن المسيحيين والمسلمين إذاً؟ بالطبع لا يمكن لهم هذا الادعاء، لأن القرآن لم يستثن أي أمة من أن يكون لها أجل مسمى.

تأمل الآية التالية:

كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ.

سورة ٢٣، آية: ٤٤

أولاً: ما هي الحالة الروحانية لأولئك الذين ينكرون رسولهم الذي يبعثه الله لهم؟ هل هم ميتون روحانياً أم أحياء؟ ثانياً: إذا أنكرت أي أمة دون استثناء رسولها، لماذا يكون المسلمون مستثنين عن هذه السنة الإلهية؟ هل هناك أي مبرر للاعتقاد بأن المسلمين سوف يتصرفون بصورة متباينة ومختلفة؟

ألم تجد الأمم السابقة مبرراً لكي تنكر وترفض رسولها الذي وُعدت به؟ ألا يتوقع اليهود مجيء السيد المسيح كمليك قوي؟ ألا يتوقع المسيحيون أن ينزل مُخلّصهم من السماء؟ أليس من المعقول أن نتصور بأن المسلمين على غرار جميع الأمم السابقة سوف تبحث عن سبب لتبرير رفضها للرسول الذي وُعدت به؟ أليس من المعقول أن نعتقد بأن المسلمين يتبعون "سنة" أتباع الديانات السابقة ويحدّون حدوهم؟ ألا يبحث المسلمون



أيضاً في القرآن الكريم عن كلمة تعطّيهم المبرر لكي ينكروا ويرفضوا وحتى يقوموا بإيذاء وإلحاق الظلم بمن سيأتي ليدلهم إلى الدين القيم، ذلك الدين الذي جاء وعده مراراً وتكراراً؟

ما هي الكلمة التي يمكن أن تكون ذريعة لتبرير رفض المسلمين للرسول الجديد غير كلمة "خاتم"؟ ألم تكتسب تلك الكلمة اليتيمة في القرآن الكريم قوى هائلة؟ ألم تخف تلك الكلمة كثيراً من النبوءات التي تتعارض مع المعنى الذي قدمه المفسرون الراغبون بالاعتقاد بأن دينهم يسمو فوق الديانات الأخرى ويتميز بمنزلة خاصة؟ أليست هذه هي سنة زعماء الدين المتبعة في جميع الأديان والتي مازالوا يسيرونها عليها؟

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا وَذِرَاعًا ذِرَاعًا حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جَرَّ ضَبِّ لَتَبَعْتُمُوهُمْ . قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فَمَنْ؟

والآن لنتأمل ونرى كيف هي الحالة الروحانية لعالمنا اليوم؟ هل يعيش حياة روحانية تنبض بروح الحيوان ويعم السلام والمحبة أرجاء المعمورة؟ ألا يُقتل يومياً مئات المسلمين ويتعرض آخرون للتعذيب من قبل مسلمين آخرين؟ هل الرسول صلى الله عليه وسلم حارب أو قاتل أتباعه يوماً ما؟ هل قتل أو جرح مسلماً واحداً؟

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا.

سورة ٤، آية: ٩٣؛ أنظر أيضاً: سورة ٥، آية: ٣٣-٣٢

أليس ما يجري في العالم الإسلامي هو إتمام وتحقق للنبوءة التالية من القرآن الكريم:

وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا.

سورة ٢٥، آية: ٣٠

ألم يحن الوقت لمجيء رسول من عند الله لإحلال السلام بين الدول المتحاربة؟ أليس الوقت مؤات لظهور رسول يأتي بحياة ملؤها السعادة والسلام لأتباع جميع الديانات؟ ألم تأت الساعة التي يجب أن يظهر فيها رسول يُحيي الأديان السابقة؟ هل يمكن لإلهنا الرحمن الرحيم أن يشاهد معاناة البشرية ويظل صامتاً لعصور عديدة؟ هل يلغي أو ينسخ سنته بإرسال رسول جديد وكتاب جديد في كل عصر؟

لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ.

سورة ١٣، آية: ٣٨

سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا.

سورة ١٧، آية: ٧٧



## الملحق ٢

### مؤمنون يتبیتون المقصود وآخرون يتبعون الظاهر

يمكن تقسيم المؤمنين حسب تأملهم لآيات القرآن الكريم وفهمهم لها إلى من هم يأخذ بظاهر الآيات وإلى من يتفكر ويتدبر المقصود من معانيها. فمن يأخذ بظاهر الآيات لا يرى إلا المعاني الظاهرية لها، أما من يهمله المقصود من الكلمة فهو يبحث ويكتشف الجواهر الموجودة في النصوص الإلهية. ولتوضيح هذه الفكرة دعونا نتأمل هاتين الآيتين:

أَفَعَبَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا... وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ

سورة ٣، آية: ٨٥-٨٣

كيف يمكن للمفكرين الذين يرون الظاهر أن يفسروا الآية السابقة؟ على الأرجح يقولون بأنهم سوف يغلطون الباب أمام أي رسالة جديدة أو أي رسول سيُبعث في المستقبل. فهل هناك ما يبرر توصلهم إلى هذا الافتراض؟ لنفكر قليلاً في الرسل الذين جاؤوا قبل سيدنا محمد. ألم يكن بمقدورهم جميعاً أن يذكروا نفس البيان—من يبتغ غير الإسلام ديناً—؟ هل كانت ديانة أخرى غير اليهودية مسلمةً بصحتها في دورة رسالة سيدنا موسى؟ أو هل كانت توجد ديانة أخرى غير المسيحية مسلمةً بصحتها في زمن الرسالة المسيحية؟ ألم يقل عيسى عليه السلام: "لا يأتي أحدٌ إلى الأب إلا بي" (يوحنا، الإصحاح ١٤، آية ٦). ألا يمكن للرسول التالي أن يكرر نفس الرسالة والخطاب؟

ألا يمكن أن يكون الإسلام في المنظور الإلهي هو أول الأديان وآخرها من الأول الذي لا أول له وإلى الأبد.

قارن كلاً من الأديان السابقة بفصل في المجلد الأول من موسوعة المعرفة. إعتبر أن الإسلام هو الفصل الأخير في هذا المجلد الأول. وحيث أن محمداً هو "خاتم الأنبياء" فقد صدق على جميع الفصول التي سبقت المجلد الأول أو بمعنى آخر صدق لما بين يديه من الكتب. والقرآن كان الفصل الأخير في ذلك المجلد الأول. ألا يستطيع الله سبحانه وتعالى أن يبدأ مجلداً آخرًا بفصل جديد؟ ألم يصرح سبحانه بأن:

## لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ.

سورة ١٣، آية: ٣٨

هل توقف التاريخ عام ٢٦٠م أي عشر سنوات قبل الهجرة عندما بُعث سيدنا محمد ليعلم بزوغ فجر جديد على البشرية؟ ألا يمكن أن يكون هناك عصور وأدوار في المستقبل؟ ألم ندخل الآن عصراً جديداً في الحضارة الإنسانية؟ ألم يتغير العالم في القرنين الماضيين أكثر مما تغير منذ فجر التاريخ؟ هل يمكن لأي شخص أن يدعي بأن الله لا يستطيع أن يبدأ دورة جديدة من التواصل مع البشر في هذا العصر الجديد من التغيير السريع عندما تحول العالم فجأة إلى قرية صغيرة؟ وهل يمكن لأي شخص أيضاً أن يدعي بأن الله لا يستطيع أن يرسل كتاباً جديداً ورسولاً جديداً كي يأتينا بكنوز من المعرفة؟ وهل يمكن لأي شخص أيضاً أن يدعي بأن خالقنا سوف لن ينزل كتاباً آخرًا ولن يبدأ مجلداً جديداً بفصلٍ جديد؟ ألا يمكن أن تسمى المجلدات السابقة والآتية: "الإسلام" أي الموسوعة التي تتدرج وتتعاقد فيها المعرفة الروحانية؟ أليس الإسلام هو—الإستسلام لله بالطاعة—أي دين الله الأبدي؟

بما أن الله يطلب منا أن نفكر بالمنطق ونتدبر، إذاً دعونا نرى لماذا يجب أن يكون لكل عصر ولكل رسالة سماوية كتاب.

- أولاً، إن الناس بحاجة للتذكير بين الفينة والأخرى بأن الله سبحانه وتعالى مهتم بشؤونهم ويتدبر أمرهم.
- ثانياً، عند بزوغ عصر جديد فإن العالم يتغير، وبالتالي فإن القوانين التي تحكم الناس الذين يعيشون في تلك الحقبة يجب أن تتغير أيضاً.
- ثالثاً، إن التغيير والنمو هو علامة الكمال في تطور البشرية وطبيعة الخليقة. وإن ظهور كتاب جديد في كل عصر إنما هو إستجابة للاحتياجات المتغيرة لكل زمن؛ إنها السنة الإلهية التي لن تُلغى. فهل هناك آيات أكثر دلالة من الآيات التالية لتصرّح بذلك:

## لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ.

سورة ١٣، آية: ٣٨

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا.

سورة ٤٨، آية: ٢٣

سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا.

سورة ١٧، آية: ٧٧

لماذا يستخدم القرآن كلمة الإسلام وينسبها إلى الديانات التي سبقته؟ ألا يقصد الله سبحانه وتعالى أن يوسّع رؤيتنا لمعنى هذه الكلمة؟ لكي نعطي هذا المفهوم حق تقديرنا يجب علينا أن ننظر إلى المعنى المقصود والمنظور الروحاني منه. فالمسلم الذي ينظر إلى ظاهر الكلمة وليس للحقيقة المقصودة منها فإنه يتمعن في أحرف إسم دينه وهي: إ، س، لا، م. ولكن المؤمن الذي تهمة روح الكلمة فإنه يتأمل المعنى الحقيقي والمقصود منه. ويستخدم الآيات التالية ليفك ختم المعنى الحقيقي لكلمة "الإسلام" و "الخاتم".

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا. سورة ٤، آية: ١٢٥

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا... إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى. سورة ٤٢، آية: ١٣

إذا كان الإسلام هو الدين الذي أوصى به الله أنبيائه السابقين، ألا يمكن أن نصل إلى هذه النتيجة بأن الدين الذي يأتي بعد الإسلام هو أيضاً ما شرع الله من دين الإسلام؟ ألا يمكن أن نقول بأنه لا يوجد إلا دين واحد— وهو (الإسلام، أو الاستسلام لله)— ويظهر بأسماء جديدة في كل عصر؟

كما جاء مسبقاً في الفصل الثامن فإن السورة الأولى من القرآن الكريم هو دعاء فيه طلب للهداية الإلهية. ونرى أن المؤمن— أي المسلم— هو على الصراط المستقيم. ولكنه بعدم اعترافه ببزوغ فجر يوم من دين إلهي جديد سيصبح من الخاسرين وسوف يلتبس طريقه في ظلام الإعراض والإنكار بدلاً من الصراط المستقيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ  
أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ. سورة ١، آية ٧-١



وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا. سورة ١٧، آية: ٣٦

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ. سورة ١٠، آية: ١٠٠

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ. سورة ١٠، آية: ٣٦

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ. سورة ٣١، آية: ٢١؛ أنظر أيضاً سورة ١٠، آية: ٧٨

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَنْبَابِ.

سورة ٣٩، آية: ١٨-١٧



# المراجع

## الفصل الثاني

1. Phipps, William E. *Muhammad and Jesus*, New York: paragon House, 1996, p. 125.
2. Yúsuf 'Alí, Abdullah. *The Meaning of the Holy Qur 'án*, Beltsville, MD: Amana Publications, 6<sup>th</sup> edition, 1989, p. 46.

## الفصل الثالث

1. Yúsuf 'Alí, Abdullah. *The Meaning of the Holy Qur 'án*, Beltsville, MD: Amana Publications, 6<sup>th</sup> edition, 1989, p. 1069.
2. Asad, Muhammad. *The Message of the Qur 'án*, Great Britain: Redwood press Limited, 1993, p. 647.

## الفصل الخامس

1. Kennedy, D. James, Ph.D. *Messiah: Prophecies Fulfilled*, Ft. Lauderdale, FL: Coral Ridge Ministries, p. 6.
2. Kennedy, D. James, Ph.D. *Messiah: Prophecies Fulfilled*, Ft. Lauderdale, FL: Coral Ridge Ministries, p. 65.

## الفصل الحادي عشر

1. Parinder, Geoffrey. *Jesus in the Qur 'án*, New York: Barnes and Noble, 1965, p. 50.
2. Asad, Muhammad. *The Message of the Qur 'án*, Great Britain: Redwood press Limited, 1993, p. 647.

## الفصل الثاني عشر

1. Gentz, William H. (General Editor). *The Dictionary of Bible and Religion*, Nashville, TN: Abingdon Press, 1986, p. 921.
2. Lockyer, Herbert Sr. (General Editor). *Nelson's Illustrated Bible Dictionary*, Nashville, TN: Thomas Nelson Publishers,, 1986, p.878.
3. Graham, Billy. *How to Be Born Again*, Waco, TX: Word Books, 1977, p. 58.
4. Kennedy, James. From a TV speech, presented on July 18, 1999.
5. Hunt, Dave. *How Close Are We?* Eugene, OR: Harvest House Publishers, 1993, p. 21.
6. Leedom, Tim C. (editor). *The Book Your Church Doesn't Want You to Read*, San Diego: The Truth Seeker Company, 1993, p. 3.
7. Vandeman, George E. *Seeing Is Believing*, Boise, ID: Pacific Press Publishing Association, 1989, p. 16.
8. Canfield, Jack and Mark Victor Hansen. *Chicken Soup for the Soul*, Deerfield Beach, FL: Health Communications, 1993, p. 289.